

# ملوك

١٢٩

## مَجَلَّةُ تَرَاثِيَّةِ فَصْلِيَّةٍ مُحْكَمَةٍ

منها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

WWW.ATTAWHEEL.COM

أسرة المكية محبة

[WWW.ATTAWHEEL.COM](http://WWW.ATTAWHEEL.COM)

# الموقف

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الثالث والثلاثون

العدد الأول ٢٠٠٦ - ١٤٢٧ هـ

رئيس مجلس الإدارة

**فاروق هضر الدليمي**

رئيس التحرير

**د. محمد حسين الأعرجي**

هيئة التحرير

نائب رئيس التحرير

**أحمد عبد زيدان**

سكرتير التحرير

**محمود الظاهر**

الهيئة الاستشارية

**أ. خديجة الخديشي**

**أ. كمال مظهر**

**أ. فائز طه صبر**

**أ. داود البيكوم**

**أ. هادي جلال**

**الأستاذة حسن خريزي**

التصحيح اللغوي

**سليم سلمان**

**نجلة محمد**

**أهل عبد الله**

الإشراف الفني والتصميم

**جنان عدنان لطيف**

**تصميم الغلاف**

**عمار صباح**

## عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة  
الأنظمة

ص. ب. ٤٠٣٢ بغداد

جمهورية العراق

هاتف: ٤٢٦٠٤٤

فاكس: ٤٤٨٧٦٠

## الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: ديناران.

الإمارات: ٢٠ درهما، اليمن: ٣٠ ريال.

مصر: ٢ جنيهات، ليبيا: ٢ دينار.

الجزائر: ٦٠ دينار، تونس: ديناران.

المغرب: ٢٠ درهما.

## المشاركة السنوية

٨٠ دولار في الأقطار العربية.

٢٥ في دول العالم الأخرى

دولارا.

..... د. محمد حسين الأرجي ٣ - ٤

..... د. محمد حسين الأرجي

..... د. طارق نافع الحميداني ١٦ - ٢٥

..... د. طارق نافع الحميداني ١٦ - ٢٥

..... د. طارق نافع الحميداني ١٦ - ٢٥

..... د. طارق نافع الحميداني ١٦ - ٢٥

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاهي ٢١ - ٤٢





## الطعالى: التلمىذ العاق

القشائبي هو أبو محمد بن عبد الله بن محمد الشافعي.

وهو — وهذا معروف — من أهل نيسابور، ولد سنة ٣٥٠ الهجرة.

وتوفي سنة ٤٢٩ هـ، أو ٣٠ للهجرة.

وتاريخ وفاته ليس بمشهور إذ أن الأعلام مذكروا أنه ترك وراءه أكثر من ثمانين كتاباً

وصفتها بعض المصادر بأنها من ((الآداب الرطبة)).

ولكن هذه الرطوبة في كتبه تجعلها .. : ونسأريب - من الكتب الممتعة التي تصحبها الي

عزيرك لئو نسك دوق ان تكذ ذهناك، او تتعبد.

على أن في رطوبة كتبه خطراً، وأريد أن أفصح الأمر فاقول:

ابن الشعالي تلمذ للخوارزمي أبي بكر المتوفى سنة ٣٨٢ للهجرة، وأنه ذكر في طائفة من مواد

کتابہ ((فقہ اللغة)) مصدر امن مصادر د، و هذا حسن.

ولكن الذي يعرف أبا بكر الخوارزمي، ويقتل نفاذ سيرة حياته يجد أنه قد دبرته له مكيدة هي

مناظرة بديع الزمان انهمذاني اياد، هذه المناظرة التي كان من فصولها - كما يقول الله تعالى نفسه في

الْيَتِيمَةَ - أَنْ تَخْزُونَ أَيْ يَكْرَ مِنْهَا (( أَخْزَى الْأَعْدَاءِ )) وَتَضَعُ بِسَالِهِ، وَتَنْخَفِضُ طَرَفَهُ، وَتَمُوتُ بِحُلِّ عَنِيهِ

الموت حتى خاضه عسكراً ، ونفذ قضاء الله فيه .

وهذه لغة أقرب إلى السماتة منها إلى وفاء اللاديدية.

الرسول هذا لأتاه يوم دار بين المناظرة ففرق بينهما فقال الثمانين ألف بخلاف ما كان عليه من

المداظرة حكم بعض الناس لأبي بكر و حكم بعضهم للبهمناني ، فمن أين جاء للثعالبي أنه — يعني أبسا

بکر۔ ((انخزل انخزالاً شديداً... حتى خاضه عذراء))؟

ولو كان هذا وحده ليناً، ولكنه أر دفته بأمرين لا يتبرقهما أي منهما:

فأما الأول فهو ترجمته لقائل استاذ - فيما يزعم - الخوارزمي في كتابه: ((ينبؤة اندهر...))

فيقول عن أبيه الهذاني: ((هو أحمد بن الحسين، سريع الزمان، ومعجزة هذان، وغادره الفلك،

وبكر عشار، وفرد الدهر، وحرّة العصور، ومن أم يلقى غير في نكاء القريحة، وسرعة الخاطر،

وتمرف المبيع وقبة القدس).

وهذه أرمسان. كانت بكتبة أن يخطبها على  
 أستاذ، ولكنه أطلقها على عدوة؛ وأستاذ أبر يسكر رمة من  
 الرّم، فهل رأيت ناهزاً في العصور القديمة كالشعالي؟  
 و ((ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر)) شمرّ واضع من قناة أستاذ الخوارزمي،  
 ولكن بعد وفاته، وهكذا تكون التلمذة وأدبها والأفلا، ولا سيما في زمن الشعالي.  
 لقد كان التلميذ يختار أستاذه بنفسه فلماذا يعقّه، ولماذا يسرق ترثه؟  
 نعم لو كان الشعالي بيننا لكان من حقّه أن يجلّ هذا الأستاذ، وأن يستخفّ بذلك؛ لأن الأستاذين  
 كليهما مفروض عليه.

أما أن يختار تلميذ أستاذه — كما هو شأن الشعالي — ثم يعقّه فذلك، مالا أستطيع تفسيره.  
 فأما الأمر الآخر فهو أنني لا أستطيع أن أتصور أن يعتمد في كتابه ((التمثّل والمحسنة))،  
 ونسخة منه في هولندة مضبوطة بهذا العنوان، لا أستطيع أن أتصور أنه سطاً على طائفة من أمثال  
 كتاب أستاذ الخوارزمي ((الأمثال المولدة)) دونما خجل أو ذكر.

وإن عجبت فأعجب من قول الشعالي في كتابه ((بريد الإنشاد في الأعداد)) حين يقول:  
 إنه أم يسبق إلى مادة الكتاب وتبويه؛  
 والناظر في كتاب أستاذ الخوارزمي ((الأمثال المولدة)) يجد قد عقد باباً فيه اسمه ((باب آخر  
 في الأعداد...))، فأين السبق إذا؟

ورحم الله أبا عبيدة يوم ألف كتابه ((الحققة والبررة)) على أن عقوق أجدادنا التلاميذ نشيخهم  
 أشد من عقوق الأبناء لأبائهم لسبب يسير هو أنه لم يختار أحداً منّا أبويه، ورحم الله الشاعر القائل:

أعلمه الرماية كل يوم  
 فلما استندت ساعده رماي  
 وكم علمته نظم القوافي  
 فلما قال قافية هجاني

رئيس التحرير

## شخصية حي بن يقظان

### في التراث الفلسفي القصصي عند العرب<sup>(\*)</sup>

أ.د. فائز طه عمر

كلية الآداب . جامعة بغداد

الأول، وهو النص الأصلي الذي سنعتمده في هذا البحث، ورد في رسائل ابن سينا، والثاني قائم على النص الأول، بيد أنه جاء شرحاً له، وفكاً لرموزه، لذا جاء وصفه بأنه على بيان آخر<sup>(١)</sup>، وسنفيد منه في الإشارة إلى دلالات الرموز. أما الثالث فهو (رسالة القدر) التي وردت في رسائل ابن سينا، وهي تتضمن حكاية شديدة الشبه بـ (حي بن يقظان) حتى لتبدو فصلاً ثانياً منها<sup>(٢)</sup>، مما يدل على أنها أنشئت بعد (حي بن يقظان) وليس كما ذهب بعض الباحثين<sup>(٣)</sup>.

وظهرت شخصية (حي بن يقظان) في القصة الرمزية الشهيرة التي أنشأها الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل (٥٨١هـ) ووسمها بـ (حي ابن يقظان) أيضاً، مستعيراً من ابن سينا هذا الاسم، ليضعه في إطار قصصي آخر، قصد منه شرح ما قصده ابن سينا في حكايته (حي بن يقظان) في ما يسمى بالحكمة المشرقية كما سنرى.

وثمة حكاية رمزية أخرى أنشأها السهروردي المقتول (٥٨٧هـ) وسمت بحي بن يقظان أيضاً، لدى بعض الباحثين<sup>(٤)</sup>، على أن مؤلفها السهروردي وسمها باسم آخر ذي صلة بمضمونها، وهو (الغربة الغربية)<sup>(٥)</sup>، ولم تظهر فيها شخصية حي، وربما كان

كان انتقال فكر الأمم وثقافتها، ولا سيما اليونانية، إلى اللغة العربية، عبر حركة الترجمة، امتحاناً كبيراً، خرجت منه لغتنا بنجاح، بل إنها أثبتت تفوقها على مثيلاتها، من خلال مرونتها، واستيعابها ما طرأ على عقول أبنائها من فكر وافد جديد، ولعل وراء ذلك أسباباً قد يكون من أهمها أن اللغة العربية واستعمالاتها الفنية المؤثرة كانت من أبرز مظاهر الإبداع العربي، منذ العصر الجاهلي، وعلى نحو متصاعد.

وقد كان من مظاهر هذا الإبداع ما ابتكره بعض الفلاسفة الإسلاميين من شخصيات قصصية، لا ندعي أنهم انفردوا بها، بيد أنهم تمكنوا من مجازاة غيرهم، ولا سيما فلاسفة اليونان، بل ربما تفوقوا عليهم، ولعل فيما أبدعه ابن سينا (٤٢٨هـ)، في ابتكاره شخصية (حي ابن يقظان) دليلاً ساطعاً على مقدرة لغتنا على تلبية متطلبات العصر، وتطور الحضارة، وتحدي الفكر، مما ينبغي إدراكه على نحو صائب وعلمي، اليوم، لتجد هذه اللغة نفسها من جديد، على يد أبنائها الذين لا يبد من أن يحسنوا قراءتها.

و (حي بن يقظان) شخصية رمزية جاء بها ابن سينا في سياق ثلاثة نصوص قصصية، اثنان منها وسمّا بـ (حي بن يقظان)؛

\* بحث أقيم في مؤتمر اللغة العربية الأول، في جامعة الشارقة، في ١٩/٢٨/٢٠٠٥م.

السبب في سُمها بـ (حي بن يقظان) لدى بعضهم هو أنها دارت حول ما أثارته شخصية (حي بن يقظان) لدى ابن سينا من أفكار، كما ذكر السهروردي<sup>(١)</sup>.

إن دراستنا لشخصية (حي بن يقظان) لدى ابن سينا، وابن طفيل، ستنتقل من نصوصهما الحكائية أو القصصية، محاولين رسم هذه الشخصية المثيرة وبيان سماتها، من دون أحكام مسبقة، ومن دون التقيد بمنهج محدد يُملي، على البحث، آليات ووسائل ربما لا تفيد كثيراً، على أننا، إن كان لابد من رسم طريقتنا في دراسة هذه الشخصية، نؤكد أن النصوص هي التي سترسم ملامح منهج هذا البحث في ما يرمي إليه، لذا سنحاول دراسة شخصية (حي بن يقظان)، من خلال بيان دلالة هذا الاسم لدى مبتكره ابن سينا، وابن طفيل، من خلال مباحث مركزة تدور حول:

\* شخصية حي والسرد

\* شخصية حي والشخصيات الأخرى.

\* شخصية حي والحوار.

إن هذه المباحث ستعين البحث على تحقيق هدفه، باستثمار ما في محاور هذه المباحث من وسائل وإشارات إلى الشخصية المزمع دراستها،

على أننا قبل ذلك كله، نشير، بإيجاز، إلى دوافع ابن سينا إلى ابتكاره شخصية (حي بن يقظان) التي وظفها لقول فكرة، فنظن أن ثمة عوامل متداخلة، ومتضافرة، كانت وراء ذلك، منها ثقافته اللغوية والأدبية، معرفة، وإنتاجاً، فقد ذكر له تلميذه أبو عبيد الجوزجاني (٤٥٨هـ) آثاراً أدبية ولغوية<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن ديوان شعره الذي ضم قصيدته العينية الرمزية الرائعة.

وكان تأثره باليونان وتراثهم الفلسفي عاملاً مهماً في ذلك، ولا سيما أن بعض فلاسفتهم قد عنوا بنقل أفكارهم بطريقة أدبية رمزية، كما هو معروف عن أفلاطون الذي تأثر به ابن سينا في رسائله في النفس، ورسائله القصصية خاصة<sup>(٣)</sup>، وربما كان وجود نماذج قصصية فكرية ورمزية سابقة<sup>(٤)</sup> قد أغرى ابن سينا لاختيار الحكاية وسيلة تعبير عن بعض أفكاره، التي يبدو

أنها ذات أثر في ما اختاره ابن سينا من شكل قصصي لها، فحي بن يقظان ورسالة القدر تضمنان أفكاراً ذات طابع ميتافيزيقي، تنأى عن التحديد الدقيق والتعبير العلمي، فهي تعبر عن المنحى الصوفي لابن سينا<sup>(٥)</sup>، أو بتعبير آخر إن موضوعات هاتين الحكائيتين، وغيرهما من حكاياته الرمزية<sup>(٦)</sup>، ذات مسحة صوفية<sup>(٧)</sup>، فهي تحمل فكره الفلسفي متمزجاً بالتصوف<sup>(٨)</sup>. وكان لبينته الاجتماعية أثرها في اتخاذ الرمز وسيلة لقول أفكاره، فقد صرح ابن سينا، في سيرته الذاتية<sup>(٩)</sup>، أن أباه وأخاه كانا يتبعان المذهب الإسماعيلي ذا النزعة الباطنية التأويلية المعروفة، فقد كانا يغريانه به، إلا أنه أبى، ومع ذلك لابد من آثار تظهر لديه فيها شيء من سمات هذا المذهب.

وكان الرمز وسيلة ابن سينا في تحقيق رغبته في إخفاء بعض أفكاره وسترها عن العامة<sup>(١٠)</sup>، على أن ذلك أصبح، لدى غيره، حافزاً وإغراء إلى معرفة ما يختفي وراء رموزه من رموزات<sup>(١١)</sup>.

إن عنايتنا بابن سينا، في هذا البحث، مبعثها أنه مبتكر الشخصية التي نرمي إلى دراستها، على أن ذلك لا يعني تقليل أهمية ابن طفيل وإبداعه الكبير في قصته الشهيرة، ولا سيما أنه قد وضع الشخصية التي أخذها عن ابن سينا في إطار قصصي أكثر نضجاً، كما سنرى، فضلاً عن أنه كان يتمتع بالكثير مما تمتع به ابن سينا، ولا سيما في ثقافته اللغوية والأدبية<sup>(١٢)</sup>، ونزعة الفنية وغير ذلك على أن كليهما اتخذ الفن وسيلة لقول فكرة، وليس لغاية جمالية.

### دلالة اسم حي بن يقظان

يبدو أن اختيار ابن سينا اسم حي بن يقظان، لبطل حكايته الرمزية مقصود لإفضاء ما يريد إفضاءه من أفكار، فقد تجلت براعة ابن سينا في اختيار هذا الاسم، على نحو دقيق، وهو أمر يشير إلى ما يظهر قوة المفردة العربية، ومقدرتها على استيعاب المعاني والدلالات الغزيرة والعميقة المقصودة، ولعل ما أظهر هذا هو وضع ابن سينا هذا الاسم في سياق رمزي قصصي فخر ما في لفظتي (حي) و (يقظان) من طاقة تعبيرية هائلة، إذ يقول شارح رسائل ابن سينا إن قوله (حي) أراد به ما خيل عليه



من العقلية المجردة وصدور ما يعدد عنه، إذ كان معنى الحي يتعلق بالحسن والحركة فجعل الحسن مشاراً به الى العقلية، وجعل الحركة مشاراً بها الى وجود ما بعدها، وقوله ابن يقظان أراد به أن وجوده ليس بذاته بل عن غيره، إذ كان وجود الابن بوجه ما عن الأب، وإن ذلك الغير هو أجل حالاً منه، إذ الحي يحتمل أن يكون يقظان، وحالة اليقظة منه أجل من حالة النوم، إن النوم أشبه بالقوة واليقظة أشبه بالفعل...<sup>(١٣)</sup>. على هذا فحي بن يقظان هو العقل الفعال، وهو ما أكدته الرموز الأخرى، والسمات التي أتى بها ابن سينا، سواء في (حي بن يقظان) أو في (القدر)، كما سيظهر لنا في أجزاء البحث الأخرى، فابن سينا، وإن كان لم يصرح بدلالة اسم حي بن يقظان، أراد أن يوحي بدلالته، من خلال السياق الذي أورد به هذا الاسم، وسرده الأحداث، على أنه أفصح عن دلالة هذا الاسم في البيان الآخر لحي بن يقظان، فقال عنه إنه: ((كان عقلاً صرفاً، وصفاء محضاً...))<sup>(١٤)</sup>.

### شخصية حي والسرد:

اسهم السرد في إظهار سمات شخصية حي بن يقظان وتعميق دلالة الاسم لدى ابن سينا، وفي رسم الصورة الكاملة لها، لدى ابن طفيل. وفي وضع الفكرة في إطارها الفني القصصي لدى كليهما، فقد أظهر الحي ملامح جسدية، وأخرى فكرية، على نحو يعمق دلالاته، لدى كل منهما، إذ بدا حي بن يقظان لدى ابن سينا، في حكايته (حي بن يقظان) شيخاً، شاب رأسه، مع أنه لا يزال قوياً، ووجهه دال على عمره، وعلى حيويته، يقول ابن سينا (إنه قد تيسرت، لي، حين مقامي ببلاد، برزة برفقتي إلى بعض المتنزعات المكتنفة لتلك البقع، فبينما نحن نتطاوف إذ عن لنا شيخ بهي، قد أوغل في السن، وأخت عليه السنون، وهو في طراوة العر، لم يهن منه عظم، ولا تضعضع له ركن، وما عليه من المشيب إلا زواء من يشيب...<sup>(١٥)</sup>)).

فهذه السمات الحسية تؤكد ما يمتلكه العقل من تقادم الخبرة وحيوية التفكير، وقوة التأثير، فضلاً عن عافية بدنه التي تمنح صاحبها النشاط، والحركة، والقدرة على اتخاذ القرار، والقول الفصل، ولم يجد ابن سينا نفسه مضطراً إلى إعادة ذكر صفات

حي بن يقظان في (القدر) عندما تحدث، عن ظهوره في هذه الحكاية في وقت شعر فيه السارد بحاجة إليه لا يعرف عنه سمات، فبعد أن احتدم الجدل بين سارد الحكاية ورفيقه حي (أمر القدر) شعر هذا السارد بحاجة قوية إلى شخص حي بن يقظان، ليحسم النزاع بينهما: ((وتأذت محاورتنا به إصخب، وبني إلى مدارة رخيمة، رجاء أن أرفق بعائه وأحط مرغلوائه، فتبين شيخ من بعيد اجتهرته وقلت لله من شيخ شبيه بحي بن يقظان ولا أبعد أن يكونه، ولعل الذي بيده ملكوت كل شيء أن يمتعني بقاء ثني يعود جذعا، بعد ثناء طال طوله وتمادت مدته...)) حتى تبين أنه هو ((فإننا هو...)).

إن السرد، في نصي ابن سينا، يظهر شخصية حي شخصياً ناضجة، وصلت إلى أرفع مستوى قبل زمن السرد، أي قبل وقوع الحدث المسرود، وهي في إطارها الفني، شخصية ثابتة، يصطلح عليها بالشخصية المسطحة<sup>(١٦)</sup> التي أمعن ابن سينا في إظهار سماتها مرة واحدة، ابتداء من اختياره لها اسم (حي بن يقظان) وهو أمر يلجأ إليه كتاب القصة والرواية في العصر الحديث أيضاً، فأنت ترى (بعض المؤلفين حاول أن يوحي إلينا بالصفة التي تتصف بها شخصيته من الاسم الذي يطلقه عليها...<sup>(١٧)</sup>)، ولم يتحدث ابن سينا عن الظروف التي أحاطت بحي، أو الأحداث التي مرت به والتي أكسبته هذا النضج والتمكن، والخبرة والفاعلية، والمعرفة. ويمكن لنا إضافة سمات أخرى تعيننا على إكمال صورة حي فشخصية حي شخصية جذابة أيضاً، مما يبدو من قول ابن سينا: ((فنزعت إلى مخاطبته، وانبعثت من ذات نفسي متفاض لي بمداخلته ومجاورته...))<sup>(١٨)</sup>، وهي شخصية متواضعة، مقبولة، مقبولة اللهجة: ((فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية والسلام، وافتر عن لهجة مقبولة...<sup>(١٩)</sup>))، وهي تنتصر للحق<sup>(٢٠)</sup>، بارعة في الكلام، قوية البيان، جريئة<sup>(٢١)</sup>، عارفة<sup>(٢٢)</sup>.

ومن المناسب ذكر أن السرد في (حي بن يقظان) و (القدر) كان سرداً ذاتياً، أي أن يتولى السارد سرد أحداث، أو حدث، حدث له، الأمر الذي يضفي على الحكاية طابعاً واقعياً، فهو (يشهد بصحة الحكاية)<sup>(٢٣)</sup>، وقد أمعن ابن سينا في إضفاء واقعية على أحداث هاتين الحكایتين بذكره أسماء مدن حقيقية<sup>(٢٤)</sup> حدثت فيها

الأحداث، فضلاً عن أن ابن سينا بعد فراغه من سرد أحداث (رسالة القدر) قال: ((وهذا ما جرى وأنا شاهد، والله على ما نقول وكيل))<sup>(١)</sup> والسرد في هاتين الحكایتين هو سرد ابتدائي، أو سرد من الدرجة الأولى<sup>(٢)</sup>، وهو قصص الأحداث على نحو مباشر، وإن جاء ذاتياً، ولم يكن السرد متزامناً مع الأحداث، بل كان سرد أحداث حدثت قبل زمانه.

على أن ابن طفيل، عند سرده أحداث قصته، يتخذ وسيلة أخرى في رسم شخصية (حي بن يقظان) لديه، ويتبع طريقة سردية مختلفة عن طريقة ابن سينا، ويتحدث عن أحداث أخرى، على نحو يظهر لنا ابن طفيل حياً غيره لدى ابن سينا، مع أن منطلق (حي بن يقظان) لدى ابن طفيل هو فكرة ابن سينا في ما سماه بأسرار الحكمة المشرقية، إذ يقول ابن طفيل في مقدمة قصته: ((سألت أيها الأخ الكريم، الصفي الحميم، منحك الله البقاء الأبدي، وأنسعدك السعد السرمدي أن أبت إليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا))<sup>(٣)</sup>، هذا يعني أن قصة ابن طفيل تشترك مع حكائتي ابن سينا في قضية فلسفية واحدة، ليس من شأننا التفصيل فيها، لنألا يبتعد البحث هذا عن طابعه الأدبي، وإن كنا سنذكر شيئاً منها عندما تقتضي ضرورة الإشارة إلى دلالات الرموز، والشخص، والأحداث، على نحو موجز، كما جاء في دلالة الاسم.

ويسرد ابن طفيل أحداثاً بطلها حي بن يقظان، في إطار سرد أولي تولاه بنفسه، متابعاً، به، تطور شخصية حي من ولادته إلى أن أتاه اليقين، إذ ينقل ما سرده السلف عن الظروف التي أحاطت بولادة حي، والتي كانت أحد احتمالين أحدهما أن حياً ولد من امتزاج الطين بالماء في ظروف طبيعية<sup>(٤)</sup>، أما الثاني فيبدو أكثر واقعية، يسرد فيه ابن طفيل أحداثاً أخرى سبقت ولادته، بقوله: ((أنه كان بإزاء تلك الجزيرة، جزيرة عظيمة، متسعة الأكفاف، كثيرة الفوائد، عامرة بالناس، يملكها رجل منهم شديد الأنفة والغيرة، وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر، فعصلها، ومنعها الأزواج إذ لم يجد لها كفواً. وكان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سرا على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمانهم. ثم

أنها حملت منه ووضعت طفلاً، فلما خافت أن يقتضح أمرها وينكشف سرها، وضعت في تابوت أحكمت زمنه بعد أن أروته من الرضاع، وخرجت به في أول الليل في جملة من خدمها وثقاتها إلى ساحل البحر... ثم قنفت به في اليوم. فصادف ذلك جري الماء بقوة المد، فاحتمله من ليلته إلى ساحل الجزيرة الأخرى المتقدم ذكرها...))<sup>(٥)</sup>، ولا شك في أن هذا الحدث قد أخذ الشيء الكثير من قصة النبي موسى عليه السلام مما روي في القرآن الكريم في قوله تعالى ((إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى: أن اقذفيه في التابوت فاقذفه في اليم فليلقه اليم في الساحل...))<sup>(٦)</sup>.

ويستمر السارد بسرد مامز يحي من أحداث منذ أن قنفته الموج إلى الشاطئ، ثم حنو ظبية عليه وتوليها رعايته وتغذيته على نحو غريزي، حتى نما، وأخذ يكبر شيئاً فشيئاً، فنمت معه شخصيته، واتضحت سماتها على نحو متدرج، مرتبط بتقادم سنوات عمره وتواليها، فقد كان ابن طفيل يذكر السنة التي بلفها عمره، في أعقاب ذكره إحدى المراحل المهمة في نمو شخصيته، نحو قوله: ((ثم تحركت في نفسه الشهوة للبحث عن سائر أعضاء الحيوان وترتيبها وأوضاعها وكمياتها وكيفية ارتباط بعضها ببعض، وكيف تستمد من هذا البخار الحار حتى تستمر لها الحياة به، وكيف بقاء هذا البخار المدة التي يبقى، ومن أين يستمد، وكيف لا تنفذ حرارته؟ فتتبع ذلك كله بتشريح الحيوانات والاموات، ولم يزل ينعم النظر فيها ويعيد الفكرة، حتى بلغ في ذلك كله مبلغ الطبيعيين، فتبين له أن كل شخص من أشخاص الحيوان، وإن كان كثيراً بأعضائه وتفنن حواسه وحركاته، فإنه واحد بذلك الروح الذي مبدؤه من قرار واحد، وانقسامه في سائر الأعضاء منبعث منه...))<sup>(٧)</sup>.

ثم يقول: ((فانتهى به هذا النحو من النظر إلى هذا الحد من النظر على رأس ثلاثة أسابيع من منشئه، وذلك واحد وعشرون عاماً))<sup>(٨)</sup> فابن طفيل لا يكتفي بذكر سنوات عمره في كل مرحلة من مراحل نمو حي الشخص المعرفي، بل يذكر مدة استغراق كل مرحلة أيضاً<sup>(٩)</sup>، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اهتمام حي إلى التشريح للوصول إلى الحقائق المرتبطة بالجسد كان بدافع من انفعاله لموت الظبية، كما سنرى.

ويسرد ابن طفيل الأحداث التي جرت على حي ليظهره شخصا يحب المعرفة حبا فطريا، راغبا في إدراك الأشياء وفهمها تأملا ثم إجراء، لذا جاء نضجه المعرفي متدرجا، مذبذبا بين التأمل والإجراء وهذا يشمل مراحل نمو المعرفي و الشخصي كلها، حتى وصول حي إلى حدث مفصلي مهم وكبير، وهو لقاء شخصية (أسال)، هذا اللقاء الذي أقر لحي ما توصل إليه من حقائق، وما اتخذه من منهج، وسنبين هذا عند تناولنا علاقة حي بن يقظان بالشخصيات الأخرى وأثرها فيه.

إن شخصية (حي بن يقظان) لدى ابن طفيل، في إطارها الفني، شخصية نامية تتميز بـ (قدرتها الدائمة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة...) (١٠٠). فقد أظهر سرد هذه القصة شخصية حي بملامح جسدية تمتع بها حي الذي بدأ قوي البنية، مفتول العضلات، سريع العدو، فالظروف التي احاطت به، ومخالطته الحيوانات، وطبيعة طعامه كانت عوامل جعلته على هذا النحو (١٠١)، وربما هي كانت وراء اتصافه بالتعجب والاستفزاز مما حوله، من ذلك، مثلا، ما أثاره منظر النار من رغبة في اكتشافها ومعرفة سرها، إذ يقول: ((واتفق، في بعض الأحيان، أن أنقذت النار... فلما بصرت بها رأي منظرها هال، وخلقنا لم يعهده قبل، فوقف يتعجب منها مليا، وما زال يدنو منها شيئا فشيئا، فرأى ما للنار من الضوء الثاقب والفعل الغالب حتى لا تعلق بشيء إلا أتت عليه وأحالتها إلى نفسها، فحمله العجب بها، وبما ركب الله تعالى في طباعه من الجراءة والقوة، على أن يمد يده إليها، وأراد أن يأخذ شيئا منها...)) (١٠٢)، إن هذا الحدث ينبهنا على أن شخصية حي شخصية جريئة، محتملة للمخاطر والأذى من أجل الوصول إلى حقيقة ما يراى، ثم إنه يشير إلى أن مدركات حي كانت، في أول أمرها، مرتبطة بالظواهر الحسية المحدودة التي كانت من حوله، فهو بعد أن اطمأن إلى النار وعرف مزاياها وما تثيره من دفة، وإنضاج للطعام وغير ذلك، اعتقد بانها أفضل الأشياء، يقول السارد: ((فعظم بها ولوعه، واعتقد أنها أفضل الأشياء لديه...)) (١٠٣)، على أن شخصيته المتعجبة من الأشياء المستفزة بها لا تجعله مستقرا عند شيء إلا غادره إلى آخر.

وقد ارتقت شخصية حي، بعد سلسلة من التجارب العلمية،

من المرحلة العملية، وهو ابن واحد وعشرين عاما (١٠٤)، إلى مرحلة التأمل والتفكير النظري، يقول السارد: (ثم إنه، بعد ذلك، أخذ في مأخذ آخر من النظر... (١٠٥))، وهذا يظهر سمة أخرى لحي بن يقظان وهي سمة التأمل، من ذلك: ((فظهر له، بهذا التأمل أن الروح الحيواني الذي لجميع جنس الحيوان واحد... بالحقيقة...)) (١٠٦)، ((فظهر له، بهذا التأمل، أن النبات والحيوان شيء واحد...)) (١٠٧)، حتى اهتدى إلى حقيقة الروح (١٠٨)، وإلى الحركة وأثرها (١٠٩)، وغير ذلك.

ثم إن تأمل حي بن يقظان تحول، بعد ذلك، من الأشياء الحسية والظواهر الخارجية، إلى الداخل أي إلى ذاته، مما يشير إلى بدء مرحلة جديدة وحاسمة في نظره وتأمله (١١٠)، فاهتدى على نحو متدرج، إلى أشياء وحقائق كثيرة وكبيرة قادت إلى إدراك الفاعل الحقيقي (١١١) لهذه الأشياء والظواهر، وأزخ السارد حدوث ذلك بعمر حي الذي بلغ ثمانية وعشرين عاما (١١٢) وهذا الأمر قاده إلى تأمل الكواكب التي حدس أن ما فيها ما يوصله إلى معرفة الله تعالى واجب الوجود، يقول السارد: ((ثم إنه بعد ذلك نظر إلى الكواكب، فرأى منتظمة الحركات، جارية على نسق، ورأى شفاة ومضيئة بعيدة عن قبول التغير والفساد، فحدس حدسا قويا أن لها ذوات سوى أجسامها، تعرف ذلك الوجود الواجب الوجود...)) (١١٣)، فهذا النص يضيف سمة أخرى لحي هي سمة الحدس الذي يدفعه أيضا إلى معرفة الأشياء، وهو يؤكد أن حينا توصل إلى الوجود واجب الوجود أي الله تعالى، بعد سلسلة من التأملات التي قادت إلى الإيمان بضرورة الاستغراق في الذات الإلهية بالتأمل، والانقطاع عن الحياة وتكاليفها التي سئمها، يقول السارد: ((لما عاد إلى العالم المحسوس، وذلك بعد جولات، حيث جال، سئم تكاليف الحياة الدنيا، واشتد شوقه إلى الحياة القصوى...)) (١١٤) وهكذا يستمر السرد ذاكرا الأحداث حتى يلتقي (أسال)، وتعلمه اللغة والدين منه، واستمرار حي على رغبته في المعرفة، حتى بعد وصوله إلى ما وصل إليه، فهو لم يتردد في السؤال عن وجه الحكمة في ما يراه (١١٥). والسرد يظهر حيا، أيضا، حسن النية بالناس (١١٦) لا يكابر، ولا يصبر على المستحيل، ويفصح عن الصواب والحق وإن كان غير ما يراه (١١٧)، فهي شخصية ذات لفق

علمي مكتمل. إن السرد قد رسم صورة حي بن يقظان، لدى ابن طفيل، كاملة السمات والمشاهد والملامح، وسوف نرى أن علاقة حي بالشخصيات الأخرى تؤكد ما ذكرناه، وربما تضيف أشياء أخرى.

إن السرد، في حكايتي ابن سينا، وقصة ابن الطفيل، أظهر شخصية حي شخصية محورية مهيمنة، على أنها جاءت ثابتة ناضجة لدى ابن سينا، ونامية متطورة لدى ابن طفيل، كما ذكرنا.

### حي والشخصيات الأخرى:

ظهرت شخصيات عدة في حكايتي ابن سينا، وقصة ابن الطفيل، سنحاول وصفها على نحو يفيد في إظهار سمات حي بن يقظان الأخرى، وتأكيد ما ذكرناه منها. فقد ظهرت، في حكاية (حي بن يقظان) لابن سينا شخصية سارد الحكاية الذي كان ذا أثر في تبلور شخصية حي، ورفقاء السارد الثلاثة، وهم يرمزون إلى قوى الإنسان ((التي هي له في البدن))<sup>(١٣١)</sup> وهي القوة المتخيلة، والقوة الغضبية، والقوة الشهوانية<sup>(١٣٢)</sup>، يقول ابن سينا: ((أنه قد تيسرت لي، حين مقامي ببلادي، برزة برفقائي إلى بعض المنزهات الكثيفة لتلك البقعة...))<sup>(١٣٣)</sup>، ويبدو أن شخصية السارد ترمز إلى الكيان الإنساني الواحد الذي تتجاذبه القوى النفسية المذكورة فمكان الحدث كان الإنسان بكل نوازعه وتناقضاته، وهو ما يشير إلى النزاع القائم بين غرائز الإنسان وشهواته، وضميره وعقله<sup>(١٣٤)</sup>، على أن الغلبة كانت للعقل (حي) الذي بدا ذا موقف سلبي من الرفقاء الثلاثة أي القوى الثلاث، فهو يخاطب السارد محذرا إياه منهم، بقوله: ((... وحولك هؤلاء الذين لا يرحون عنك، إنهم لرفقة سوء، ولن تكاد تسلم منهم، وسيفتنونك أو تكتنفك عصمة وافرة...))<sup>(١٣٥)</sup>، ثم يأخذ حي بوصف هؤلاء الرفقاء بأوصاف ذميمة، مؤكدا أن النفس الإنسانية لا تنال السعادة إلا بإعراضها عن الدنيا، فسعادتها في اتباع الفضيلة<sup>(١٣٦)</sup>، وهذا موضوع استغرق نصوصه القصصية كلها<sup>(١٣٧)</sup>.

إن هذه الشخصيات قد أسهمت في إظهار قوة أثر حي بن

يقظان وفاعليته، وهو امر ظهر في حكاية (القدر) أيضا من خلال شخصيتي السارد، ورفيقه ((الذي شغفه الجدال حبا، ونشأ فيه اللداد طبعاً...))<sup>(١٣٨)</sup>.

أما في قصة (حي بن يقظان) لابن طفيل فقد ظهرت شخصيات حيوانية، وشخصية إنسانية واحدة، كان لها أثر واضح في نمو شخصية حي ونضجها، فالشخصيات الحيوانية التي أثرت في نمو شخصية حي ومعرفته هي الطليبية، وحيوان الجزيرة عامة، والغرابان اللذان اقتتلا.

أما الطليبية فهي التي حنت عليه، بدافع غريزي أجبه فقدها طلاها، وصوت (حي) الطفل الذي راح يستغيث ويصرخ جوعا، يقول السارد: ((فلما اشتد الجوع بذلك الطفل، بكى واستغاث وعالج الحركة، فوقع صوته في أذن طليبية فقدت طلاها، خرج من كناسه فحمله العقاب، فلما سمعت الصوت ظننته ولدها...))<sup>(١٣٩)</sup>، فقد اطعمته ورعته: ((فتربى الطفل ونما وتغذى بلبن تلك الطليبية إلى أن تم له حولان، وتدرج في المشي، وأتفر، فكان يتبع الطليبية، وكانت هي ترفق به وترحمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر، فكانت تطعمه ما تساقط من ثمراتها الحلوة النضجة، وما كان منها صلب القشر كسرت له بطواحنها، ومتى عاد إلى اللبن أروته، ومتى ظمئ إلى الماء أوردته، ومتى ضحى ظللته، ومتى خصر أنفاته، وإذا جن الليل صرفته إلى مكانه الأول...))<sup>(١٤٠)</sup>.

وهكذا تعلم حي، وهو في كنف الطليبية، أشياء كثيرة، من أبرزها محاكاته صوت الطليبية وأصوات الحيوانات الأخرى: ((في الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع. إذ للحيوانات في هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة فألفته الوحوش وألفها، ولم تنكره ولا أنكرها...))<sup>(١٤١)</sup>، وعند بلوغه السابعة من عمره، أخذت الطليبية تضعف بعد أن كبرت سنّها، فراح حي دؤوبا في تهيئة طعامها، وإطعامها ((فكان يرتاد بها المراعي الخصبة ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها...))<sup>(١٤٢)</sup>، حتى ماتت فجزع ((جزعا شديدا، وكادت نفسه تفيض أسفا عليها، فكان يناديها بالصوت الذي كانت عاداتها أن تجيبه عند سماعه، ويصيح بأشد ما يقدر عليه، فلا يرى لها عند ذلك حركة ولا تغيير...))<sup>(١٤٣)</sup>، لقد كان حزن حي الشديد، وانفعاله العظيم على هذه الطليبية الأم



إذنا بدخول حي عالم المعرفة، وتدرجه فيه، فقد استفزد موت  
الظبية ونفزعده، وجعله أسير رغبة عارمة في معرفة سبب هذا  
التحول في جسمها، من الحركة إلى السكون، ومن حرارة الحياة إلى  
برودة الموت.. حتى راح يقلب جسمها القاني، فلم يهتد إلى شيء،  
حتى توصل بفطرته إلى تشريح صدرها لتوصله إلى ((أن العضو  
الذي نزلت به الآفة إنما هو في صدرها...))<sup>(١٢٦)</sup>، ((فعزم على شق  
صدرها وتفتيش ما فيه، فاتخذ من كسور الأحجار الصلدة  
وشقوق القصب اليابسة، أشباه السكاكين، وشق بها بين  
اضلاعها...))<sup>(١٢٧)</sup>، وهكذا فقد كان لهذه الظبية عظيم الأثر في نمو  
شخصية حي، ثم إن جسد الظبية الميت قد تغيرت رائحته،  
ونتن، مما نفرد، وجعله لا يدري ما يفعل به، حتى ظهر  
شخصية الغرابين اللذين اقتتلا، فاهتدى إلى دفن الجسد. ((وفي  
خلال ذلك نتن ذلك الجسد، وقامت منه روائح كريهة، فزادت  
نفرتة منه، وودأن لا يراه، ثم إنه سنج لنظره غرابان يقتتلان،  
حتى صرع أحدهما الآخر ميتا. ثم جعل الحي يبحث في الأرض  
حتى حفر حفرة، فوارى فيها ذلك الميت بالتراب. فقال في نفسه:  
(ما أحسن ما صنع هذا الغراب في مواراة جيفة صاحبه، وإن كان  
قد أساء في قتله إياه، وأنا كنت أحق بالاهتداء إلى هذا الفعل  
بأمي!) فحفر حفرة وألقى فيها جسد أمه، وحنأ عليها  
التراب.))<sup>(١٢٨)</sup> إن هذا المشهد المهم في تطور شخصية حي وارتقائه  
مستمد من القرآن الكريم الذي روى قصة الأخوين ابني آدم  
اللذين قتل أحدهما الآخر، حتى دفن القاتل المقتول بإيحاء من  
غرابين اقتتلا، يقول تعالى: (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض  
ليريه كيف يواري سوء أخيه قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل  
هذا الغراب فأواري سوء أخيه فأصبح من النادمين.))<sup>(١٢٩)</sup>

ومع أننا رأينا أن حيا قد ألف حيوان الجزيرة والفتة، وجد  
نفسه مختلفا عنها في أشياء كثيرة جعلته يكتشف إنسانيته، وهذا  
أثر كبير حققته الشخصيات الحيوانية، عامة، في شخصية حي  
ونمو مدركاتها المعرفية: ((وكان في ذلك كله ينظر إلى جميع  
الحيوانات فيراها كاسية بالأوبار والأشعار وأنواع الريش، وكان  
يرى ما لها من العدو وقوة البطش، وما لها من الأسلحة المعدة  
للدافعة من ينازعها، مثل القرون والأنياب والحوافر والصياصي

والخالب. ثم يرجع إلى نفسه، فيرى ما به من العري وعدم  
السلاح، وضعف العدو، وقلة البطش، عندما كانت تنازعه  
الوحوش أكل الثمرات، وتستبد بها دونه، وتغلبه عليها، فلا  
يستطيع المدافعة عن نفسه، ولا الفرار عن شيء منها.))<sup>(١٣٠)</sup>  
وهكذا وجد حي نفسه غير تلك الحيوانات، فلم يستسلم بل أصر  
على مجاراتها بل التفوق عليها، فهو حين يجرب هذه المحاولة،  
ويجد أنها لا تجدي يجرب غيرها الأكثر نفعاً: ((فلما طال همه في  
ذلك كله، وهو قد قارب سبعة أعوام، ويئس من أن يكمل له ما  
قد اضرب به نقصه، اتخذ من أوراق الشجر العريضة شيئا جعل  
بعضه خلفه وبعضه قدماه، وعمل من الخوص والحلفاء شبه  
حزام على وسطه، علق به تلك الأوراق، فلم يلبث إلا يسيرا حتى  
ذوى ذلك الورق وجف وتساقت...))<sup>(١٣١)</sup> بيد أنه لم يستسلم حتى  
((صافى في بعض الأيام نسرا ميتا فهدى إلى نيل أمله منه،  
واغتتم الفرصة فيه،... وقطع جناحيه وذنبه صاحا كما هي،  
وفتح ريشها وسواها، وسلخ عنه سائر جلده، وفصله على  
قطعتين: ربط إحداهما على ظهره، والأخرى على سرته وما  
تحتها، وعلق الذنب من خلفه، وعلق الجناحين على عضديه،  
فأكسبه ذلك سترًا ودفئا ومهابة في نفوس جميع الوحوش، حتى  
لا تنازعه ولا تعارضه...))<sup>(١٣٢)</sup> وهكذا كان دأبه في تلاقي النقص في  
قوته بإزاء قوة بعض الحيوان، وهذا يشير إلى أهمية الشخصيات  
الحيوانية في جلاء شخصية حي وإخراج ما فيها من قوى  
وإمكانات.

وقد بلغ عمر حي الخمسين عاما ((حينئذ اتفقت له صحبة  
آسال...))<sup>(١٣٣)</sup> الذي كان ذا أثر كبير في نمو شخصية حي بن يقظان،  
فقد تعلم منه اللغة، وتجاوز معه فوجد أنهما متفقان، فكل  
المراحل التي قطعها حي، في طريق المعرفة وارتقائه فيها، حتى  
وصوله إلى حقيقة الله تعالى، وإدراكه أن السعادة إنما هي في  
الاستغراق في ذاته حيا ومعرفة، كانت قد تحققت، وهو لا يعرف  
اللغة الإنسانية.

وآسال شخص مؤمن برسالة أحد الأنبياء المتقدمين، يعيش في  
جزيرة قريبة من جزيرة حي، وهو أحد اثنين ((من أهل  
الفضل والرغبة في الخير، يسمى أحدهما آسالا، والآخر سلامان...

فأما أسال فكان أشد غوصا على الباطن، وأكثر عثورا على المعاني الروحانية وأطعم في التأويل. وأما سلامان صاحبه فكان أكثر احتفاظا بالظاهر، وأشد بعدا عن التأويل، وأوقف عن التصرف والتأمل، وكلاهما مجد في الأعمال الظاهرة ومحاسبة النفس، ومجاهدة الهوى. وكان في تلك الشريعة أقوال تحمل على العزلة والانفراد، وتدل على أن الفوز والنجاة فيهما، وأقوال آخر تحمل على المعاشرة وملازمة الجماعة. فتعلق أسال بـ طلب العزلة...))<sup>(١٧)</sup> ولكي يضمن أسال لنفسه فرصة التعبد على مايراد، أثر الانتقال إلى الجزيرة التي يعيش فيها حي الذي كان، في تلك المدة ((شديد الاستغراق في مقاماته الكريمة، فكان لا يرح مغارته إلا مرة في الأسبوع لتناول ما سنج من الغذاء، فلذلك لم يعثر عليه أسال لأول وهلة...))<sup>(١٨)</sup>، ثم يروي ابن طفيل ظروف لقاء حي وأسال وكان لقاء متيرا، جمع شخصين غير اعتيادين، على أن إثارة حي أشد، فهو لم ير إنسيا من قبل: ((إلى أن اتفق في بعض تلك الاوقات أن خرج حي بن يقظان لالتماس غذائه وأسال قد ألم بتلك الجهة، فوقع بصر كل واحد منهما على الآخر، فأما أسال فلم يشك أنه من العباد المنقطعين... وأما حي بن يقظان فلم يدر ما هو، لأنه لم يره على صورة شيء، من الحيوانات التي كان قد عاينها قبل ذلك..... وولى أسال هاربا منه خيفة أن يشغله عن حاله، فافتنى حي بن يقظان أثره لما كان في طباعه من البحث عن حقائق الأشياء...))<sup>(١٩)</sup> ثم يقول: ((..فزاد في الدنو منه حتى أحس به أسال، فاشتد في العدو، واشتد حي بن يقظان في اثره حتى التحق به. لما كان أعطاه الله من القوة والبسطة في العلم والجسم. فالتزمه وقبض عليه، ولم يمكنه من البراح، فلما نظر إليه أسال وهو مكتس بجلود الحيوانات ذوات الاوبار، وشعره قد طال حتى جلل كثيرا منه، ورأى ما عنده من سرعة العدو وقوة البطش، فرق منه فرقا شديدا...))<sup>(٢٠)</sup>، ولا يزال حي بن يقظان، على الرغم من تجاوزه الخمسين عاما، ووصوله إلى ما وصل إليه من معارف واسعة وعميقة، متطلعا إلى المعرفة، تستقره الاشياء فيرنو إلى معرفة حقيقتها، لذا تراه يتبع خطى أسال دون كلال حتى لحق به، يساعده على ذلك ما أعطاه الله من قوة وبسطة في العلم والجسم،

وهذا وصف مستمد من القرآن الكريم<sup>(٢١)</sup>.

ونتلمس، من هذا الحدث الذي شهد لقاء حي وأسال، بعض صفات حي الجسمية، ومظاهره الخارجية، فقد كان يكتسي بجلود الحيوانات ذوات الاوبار، أما شعره فقد طال حتى غطى كثيرا من جسمه، وهو ذو قوة ساعدته على أن يكون سريع العدو، ذا بطش، على أن مظهره بدا مخيفا.

وعندما اطمان احدهما للآخر اكتشف أسال أن حيا لا يستطيع الكلام ولا يعرف لغة، فأخذ في تعليمه بالنطق والاشارة ((حتى علمه الأسماء كلها، ودرجه قليلا قليلا حتى تكلم في اقرب مدة...))<sup>(٢٢)</sup>. ثم إن حيا حدث أسالا بحاله وبما وصل إليه من العلم والمنزلة، وإن أسالا حدث حيا عن شأن جزيرته، ((ووصف له جميع ما ورد في الشريعة من وصف العالم الإلهي، والجنة والنار، والبعث والنشور، والحشر والحساب، والميزان والصراط- ففهم حي بن يقظان ذلك كله، ولم يره فيه شيئا على خلاف ما شاهده في مقامه الكريم...))<sup>(٢٣)</sup>، أن لقاء حي، وأسال هو رمز للقاء بين (متصوف متطور ذاتيا، من جهة حي، ومتصوف بالطريقة المنهجية من جهة أسال...)<sup>(٢٤)</sup>، إذ وجدا نفسيهما متفقين. إن إقرار أسال ما وصل اليه حي حفز حيا إلى الذهاب إلى جزيرة أسال لهداية اهله أو إقناعهم بصواب منهجهما في العبادة، على الرغم من أن أسالا قد حاول إقناعه بعدم جدوى ما عزم عليه، فهو قد حاول قبله ولم يفلح، فأبى حي إلا ما أراد، فرافقه أسال، ووصلا إلى الجزيرة وأخذ حي يعظ سكانها الذين يتبعون منهج سلامان في العبادة على حدود الشرع والأعمال الظاهرة، وملازمة الجماعة وعدم العزلة، فلم يجد أذانا مصغية، فوجد أن الصواب هو إقرار ما هم عليه، لما فيه من أصل في الشريعة ((فانصرف إلى سلامان واصحابه، فاعتذر عما تكلم به معهم وتبرأ إليهم منه وأعلمهم أنه قد رأى مثل رأيهم واهتدى بمثل هديهم، وأوصاهم بملازمة ما هم عليه من التزام حدود الشرع والأعمال الظاهرة...))<sup>(٢٥)</sup>، إن هذا لا يعني أن حيا قد تخلى عن منهجه الأول، بل إنه يعني أنه أقرب بأن الوصول إلى الله تعالى وعبادته يمكن أن يكونا بأكثر من منهج، فهو بعد عودته، مع أسال إلى الجزيرة: ((طلب... مقامه الكريم بالنحو الذي طلبه أولا حتى

عاد إليه...) <sup>(١٨)</sup>.

إن شخصية (سلامان) التي ظهرت أخيراً لم تستطع أن تؤثر في حي تأثير شخصية آسال، على أنها تمكنت من جعل حي يؤمن بصواب النهج الذي اتبعته في عبادة الله تعالى.

ولا بد من الإشارة إلى أن اسمي سلامان وآسال ليسا من ابتكار ابن طفيل بل استعملهما ابن سينا عنواناً لإحدى حكاياته الرمزية الرائعة التي لم تحصل إلينا بسننصها الأصلي <sup>(١٩)</sup>، على أنه ليس مبتكرهما، إذ اقتبسهما من حكاية يونانية ترجمها حنين بن إسحاق (٢٦٠هـ) إلى العربية <sup>(٢٠)</sup>، وهذا الاقتباس مقتصر على لفظي الاسمين دون دلالتيهما <sup>(٢١)</sup>، وقد ذكر أن اسمي سلامان وآسال وردا في إحدى قصص العرب، ولكن بدلالة مختلفة <sup>(٢٢)</sup>؛ على أن الملاحظ أن ابن طفيل أورد آسال من دون باء (آسال) كما رأينا.

إن شخصية (حي بن يقظان) لدى ابن طفيل، في نموها العرفي الكبير، تفيد فكرة كبيرة ذات طابع عرفاني، أراد ابن طفيل قولها، وهي (إن في وسع الإنسان أن يرتقي بنفسه من المحسوس إلى المعقول بحيث يستطيع بعقله أن يصل إلى معرفة العالم ومعرفة الله) <sup>(٢٣)</sup>، من غير لغة

## شخصية حي والحوار:

بدا الحوار فاعلاً في جلاء سمات شخصية حي ابن يقظان على نحو يساعدنا على إتمام رسم صورة هذه الشخصية، فالحوار من أكثر أدوات الكاتب القصصي في إظهار معالم الشخصيات القصصية، وطبيعتها، وثقافتها، إذ إن الحوار (من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات) <sup>(٢٤)</sup>.

وسوف يقتصر عرضنا للحوار على حكايتي ابن سينا، فقد ترك السارد الذاتي فيهما فسحة للشخصيات لتتجاوز، وتبين عن نفسها وأفكارها، على أن الحوار لم يظهر لدى ابن طفيل، فقد تولى السارد العليم إدماج الحوار في سرده، فأصبح الحوار، في (حي بن يقظان) لابن طفيل، مادة سردية فرغنا منها، وشمل ذلك حوار حي مع آسال، وسلامان وقومه، وحواره الداخلي أيضاً.

وفي حكاية (حي بن يقظان) لابن سينا أتاح السارد لحي أن

يتحدث عن أصله ومهنته وما يراه بصيغة المتكلم، بعد أن سألته عن هذه الأشياء، يقول: ((.. وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مساءلته عن كنهه أحواله، واستعلامه سنته وصناعته، بل اسمه ونسبه وبلده. فقال: أما اسمي ونسبي فحي بن يقظان، وأما بلدي فمدينة بيت المقدس، وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العوالم حتى أخطت بها خيراً، ووجهي إلى أبي وهو حي، وقد عطوت منه مفاتيح العلوم كلها، فهداني الطريق السالكة إلى نواحي العالم حتى زويت بسياحتي آفاق الأقاليم)) <sup>(٢٥)</sup>.

إن جواب حي ذو دلالة رمزية أبان عنها ابن سينا سابقاً بيانه الآخر عن حي بن يقظان، فضلاً عن شارح رسائله، فدلالة الاسم قد عرفناها سابقاً، مما اقتضاه هذا البحث، فقوله: (وأما بلدي فمدينة بيت المقدس) أي أنه ينتمي إلى (العالم المقدس عن القدس بالحسيات والبصريات) <sup>(٢٦)</sup> فهذه المدينة ترمز كما لاحظنا إلى (العالم العقلي المقدس من الدنس بأحوال الحسيات) <sup>(٢٧)</sup> ومعنى المقدس هو المظهر فعالة عقلي خالص لا تعلق فيه بأي شيء حسي عند دنسنا.

أما قوله (وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العوالم حتى أخطت بها خيراً) أي أنه يرمي إلى اتباع التعقل بحقيقته وماهيته، أي بمعرفة (جنس التعقل من المبدأ الأول الذي ملكني مفاتيح العلوم بسعادة الموجودات دفعة واحدة...) <sup>(٢٨)</sup>، أي من الله تعالى.

ويبدو جواب حي عن سؤال السارد الذي قرأناه جواباً ذا طابع رمزي فلسفي يؤكد دلالة اسم حي بن يقظان التي عرفناها سابقاً، ولا نريد الذهاب ببحثنا إلى آفاق فلسفية تبعد عن طابعه الأدبي، فسؤال السارد عن الاسم والأصل والبلد والحرفة، وجواب حي بن يقظان عنها حقق حواراً في شروطه الأدبية الأولية <sup>(٢٩)</sup> التي تقتضي القول وجوابه في الأقل، مما ظهر أيضاً في سؤال السارد حياً عن الفراسة <sup>(٣٠)</sup>، وعن سبيل السياحة <sup>(٣١)</sup>، وأجوبة حي عنهما، التي تكون أحياناً حديثاً طويلاً يتسبب الطابع القصصي لحي ابن يقظان، فضلاً عن حكاية (القدر) التي حملت طابعاً حوارياً مشابهاً، وإن بدا فيه شيء من الاختلاف الذي جعل الحوار في (القدر) أكثر بروزاً وحرارة، فطبيعة الحوار في حي بن

يقظان لم تكن طبيعة فنية، فكما قلنا، يقوم هذا الحوار على إثارة سؤال ثم يأتي الجواب إفاضة في حديث ذي طابع فلسفي أو عرفاني يظهر ملكات حسي وثقافته وقدراته، التي هي، في حقيقةها: ابن سينا وثقافته وقدراته، لذا لم يتمكن الحوار الذي اعتمد ابن سينا في (حي بن يقظان) من إضفاء أو تعميق الطابع الحكائي الأدبي، أو من إضفاء حرارة و حيوية على هذا النص، وإن كان قد أفادنا في معرفة أشياء مهمة عن شخصية حي.

بيد أننا نجد حواراً حيويًا، بعض الشيء، في حكاية (القدر) كان له أثر في قوة المستوى الفني لهذه الحكاية، ذلك أن هذا الحوار جاء أثر لقاء السارد حياً الذي عرفه من قبل، وكان بدء الحوار هنا لحي الذي يادر السارد بسؤاله عن سبب تغير أحواله: ((فأقبل علي يقول: مالي أراك غير العهد الذي عهدته، وغير الألف الذي عرفته، أراك زمر النشاط ذابل الورق ممصوص النقى، معقول الأسلة، رائب النفس، واجم السحنة، بعد عهد بك ضربة تلهب، ونبعاً تموج وإعصاراً تعصف، وشفرة هذاذة الغرب، وجواداً غير مكبوح الجماح... فقلت: كذلك للدهر ضربات واخفاف، والمرء في تصاريفه، فإنه ليكسو ثم ينخسو، ويخلع ثم يخلع، التغير ديدنه. والتبديل خيرا..... وهذا رفيقي لقد

أطاع نزغات الشيطان في جحد القدر، وهو زلوق عن القبضة لا تملكه الحجة..... فقال لي: هون عليك فإن الملك لغيرك، ولقد علم قبل أن خلق ما خلق، وفلق ما فلق.....))<sup>(١١)</sup>.

إن طول فقرات هذا الحوار قد أثر في حيويته وقوته الفنية، فشكوى السارد من رفيقه مثلاً، استغرقت نحو صفحتين، أما جواب حي الأخير فاستغرق ما بقي من صفحات الحكاية إلى آخرها، على أنه يؤكد، أيضاً، ما عرفنا من سعة معرفة حي، وعمقها، وقوة شخصيته.

\*\*\*

إننا في هذا البحث الموجز حاولنا رسم ملامح شخصية حي بن يقظان لدى مبتكرها ابن سينا، وابن طفيل، وإظهار سماتها التي ظهرت من خلال السرد، والشخصيات الأخرى، والحوار، التي لها دلالات رمزية مقصودة، ذات بعد فلسفي.

ورأينا أن لغتنا فسادرة على استيعاب الفكرة مهما دقت أو عمقت، وأن قراءة نصوص تراثنا الإبداع هي ما نحتاج إليه اليوم الذي تشهد فيه شخصيتنا محاولات طمس أو إلغاء، وتواجه بذلك لغتنا تحدياً هي متمكنة منه لو أحسن أبنائها استعمالها، بعد العناية بقراءة مخزونها الكبير والعريق.

## الهوامش

- ٦- حي بن يقظان (أحمد أمين): ١٢٥.
- ٧- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.
- ٨- الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام. د. ناجي التكريتي. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٨٨م: ٢١٩.
- ٩- حي بن يقظان - ابن طفيل. قدم له وحققه: فاروق سعد. دار الآفاق الجديدة. بيروت ط ٢ / ١٩٧٤م. (مقدمة المحقق: ٢٢. فكرة التوحيد عند فلاسفة الإسلام. (بحث) د. عبد القادر موسى حمادي مجلة الفلسفة. قسم الفلسفة، كلية الآداب. الجامعة المستنصرية. عدد ٢. حزيران ٢٠٠٢م: ٦٩.
- ١٠- التفسير القرآني: ٦٦. دائرة المعارف ٢ / ٢٢٦. ابن سينا (السعودي): ١٦٨.
- ١١- الفن القصصي عند ابن سينا: ٥٠٢.

- ١- التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا. د. حسن عاصي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. د. ت: ٢٢١.
- ٢- الفن القصصي عند ابن سينا. (بحث) د. فائز طه عمر. مجلة كلية المعلمين. الجامعة المستنصرية. بغداد. العدد الثامن. نيسان. ١٩٩٧م: ٢٠.
- ٣- دائرة المعارف. بإدارة فؤاد أفرام البستاني. بيروت. ١٩٦٠. ٢ / ٢٠٤.
- ٤- حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي. تحقيق وتعليق: أحمد أمين. مؤسسة الخانجي بمصر. ١٩٥٨م: ١٢٥. عطار نامة أو كتاب فرید الدین العطار وکتابه منلق الطیر. أحمد ناجي القيسي. مطبعة الإرشاد بغداد ط ١ / ١٩٧٨م: ٥٢٢.
- ٥- شخصيات قلقة في الإسلام، عبد الرحمن بدوي. دار النهضة العربية القاهرة / ط ٢ / ١٩٦٤، ١٨، ١٢٥، ١٢٦. حي بن يقظان (أحمد أمين): ١٢٥.



١٢. الكتاب الذهبي للمهر جان الألفي لذكرى ابن سينا. بغداد ٢٠٠٢. ٢٨ مارس.
- إصدار جامعة الدول العربية. مطبعة مصر. القاهرة. ١٩٥٢م: ٤٠٢.
١٣. تاريخ الأدب العربي. د. عصر الدول والإمارات: د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر. ١٩٨٠م: ٥٢٩.
١٤. فيلسوف عالم (دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي) د. جعفر آل ياسين. دار الأندلس. بيروت. د. ت: ٢٩٥.
١٥. ابن سينا ومذهبه في النفس. دراسة في القصيدة العينية د. فتح الله خليف. دار الاحد. بيروت. ١٩٧٤م: ٢٦، ٢٩. التفسير القرآني: ٢٥.
١٦. أثر الفلسفة في القصص الرمزي في التراث العربي الإسلامي (بحث) د. فائز طه عمر. مجلة الثقافة. وزارة الثقافة والسياحة في الجمهورية اليمنية. صنعاء. السنة الثالثة. العدد الثامن عشر. يونيو. يوليو. ١٩٩٥م: ٣٧.
١٧. ابن طفيل، قضايا ومواقف: مدني صالح. دار الرشيد للنشر بغداد. ١٩٨٠م: ٨٥.
١٨. رسائل الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا في أسرار الحكمة الشرقية. اعتنى بتصحيحه: ميكانيل بن يحيى المهرني. مطبعة بريل. ليدن ١٨٨٩م.
- ج/ رسالة حي بن يقظان: ٢.
١٩. التفسير القرآني: ٢٢٢.
٢٠. حي بن يقظان (ابن سينا): ٢٠١.
٢١. م. ن. ٢.
٢٢. فن القصة. د. محمد يوسف نجم. دار الثقافة. بيروت/ ط ٥/ ١٩٦٦م: ١٠٢.
- تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ - ١٩٢٨) د. عبد الحسن طه بدر. دار المعارف بمصر/ ط ٢/ ١٩٦٨م: ١٩٧.
٢٣. تطور الرواية العربية: ١٦١.
٢٤. حي بن يقظان (ابن سينا): ٢٠ (٢٥) م. ن. (٢٦) م. ن. ٢.
٢٥. رسائل الشيخ الرئيس: ١/ رسالة القدر: ٢٠.
٢٦. م. ن. ٥.
٢٧. نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبسيط: جبرار جيليت وآخرون ترجمة ناجي مسطفي. دار الخطابي للطباعة والنشر. البيضاء. ١٩٨٩م: ٤٠٢.
٢٨. رسالة القدر: ١ (٢١) م. ن. ٢٥.
- (٢٢) مدخل إلى نظرية القصة. سمير المرزوقي وجميل شاكر. آفاق عربية (بغداد)، والدار التونسية للنشر. مشروع النشر المشترك. بغداد. ١٩٨٦م: ١٠٠.
٢٩. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٢٢ - ١٢٣. م. ن. ٢٥. طه: ٢٨ - ٢٩.
٣٠. م. ن. ١١٧ - ١٢٠. م. ن. ٢٥. م. ن. ١٢١ - ١٢٢.
٣١. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٢٣ - ١٢٤. م. ن. ٢٨.
٣٢. م. ن. ١٢٢، ١٦٥، ١٧٧. م. ن. ١٠٤. فن القصة: ١٠٤.

٣٣. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٢٠ - ١٢١.
٣٤. م. ن. ١٤٠. م. ن. ١٤٢. م. ن. ١٤٤. م. ن. ١٤٥.
٣٥. م. ن. ١٥٠. م. ن. ١٥١. م. ن. ١٥٢. م. ن. ١٥٣.
٣٦. م. ن. ١٥٨. م. ن. ١٦٤. م. ن. ١٥٩.
٣٧. م. ن. ١٤٤، ١٥٤. م. ن. ٢١٧. م. ن. ٢٢٧. م. ن. ٢٩٠.
٣٨. م. ن. ٢٢٤.
٣٩. حي بن يقظان (ابن سينا): ٥٠.
٤٠. حي بن يقظان (ابن سينا): ١.
٤١. حي بن يقظان (أحمد أمين): ١٧.
٤٢. حي بن يقظان (ابن سينا): ٤.
٤٣. من إقلاطون إلى ابن سينا: جميل صليبا. دار الأندلس. بيروت/ ط ٤/ ١٩٥١م: ١٢٩، ١٤٠، ١٤٥. مقام العقل عند العرب. قدري حافظ طوقان. دار القدس. بيروت د. ت: ٢٢١.
٤٤. الفن القصصي عند ابن سينا: ١٨.
٤٥. رسالة القدر: ١.
٤٦. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٢٢ - ١٢٣. وانظر م. ن. ١٢٧.
٤٧. م. ن. ١٢٨ - ١٢٩. م. ن. ١٢٩. م. ن. ١٣٠. م. ن. ١٣٢.
٤٨. م. ن. ١٣٤. م. ن. ١٣٥. م. ن. ١٣٦.
٤٩. سورة المائدة: ٢١. م. ن. ١٣٠. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٣٠.
٥٠. م. ن. ١٣١. م. ن. ١٣٢. م. ن. ١٣٣.
٥١. م. ن. ١٣٨ - ١٣٩. م. ن. ١٤٠ - ١٤١. م. ن. ١٤٢.
٥٢. م. ن. ١٤٢. م. ن. ١٤٣. م. ن. ١٤٤.
٥٣. م. ن. ١٤٤. م. ن. ١٤٥. م. ن. ١٤٦.
٥٤. م. ن. ١٤٦. م. ن. ١٤٧. م. ن. ١٤٨.
٥٥. م. ن. ١٤٨. م. ن. ١٤٩. م. ن. ١٥٠.
٥٦. م. ن. ١٥٠. م. ن. ١٥١. م. ن. ١٥٢.
٥٧. م. ن. ١٥٢. م. ن. ١٥٣. م. ن. ١٥٤.
٥٨. م. ن. ١٥٤. م. ن. ١٥٥. م. ن. ١٥٦.
٥٩. م. ن. ١٥٦. م. ن. ١٥٧. م. ن. ١٥٨.
٦٠. م. ن. ١٥٨. م. ن. ١٥٩. م. ن. ١٦٠.
٦١. م. ن. ١٦٠. م. ن. ١٦١. م. ن. ١٦٢.
٦٢. م. ن. ١٦٢. م. ن. ١٦٣. م. ن. ١٦٤.
٦٣. م. ن. ١٦٤. م. ن. ١٦٥. م. ن. ١٦٦.
٦٤. م. ن. ١٦٦. م. ن. ١٦٧. م. ن. ١٦٨.
٦٥. م. ن. ١٦٨. م. ن. ١٦٩. م. ن. ١٧٠.
٦٦. م. ن. ١٧٠. م. ن. ١٧١. م. ن. ١٧٢.
٦٧. م. ن. ١٧٢. م. ن. ١٧٣. م. ن. ١٧٤.
٦٨. م. ن. ١٧٤. م. ن. ١٧٥. م. ن. ١٧٦.
٦٩. م. ن. ١٧٦. م. ن. ١٧٧. م. ن. ١٧٨.
٧٠. م. ن. ١٧٨. م. ن. ١٧٩. م. ن. ١٨٠.
٧١. م. ن. ١٨٠. م. ن. ١٨١. م. ن. ١٨٢.
٧٢. م. ن. ١٨٢. م. ن. ١٨٣. م. ن. ١٨٤.
٧٣. م. ن. ١٨٤. م. ن. ١٨٥. م. ن. ١٨٦.
٧٤. م. ن. ١٨٦. م. ن. ١٨٧. م. ن. ١٨٨.
٧٥. م. ن. ١٨٨. م. ن. ١٨٩. م. ن. ١٩٠.
٧٦. م. ن. ١٩٠. م. ن. ١٩١. م. ن. ١٩٢.
٧٧. م. ن. ١٩٢. م. ن. ١٩٣. م. ن. ١٩٤.
٧٨. م. ن. ١٩٤. م. ن. ١٩٥. م. ن. ١٩٦.
٧٩. م. ن. ١٩٦. م. ن. ١٩٧. م. ن. ١٩٨.
٨٠. م. ن. ١٩٨. م. ن. ١٩٩. م. ن. ٢٠٠.
٨١. م. ن. ٢٠٠. م. ن. ٢٠١. م. ن. ٢٠٢.
٨٢. م. ن. ٢٠٢. م. ن. ٢٠٣. م. ن. ٢٠٤.
٨٣. م. ن. ٢٠٤. م. ن. ٢٠٥. م. ن. ٢٠٦.
٨٤. م. ن. ٢٠٦. م. ن. ٢٠٧. م. ن. ٢٠٨.
٨٥. م. ن. ٢٠٨. م. ن. ٢٠٩. م. ن. ٢١٠.
٨٦. م. ن. ٢١٠. م. ن. ٢١١. م. ن. ٢١٢.
٨٧. م. ن. ٢١٢. م. ن. ٢١٣. م. ن. ٢١٤.
٨٨. م. ن. ٢١٤. م. ن. ٢١٥. م. ن. ٢١٦.
٨٩. م. ن. ٢١٦. م. ن. ٢١٧. م. ن. ٢١٨.
٩٠. م. ن. ٢١٨. م. ن. ٢١٩. م. ن. ٢٢٠.
٩١. م. ن. ٢٢٠. م. ن. ٢٢١. م. ن. ٢٢٢.
٩٢. م. ن. ٢٢٢. م. ن. ٢٢٣. م. ن. ٢٢٤.
٩٣. م. ن. ٢٢٤. م. ن. ٢٢٥. م. ن. ٢٢٦.
٩٤. م. ن. ٢٢٦. م. ن. ٢٢٧. م. ن. ٢٢٨.
٩٥. م. ن. ٢٢٨. م. ن. ٢٢٩. م. ن. ٢٣٠.
٩٦. م. ن. ٢٣٠. م. ن. ٢٣١. م. ن. ٢٣٢.
٩٧. م. ن. ٢٣٢. م. ن. ٢٣٣. م. ن. ٢٣٤.
٩٨. م. ن. ٢٣٤. م. ن. ٢٣٥. م. ن. ٢٣٦.
٩٩. م. ن. ٢٣٦. م. ن. ٢٣٧. م. ن. ٢٣٨.
١٠٠. م. ن. ٢٣٨. م. ن. ٢٣٩. م. ن. ٢٤٠.



# الكمارك والمكوس في العراق

٦٥٦ . ١٣٣٣ هـ / ١٢٥٨ . ١٩١٤ م

أ.د. طارق نافع الحمادي  
جامعة بغداد / كلية التربية [ابن رشد]

## لوطنه:

عرفت الأمم والشعوب الضرائب الكمركية منذ أقدم العصور، ويرجع تاريخها إلى العصور التي سبقت تطور المدنية، واقتُرِن وجودها بظهور التنظيم الاجتماعي، وقيام التجارة وتوسعها في المجتمعات القديمة، واتخذت أشكالاً وصيغاً وأهدافاً مختلفة.

ومع أن معظم الدراسات التي تناولت التطور التاريخي لهذه الضرائب لم تتطرق إلى الصيغة التي اتخذتها في العصور القديمة إلا أنه يمكن القول بأنها كانت توفر على التجارة الخارجية (الواردات فقط) بسبب تزايد الحاجة إلى الإيرادات لسد النفقات الكبيرة. ولهذا فإن استخدام الدولة لسلطاتها في فرض الضرائب، لم يكن بهدف حل أو معالجة مشكلة اقتصادية معينة، بقدر ما هو تحقيق أهداف الأشخاص الذين تمثلهم أو تخدم مصالحهم إلا أن هذا لا ينفي بروز بعض الآثار الاقتصادية، بيد أن هذه الآثار لم تكن تقصد لذاتها<sup>١</sup> ويؤكد مير بصري أهمية الرسوم الكمركية مصدراً من مصادر دخل الدولة حتى العصور الحديثة والمعاصرة إذ يقول:

"تؤلف الرسوم الكمركية مصدراً من أهم مصادر الدخل في الدولة، فهي ضريبة غير مباشرة تجمع سهولة الاستيفاء وعدالة التوزيع، ولا عجب إذا ما أصبحت من الضرائب التي تعتمد عليها

الدول على اختلافها ملء خزائنها والأتان بجزء كبير من وارداتها وفي وسعنا القول بأن النظام الكمركي العراقي لم يكن إلى ما قبل بضعة عشر عاماً سوى وسيلة لتأمين إيرادات ثابتة للدولة"<sup>٢</sup>

وخضعت التجارة في العراق بعد فتح العرب المسلمين له لضريبة العشر، واستمر العمل بها طوال أيام الأمويين والعباسيين إلا أنها شهدت بعض التغييرات في نهاية حكم الأخيرين، وتمثل ذلك في زيادة نسبتها، وانحرافها عن الأساس القيمي، وتغيير طرق جبايتها من التحصيل المباشر إلى الالتزام<sup>٣</sup>.

وقبل أن ننهي هذه التوطئة، لابد من الإشارة إلى لفظتي (كمرك) ومكوس. فكمرك كوميرجيو commerico كلمة إيطالية تعني محل الجباية. وقد أخذ العثمانيون الكلمة وأصلها لاتيني commericum كوميرجيو، ودخلت اللغة التركية بعامل القرب والتجارة وأصبح من مدلولاتها المبادلة والتجارة<sup>٤</sup>.

وأما المكس - التي تعني في اللغة الجباية أو الضريبة التي يأخذها الماكس أو العاشر أو العشار - فهو قديم وله ذكر في العصور التي سبقت مجيء الإسلام، وأصبح المكس ضريبة غير مستحبة في الإسلام لما فيها من ظلم وحيف لذا عمل المسلمون

على ازالة معالم الجور منها، وجعلها متفقة مع واقع العرب المسلمين وقدراتهم.

ولم تكن ضريبة (المكس) مقصورة على الاموال التجارية التي تمر بالعاشر من بلد الى اخر بل شملت الاموال التجارية التي تباع في الاسواق، اذ كان يؤخذ عليها المكس دراهم معدودة.<sup>(١٠)</sup>

٢. نظرة تاريخية في الكمارك والمكوس.

أ. الكمارك والمكوس بعد الغزو المغولي للعراق.

كانت الضرائب التي فرضها المغول الايلخانيون استمراراً للضرائب الموجودة في اواخر ايام العباسيين، حتى اننا لا نجد ضريبة ايلخانية الا ولها سابقة في عهد ما من العهود العباسية. ولكن المغول الايلخانيين لم يميزوا بين الضرائب الشرعية وغير الشرعية، طالما انها تحقق لهم الاموال، ولهذا كانت الضرائب الايلخانية اكثر نقلاً مما كانت عليه في السابق.<sup>(١١)</sup>

اما ضرائب العهد الجلائري، فهي الاخرى كانت استمراراً للضرائب السابقة إلا أن انقسام سلطة الجلائريين، والمنافسات الشديدة بين امرائهم، قد أدى الى تنوع الضرائب وزيادة مقدارها.<sup>(١٢)</sup> ولم ير العراق تبديلاً واضحاً في الضرائب المفروضة على التجارة (او المكوس) في عهود القراقسوينلو والاق قسوينلو والصفويين، بل استمرت الاحوال كما كانت عليه حتى دخول العثمانيين بغداد عام ١٥٢٤.

كانت ضريبة التمغا او الطمغا او الدمغة من اكثر ضرائب المكوس التي شاعت في العراق في عهود السبيطرة المغولية والتركمانية وكان يعنى بها السمة او الشارة التي توضع على الاموال التجارية للدلالة على اخذ الضريبة عنها، وصارت اسماً لتلك الضريبة.<sup>(١٣)</sup>

اما اساليب جباية الضرائب في هذه العهود، فقد كانت متعددة كالضمان والجباية المباشرة، وفي كلتا الحالتين فان مقدار الضريبة كان عالياً لدرجة ان الضماناء انفسهم كانوا يعجزون عن دفعها احياناً. ودفع هذا الامر السلطان محمود غازان عام ٧٠٤هـ/١٢٠٢م الى وضع ديباجة قانون لاصلاح احوال الضرائب التي كان يفرضها الايلخانيون، لان جباية الضرائب كانوا يأخذون اضعاف ما هو مطلوب منها من الناس، وذلك باسماء مختلفة للضرائب وحجج شتى.<sup>(١٤)</sup>

زادت ضريبة التمغا في عهود المغول والتركمان، فحسب رواية نصير الدين الطوسي - مستشار هولاكو - ان نسبة التمغا على التجارة كانت ديناراً واحداً في كل مائتين واربعين ديناراً، وبلغت بعد ثلاثين سنة من ذلك نسبة ٤,٥% ووصلت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي نسبة ١٠% واراد حاكم الاق قسوينلو اوزون حسن ان يلغي هذه الضريبة بالكامل ولكن مستشاريه اقنعوه بأن يحددها بمقدار ٥%.<sup>(١٥)</sup> ومما يؤكد الامر ما كتبه المؤرخ العراقي المعاصر عبد اله بن فتح الله البغدادي، اذ قال:

"وكان (اوزون حسن) عادلاً فاراد ان يبطل التمغوات في جميع بلادهم فلم يتركها الامراء، فجعل التمغا من كل عشرين درهما درهماً على النصف، وقل مما كانوا يأخذونه السلاطين الماضية (كناك) وكتب قانوناً في الشكاوى والتخاصم الذي يقع بين الناس وارسلها الى جميع بلادهم بأن يعملوا بموجبها، ولم يغادر من امور العدل شيئاً يقدر عليه الا فعله".<sup>(١٦)</sup>

على أن القانون الذي وضعه اوزون حسن لضبط جباية الضرائب وغيرها، ظل معمولاً به في العراق وفارس واذربيجان حتى زمن الصفويين، كما طبق - مع تعديل طفيف - من قبل العثمانيين.

وبرغم تلك الاجراءات فقد تدهورت تجارة العراق (في بغداد والمدن الاخرى) ونمت التجارة في تبريز، ذلك لأن الطرق الرئيسية لم تعد تمر بهذه المناطق وانما بتبريز - التي اصبحت عاصمة للمغول الايلخانيين وغيرهم - وهذا ما قـلـل من (تجارة الترانزيت) التي كانت تجنيها المدن العراقية<sup>(١٧)</sup>

ب. الرسوم الكمركية في العهد العثماني ١٥٢٤-١٩١٤.

لم يستحدث العثمانيون عند استيلائهم على العراق أي قواعد مالية تغاير تلك التي كانت موجودة في الأزمان السابقة للاحتلال، وانما طبقوا القوانين والرسوم على البضائع المصدرة والمستوردة التي كانت موجودة زمن اسلافهم.<sup>(١٨)</sup>

إلا أنه بمرور الزمن، بدأ العثمانيون باصدار القوانين أو (الفرامين) التي تنظم الضرائب والرسوم والكمارك، وهذا ما ظهر في قانونامة عام ١٥٥١ و١٥٧٤. والملاحظ ان العثمانيين

فرضوا ضرائب على كل ما يخص التجارة ابتداء بعملية نقل السلعة ومروراً بعملية البيع والشراء والوزن وغير ذلك. وقد فرضت على جميع السلع والمنتجات التي تجلب الى الاسواق، بحيث بلغ عددها اكثر من عشرين نوعاً من الضرائب والرسوم والكمارك في ولاية البصرة.<sup>(١٤)</sup> وكانت هذه الضرائب تستحصل تحت تسميات مختلفة مثل ضريبة الباج، التي تعني في ولاية الموصل ما يفرض على السلع والبضائع المارة دون ان تباع في اسواقها (أي ترانزيت)، ولم تكن هناك أسس ثابتة لتقدير هذه الضريبة ولا الى ضريبة التمغلا في ولاية الموصل ولا في الولايات العراقية الاخرى<sup>(١٥)</sup>

وهناك ضرائب على السلع الواردة إذ نجد الإشارة اليها في قانونامة البصرة لعامي ١٥٥١ و١٥٧٤ باسم (رسومات)، وهي الكلمة العربية رسم على المستوردات والصادرات. ويظهر من القوانين الاخرى بيان هذا المصطلح قد استخدم بالتبادل مع كلمة (كمرك)، وهو المصطلح التركي لهذا النوع من الضرائب.<sup>(١٦)</sup>

أما الضرائب المفروضة على السلع الاجنبية فقد حددتها (الامتيازات) التي عقدها العثمانيون مع الدول الاوربية، وبموجبها تقرر تحديد الضرائب المفروضة على سلع هذه الدول بـ ٢٪، في حين ان الضرائب المفروضة على السلع المحلية بلغت حداً أدنى وهو ٦٪، وكان من أهم تلك الامتيازات ما تم عقده مع الفرنسيين في القرن السادس عشر، ومع الانكليز في نهاية القرن المذكور وبداية القرن السابع عشر<sup>(١٧)</sup> وإلى جانب ذلك فقد عقد العثمانيون والانكليز معاهدة عام ١٦٦١، ثبتت التعرفة الكمركية على الرعايا الانكليز بحيث لا تتجاوز نسبة ٢٪ من قيمة السلع، الا انه لم يتم التصديق على هذه المعاهدة الا في عام ١٦٧٥.<sup>(١٨)</sup>

على الرغم من ان الحد الاقصى للضرائب الكمركية كان ٢٪ طبقاً لما جاء في نظام الامتيازات الا ان الولاة العثمانيين في المدن العراقية لم يلتزموا بهذه الاتفاقيات، وفرضوا ضرائب على السلع الاجنبية وصلت نسبتها في مطلع القرن الثامن عشر ٨٪<sup>(١٩)</sup> ومع ذلك فان الالتزام بهذه الضريبة أو بـ ٢٪ كان عرضة للتغيير طوال القرن الثامن عشر، وحتى هذه النسبة لم تكن متساوية بالنسبة لكل التجار الاجانب، فبينما جرى الالتزام بها

بالنسبة للتجار الانكليز والفرنسيين، الا أنها لم تكن كذلك بالنسبة للتجار الاخرين، وفي هذا يحدثنا كارستن نيبور بقوله: "ويضع الاوربيون الذين يتعاطون التجارة مع البصرة ٢ بالمائة رسوما كمركية عن كل بضاعة يجلبونها من الهند، في حين يجب على كافة الاقوام الشرقية دفع ٧ بالمائة رسوما كمركية: وحيث ان بضائع اولئك الاخيرين يجب ان يخمنها موظفو الكمارك، فهي ترتفع في اغلب الاوقات الى اكثر من ذلك".<sup>(٢٠)</sup>

ولما كان التجار العراقيون يدفعون ضريبة استيراد وتصدير قدرها ٨,٥٧٪ من قيمة السلع، فقد شجع هذا الامر (تجارة التهريب)، اذ لجأ التجار المحليون الى انزال بضائعهم القادمة من مسقط مثلاً في الكويت، ونقلها الى الزبير، وتوزيعها الى داخل العراق، لو ارسالتها عبر الطريق الصحراوي الى حلب، تجنباً لمراكز الكمارك العثمانية في البصرة.<sup>(٢١)</sup>

على ان الامتيازات التي كان يمنحها السلاطين العثمانيون للأجانب تدل على القوة ومكانة السلطان، وهي تقرر حقوقاً وواجبات متبادلة بين اطرافها. الا ان ضعف الدولة العثمانية وتدهورها، جعل الامتيازات تأخذ شكل الاتفاقيات التي تفرض على السلطان، وكان على كل حاكم عثماني جديد ان يعترف بها ويجدها فور ارتقائه العرش، وهذا ما ينطبق على معاهدة ١٨٢٨ والمعاهدات الاخرى التي تلتها.<sup>(٢٢)</sup>

جرى في عام ١٨٢٨ عقد معاهدة (بلطة ليمان) مع بريطانيا وفرنسا والنمسا تقرر بموجبها فرض ضريبة كمركية موحدة على البضائع المستوردة قدرها ٥٪ من قيمة البضاعة تفرض ٢٪ منها عند تفريغ البضاعة المتسوردة و ٢٪ عند بيعها في ميناء التفريغ أو عند نقلها الى الداخل. أما رسوم التصدير فقد كانت ١٢٪ من قيمة البضاعة. تؤخذ ٩٪ ضريبة محلية خاصة و ٢٪ في حالة الشحن الى الخارج.<sup>(٢٣)</sup> الا ان هذا النظام. على حد قول غنيمه. لم يطبق في العراق الا في مرحلة تالية.<sup>(٢٤)</sup>

عادت الدولة العثمانية في عام ١٨٦١ الى عقد معاهدات جديدة مع الدول الاوربية فرفع رسم الاستيراد من ٥٪ من قيمة البضاعة الى ٨٪ وخفض رسم التصدير من ١٢٪ الى ٨٪ مع خفضه سنوياً بمعدل ٦٪ حتى يبلغ ١٪ وقد بلغ هذا الحد فعلاً عام



١٨٦٩. <sup>(١٨)</sup> ويعد الدكتور محمد سلمان حسن معاهدة ١٨٦١ تقدما ملحوظا في العلاقات التجارية العثمانية - الاوربية، ذلك لأن رفع رسوم الاستيراد قد عاق نسبيا تدفق البضائع الاجنبية الى الداخل، ولهذا فقد ازداد مجموع قيمة صادرات ولايتي بغداد والبصرة نسبة ٢٥% في المدة من ١٨٦٤. ١٨٦٨، بينما ازدادت قيمة الاستيرادات نسبة ٥% للمدة نفسها. <sup>(١٩)</sup>

البلاد تعتمد على مايردها من سلع وبضائع اوروبية عبر العراق. الا ان ذلك لم يحل دون بقاء تلك التجارة مزدهرة ببعض الشيء، كما يستدل على ذلك من ان قيمتها كانت تبلغ في اواخر القرن التاسع عشر حوالي ٥٠٠,٠٠٠ باون.<sup>(١)</sup>

والواردات البريطانية وجعلها ١١٪ وهي اعلى من الضريبة المفروضة على التجارة الوطنية. وعندما اراد كلوديوس ريج - الوكيل السياسي البريطاني - أن يذكره بما للبريطانيين من حقوق معينة أخرجتها الامتيازات المعقودة مع الدولة العثمانية اجابه بخشونة "وقال بأنه لا يقبل اي حق اوروبي خاص ببغداد".<sup>(١١)</sup>

٢. المراكز الكمركية العراقية وادارتها.

كانت مدن بغداد والبصرة والموصل اهم المراكز التجارية في العراق. وهي مراكز لتجارة الترانزيت، وفيها كانت تجري جباية الضرائب وادارتها، فضلا عن وجود مراكز متفرعة للقيام بمثل هذه الاعمال المماثلة بتوجيه من الحكومة واحسانا دون علمها وموافقتها.

ومما يذكر ان الاشارات الواردة من نهاية القرن السادس عشر تشير الى وجود (دار للمكوس) في بغداد والبصرة والموصل، وكانت هذه الدور تقوم بجباية المكوس، عن طريق مسؤول عثماني فيها. اذ يشير الدكتور ليونهارت راوولف الذي زار بغداد عام ١٥٧٤ الى وجود دار للكمارك فيها.<sup>(١٢)</sup> واكد الرحالة الانكليزي جون الورد Eldred الذي زار العراق عام ١٥٨٢ عن وجود (دار للمكوس) في بغداد، يتم بواسطتها جباية الضرائب من القوافل التجارية، ويتعهد أحد التجار بجمع المبلغ وتسليمه الى المسؤول العثماني في الدار.<sup>(١٣)</sup> كما ذكر وجود (دار مكس) للعثمانيين في القرنه حيث يدفع التجار ضريبة على سلعهم هناك.<sup>(١٤)</sup>

وبسبب تدفع ضرائب الكمارك التجارية في مدينة بغداد والموصل نفسها، فإنها تسجل في القرنه وتدفع في كمرك البصرة، وكذا هو الشأن بالنسبة للقوافل التجارية القادمة من حلب الى البصرة عن طريق بادية الشام أو البضائع التي تجلبها السفن عن طريق شط العرب الى البصرة.<sup>(١٥)</sup>

اصبحت ادارة الكمارك في العراق اكثر انتظاما في القرن السابع عشر، وربما يعود ذلك لكون العثمانيين عينوا موظفا لهذه المهمة يدعى (امين كمرك بغداد).<sup>(١٦)</sup> ويمكن ملاحظة ذلك ايضا مما ذكره تافزنيه عام ١٦٥٢ من ان رجال الكمارك في بغداد يدنون ثبنا بالسلع والبضائع التي يحملها التجار الى المدينة وينقلونها الى (دار الكمرك) حيث يستلمها التجار بعد ثلاثة ايام

بعد دفع ما عليها من رسوم الكمرك وهذا كله يتم بنظام تام، دون ما جلبه ولا ضوضاء.<sup>(١٧)</sup>

واتخذت الادارة الكمركية في البصرة، على عهد ال افراسياب (١٥٩٦-١٦٦٨) إجراءات طيبة في التعامل مع التجار الاجانب، ولاسيما ان افراد هذه الاسرة قد فتحوا ابواب البصرة للتجارة الخارجية، مما دز عليهم موارد كبيرة من الرسوم الكمركية لكن هذه الرسوم لم تكن الوحيدة، بل كان على التجار ان يدفعوا اضعافها في المراكز الكمركية الفرعية التي كانوا يمرون بها ما بين البصرة وبغداد، وهذا ما نجده في وصف الرحالة الايطالي سبستيان، الذي زار العراق ثلاث مرات في القرن السابع عشر.<sup>(١٨)</sup>

وفي القرن الثامن عشر، اصبح للكمركجي (موظف الكمرك) مكانة خاصة، اذ كان يعد من اعيان المدينة بحيث ان متسلم البصرة كان يستلعيه مع القبودان (قائد البحرية) والدفتردار والقاضي حيث تستوجب الحاجة ذلك، لمذاكرة الشؤون المهمة.<sup>(١٩)</sup> وفي بغداد اصبح للكمارك مركز عرّف ب (دار الكمرك) فاحتل بناية المدرسة المستنصرية، الواقعة على نهر دجلة، وهذا ما اشار اليه نيبور عام ١٧٦٢، بل إن القسم الاعظم من هذه البناية قد تحول الى خان ينزل فيه اصحاب القوافل التجارية.<sup>(٢٠)</sup> وظلت هذه البناية منذ ان اشار اليها نيبور عام ١٧٦٢ وطوال القرن التاسع عشر<sup>(٢١)</sup> وبداية القرن العشرين (دارا للكمرك) إذ ترسو عندها البواخر، لأن المبنى يقع على ضفة نهر دجلة قرب الجسر، وفيها تنفض البواخر بضائعها، الى ان يتسنى لاصحابها ان يرسلوها بالقوافل الى البلاد المجاورة، وفيها تجمع ايضا السلع والبضائع العراقية والفارسية ريثما يتم شحنها بالبواخر الى اماكن تصديرها.<sup>(٢٢)</sup>

وكما هو الحال في القرن السابع عشر، عرفت عدة مراكز كمركية فرعية ما بين بغداد والبصرة، بل ان العثمانيين كانوا يعينون بعض القوات الانكشارية لتحصيل الرسم الكمركي من البضائع التجارية التي تمر بالمراكز الرئيسية. أما المراكز الفرعية، وخاصة التي تقع على نهر الفرات صعودا الى بغداد، فقد كانت تفرض عليها رسوم كمركية سبع مرات، وكان موظفو الكمارك، أو شيوخ القبائل المتنقلون، كقبائل المنتفق والخزاعل،

هم الذي يقومون بجبايتها لصالحهم على ان البضائع الاوربية التي تصعد نهر دجلة عند ارتفاع مناسبه كانت تتجنب مثل هذه الرسوم العديدة اذ لا يدفع عنها سوى ضريبة واحدة في البصرة، واخرى في القرنة، حتى تصل الى بغداد.<sup>(٣٧)</sup>

وكانت هناك دار للكمرك في الموصل، اشار اليها نيبور عام ١٧٦٦، اذ نقلت بضائعه اليها وتم اخراجها لقاء دفع مبلغ قليل من النقود لاحد المستخدمين في تلك الدار، اطلق عليه اسم (أجور اخراج كمركي).<sup>(٣٨)</sup>

ظلت مراكز بغداد والبصرة والموصل تمارس جباية الضرائب الكمركية على البضائع التي تدخل العراق وتخرج منه، حتى بدء الاسلاح الكمركي في هذه البلاد عام ١٨٦٤، وفيه تم تعيين موظف للكمرك يعرف بـ (الناظر) او المدير العام ومقره في بغداد، ويتصل مباشرة بالادارة المركزية العثمانية في اسطنبول وتحت إمرته مديرا مقر احدهما بغداد ومقر الثاني البصرة، ويسمى الموظفون الاقل مرتبة بالمأمورين ويعينون في المراكز الحدودية مثل خانقين وقزل رباط (السعدية) ومنديلي وبدره، وفي منطقة شط العرب في النشوة والقرنة، وعلى نهر الفرات في سوق الشيوخ، وعلى نهر دجلة في قسلة علي صالح والعمارة وكوت العمارة والصويرة والكاظمية.<sup>(٣٩)</sup>

ومما يذكر ان المراكز الكمركية لم تكن مهياة تماما لحفظ البضائع والسلع في مستودعاتها. فكمرك البصرة قبل الحرب العالمية الاولى لم يكن محفوظا من الامطار فكانت مياهها تضر بالسلع والبضائع المتركمة المعدة للشحن الى بغداد، ولم تتمكن السفن القليلة من نقلها، وقد بلغت الشكوى ذروتها، ولا سيما ان شركات الضمان كانت مسؤولة عن ذلك الضرر ودفع ثمن البضاعة المعطوبة.<sup>(٤٠)</sup>

في طرق جباية الكمرك ووارداتها.

يرجح ان يكون نظام الالتزام قسدا وافق ضعف الولاة العثمانيين في العراق نهاية القرن السادس عشر فعندما عجز هؤلاء الولاة عن جمع الاموال بانفسهم، منحوا آخرين حق جمعها بطريقة الالتزام.<sup>(٤١)</sup>

وان اول وثيقة عثمانية تشير الى منح الرسوم الكمركية

اشخاصا معينين بطريقة الالتزام قد وردت اليها عام ١٦٢٩ وفيها منح كمرك بغداد بالالتزام شخصا ارمنيا يدعى (سفر) ثلاث سنوات على ان يدفع في السنة الاولى ٢٥٠٠٠ قرشا، وفي السنة الثانية ٤٠٠٠٠ قرشا وفي السنة الثالثة ٤٥٠٠٠٠ قرشا، وكان التزامه يشمل القصابية وميزان الحرير والصبغة والمديغة والاحتساب ودار الضرب والتمغ وغيرها من الضرائب. واصبح (سفر) يتصرف بهذه الامور بالطريقة ذاتها التي يتصرف بها امنا، الكمرك العثمانيون.<sup>(٤٢)</sup>

الا انه بعد سنوات من ضبط (سفر) لالتزام كمرك بغداد وتوابعه، رفع عنه العقد واحيل الى شخص اخر، وجاء في الامر: "بما ان حسابات المدعو (سفر) الذي في عهده مقاطعات كمرك بغداد وتوابعه لم ينظر فيها منذ ابتداء الفتح. أي سنة ١٦٢٩. فقد رفع عنها واحيلت تلك المقاطعات على اسكندر ابن سانوس من سكة حلب، وذلك لمدة ثلاث سنوات بتمويل واحد ببديل سنوي قدره ستون الف قرش وذلك ابتداء من غرة ربيع الآخر سنة الف وخمس وخمسين، ما جعلوا رجاله القادمين كذا اليكم يضبطون المقاطعات ويأخذون ويقبضون محصولات التي تنتج خلال مدة تحويله على ان تخرج بعد هذا براءته ولا تجعلوا (سفرا) المرفوع (عن المقاطعات) او أحدا غيره يتدخل في الامر ويتعرض له). حرر في اليوم التاسع والعشرين في صفر سنة خمس وخمسين والف (١٦٢٥) بمقسام القسطنطينية.<sup>(٤٣)</sup>

واللافت للنظر ان واردات هذا الالتزام قد احييت لسد جانب من نفقات الدولة العسكرية، فقد ورد فرمان للسلطان موجه الى محافظ بغداد (واليها) درويش محمد باشا وقاضيه ودفتر دارها بتاريخ ١٦٤١/١٠٥٠ بأمر منه بأن يؤخذ من بدل (التزام الكمرك) المحال مقطوعا بستين الف قرش سنويا ما هو ثمن الف ومائة وخمسين اوقية لحما التي تعطى يوميا للانكشارية والطوبجية والجبجية (هم صنوف من الجنود)، وذلك بحساب ثمن الاوقية تسع اقجات.<sup>(٤٤)</sup>

وتدل الحوادث التاريخية على ان كمرك بغداد ظل يحال بطريقة الالتزام في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وان

موارده قد احتفظت بمستواها. فقد ورد في احدى الوثائق بان مقدار التزام كمرك بغداد بلغ في سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧٢م ٤,٤٠٠,٠٠٠ اقجة<sup>(٥٠)</sup>

استمر الالتزام طريقة لجباية الرسوم الكمركية في القرن الثامن عشر. فقد اشار الرحالة البريطاني جاكسون الذي مر بالعراق عام ١٧٩٧ الى انه التقى ((بأحد رجال الكمارك بعد خروجه من سوق الشيوخ وهو من سكنة اسطنبول، وقد اشترى هذه الجباية بقيمة غير ضئيلة)).<sup>(٥١)</sup>

كانت الرسوم على التجارة في بغداد والولايات العراقية الاخرى مصدرا مهما لخزانة هذه الولايات، فقد قدرت واردات ولاية بغداد في عهد المالك (١٨٢١-١٧٥٠) بحوالي مليون قرش، وواردات البصرة بمليون ونصف المليون، وكان الالتزام هو الطريقة لجبايتها.<sup>(٥٢)</sup>

على ان هذه الواردات قد تتناقص كثيرا بسبب اجراءات بعض الولاة فقد حدث ان خفض والي بغداد، سعيد باشا (١٨١٢-١٨١٦) رسوم الكمارك، بحيث ان الوالي اصبح غير قادر على دفع رواتب جنوده، فاضطر الى اخذ قرض من التجار.<sup>(٥٣)</sup>

وهكذا اتبع العثمانيون وكذلك المالك نظام الالتزام اسلوبا لجباية الضرائب المحلية وفي الرسوم الكمركية على حد سواء حتى عام ١٨٢٨ حيث عهد العثمانيون الى الغاء هذا النظام واستبداله بآخر جديد يعطي مهمة جمع الضرائب الى موظف عثماني يعرف باسم ((جامع ضرائب عام)). ومع ذلك فقد كان العثمانيون مضطرين احيانا الى العودة الى اسلوب الالتزام القديم، بسبب ان جمع واردات الكمارك لم تكن كفوءة ولا نزيهة.<sup>(٥٤)</sup>

ولدينا امثلة كثيرة عن موظفين صغار سرعان ما أثروا على حساب الناس.<sup>(٥٥)</sup> فقد نقلت لنا السيدة ديولافوا، أن أحد المصارف في الموصل قد افلس عام ١٨٨٠، وعند مراجعة دفاتره وجد ان احد موظفي الكمرك الصغار قد استطاع براتبه الصغير ان يدخر او يجمع في هذا البنك، مبلغ ستمائة الف فرنك، وهذا ما كان يتقاضاه من رشوة خلال اداء اعماله الرسمية.<sup>(٥٦)</sup>

وجاءت الخطوة التالية لتنظيم جباية الرسوم الكمركية

عام ١٨٦١، حيث ربطت الدولة العثمانية الدوائر الكمركية بالعاصمة اسطنبول مباشرة، وعينت أمينا عاما للرسومات وكان هذا الاجراء كما يقول د. محمد سامان حسن، ((خطوة الى الامام بالنسبة لنظام الالتزام، ولكنه كان قد اتخذ فقط فيما يختص بالرسوم المفروضة على التجارة الخارجية، اما بقية الضرائب فقد استمرت على طريقة الالتزام التي تحيل الجباية الى المزايد الأعلى)).<sup>(٥٧)</sup>

وعلى اثر هذه التغييرات نظم كمرك بغداد والبصرة، وارتفعت الضريبة المفروضة على البضائع الاجنبية المستوردة من ٥٪ الى ٨٪ من قيمة البضاعة، والتزم مقابل ذلك بالغاء جميع الحواجز والضرائب الكمركية الداخلية وهي ضرائب كانت تؤدي الى فرض تكاليف اضافية على البضاعة المستوردة قد تراوح ما بين ١٥٪ - ٥٠٪ من قيمتها. وعد هذا الاجراء مفيدا، لانه جنب التجارة الخارجية كثيرا من المضايقات التي كانت تتعرض لها عند مرورها بمناطق التجمعات القبلية.<sup>(٥٨)</sup>

وفي ضوء متابعة تطور الواردات المالية للعراق، يمكننا ان نتلمس بعض الارقام عن موارد الرسوم الكمركية في الولايات العراقية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ففي عام ١٨٩٢ بلغت إيرادات نظارة كمرك بغداد ١٤٤١٧٠٠٦ قرشا، وازدادت في السنوات التالية زيادات بسيطة<sup>(٥٩)</sup>، ولكنها حققت ارتفاعا ملحوظا عام ١٩٠٧، لتصل الى ٢١٩٢٧٤٢٥ قرشا<sup>(٦٠)</sup>، وذلك بسبب رفع نسبة الضريبة الكمركية على الواردات الى ١١٪.<sup>(٦١)</sup>

على ان نظرة عامة على المدة التي تم تناولها، فان بالامكان اعطاء بعض السمات للنظم والسياسات الكمركية العثمانية في العراق ونتائجها:

١. لم تكن هناك نظم كمركية محددة وثابتة في العراق، انما تغيرت بتغير ظروف الدولة العثمانية، وقد تحددت الرسوم الكمركية بطبيعة الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الاوربية، واصبحت الدولة العثمانية بمرور الزمن ملزمة بتنفيذها.<sup>(٦٢)</sup>

٢. كانت الرسوم الكمركية تهدف الى تحقيق هدف واحد،

البضائع الثمينة وغير الثمينة، وهذا ما أدى الى استفادة سلع معينة وتضرر اخرى.

٥. لم تكن هناك اساليب جباية ضريبية واضحة، وكان نظام الالتزام مثالا سيئا للنظم التي قامت على اساس غير منظمة وغير عادلة، وبرغم محاولات العثمانيين إصلاحه إلا أنهم كانوا مضطرين إلى إعادته بالنسبة للتجارة المحلية.

٦. لم تكن هناك ادارة منظمة للكمارك ولم يجر ذلك الا في منتصف القرن التاسع عشر، وظل موظفو الكمارك العثمانيون غير كفونين ويستخدمون اساليب بشعة للاثراء السريع.

وهو جمع اكبر قدر ممكن من الإيرادات المالية للحكومة، دون استخدامها للتأثير في الواقع الاقتصادي للبلاد وتغييره.<sup>(١١)</sup>

٢. لم تكن الرسوم الكمركية عادلة ما بين التجارة الخارجية والتجارة المحلية، فقد كانت بالنسبة للاولى أقل بكثير مما هي بالنسبة للثانية، وهذا ما أدى الى تدهور الاخيرة وتقلص حجم التبادل بين الولايات، وبالتالي انخفاض الانتاج المحلي وحفز الاستيراد من الخارج.<sup>(١٢)</sup>

٤. فرضت الرسوم الكمركية بشكل واحد على السلع والبضائع المستوردة والمصدرة ولم يجر تفريق واضح بين انواع

## هوامش البحث ومصادره

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عيلة (دار فتيحة، دمشق، ١٩٨٥) ص ٢٥٤.

(٨) العزاوي، تاريخ الضرائب، ص ١٤٦-٢٥٠.

(٩) خصبك، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(١٠) اشتور، المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(١١) التاريخ الفياثي، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني (مطبوعة أسد، بغداد، ١٩٧٥) ص ٩٢، ٢٩٩. ومما يذكر كما يقول مينور سكي. إن هذا التخفيض الى النصف كان من جملة الجباية التي عمل السلاطين البكرون على جمعها، وعلى الرغم منه فإن المعدل صار اثنتي عشرة مرة، بقدر ما كان عليه في ايام المغول.

V.minorsky, Aq - Quyunlu and Land reforms Bulletin of The school of Oriental and African studies, vol.xvii, pt. ٢ (١٩٥٥), p. ٤٥٠.

(١٢) اشتور، المصدر السابق، ص ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٢٢.

(١٣) عبد الرزاق الجزار، العشور أو الضرائب الكمركية في الاسلام، مجلة الكمارك، العددان ٧١ و ٧٢ (تموز ١٩٧٥) ص ٢٠.

(١٤) د. رفعت علي ابو الحاج، الانتاج والتجارة والضرائب في ولاية البصرة خلال القرن السادس عشر طبقاً لما جاء في قانون الولاية، مجلة البحوث التاريخية (ليبيا) السنة ٥ العدد ٢ (يوليو ١٩٨٢)، ص ٢٠٥.

(١) طلال محمود كداوي، الضرائب الكمركية ودورها في التنمية الاقتصادية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة في الاقتصاد، مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد بجامعة الموصل، كانون الثاني، ١٩٨٢، ص ٢٠٢.

(٢) مباحث في الاقتصاد العراقي (بغداد ١٩٤٨) ص ٤١٢.

(٣) الدكتور مظفر حسين جميل، سياسة العراق التجارية (مطبوعة النهضة القاهرة ١٩٤٩) ص ١٠.

(٤) عن لعل كلمة كمر ك انظر: يوسف رزق الله غنيمه، تجارة العراق قديماً وحديثاً (مطبوعة العراق، بغداد، ١٩٢٢)، ص ١١٢. عباس العزاوي تاريخ الضرائب العراقية في صدر الاسلام الى اخر العهد العثماني ١٢٠٢ هـ / ١٢٢٥ م (بغداد، ١٩٥٩) ص ٥٤، يعقوب سر كيس مباحث عراقية (بغداد ١٩٥٥) ج ٢ ص ٢٢٢ وورد في هذا الكتاب بأن كلمة كمر ك قد وردت اول مرة في القرن السادس عشر وذلك في الامتيازات التي عقدها السلطان سليمان القانوني مع الفرنسيين في نصين تركيين قديمين.

(٥) العزاوي تاريخ الضرائب العراقية، ص ١٢٠١.

(٦) الدكتور جعفر حسين خصبك، العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٦٦-٧٦٦ هـ / ١٢٥٨-١٣٥٢ م، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨، ص ١١١.

(٧) نوري عبد الحميد العاني، العراق في العهد الجلائري ٧٢٨-٨١٤ هـ / ١٢٣٧-١٨١١ م، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢١٠. انظر ايضاً: ١. اشتور،



(١٥) علي شاكِر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الموصل (تشرين الاول ١٩٩٢) ص ١٩٦.

(١٦) ابو الحاج، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(١٧) جميل، المصدر السابق، ص ١٢، انظر ايضا، خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٢٨-١٧٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الاداب ١٩٧٦ ص ٤٢٧. ومما يذكر ان فرض ضرائب عالية على التجارة المحلية كان له ردود فعل عكسية كثيرة على السلع المحلية اذ اتبع التجار واصحاب السوق وسائل مختلفة للتخلص من وطأة هذه الضرائب.

(١٨) د. يقظان سعدون العاصر، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة، جامعة البصرة، دار الحكمة، ١٩٩٠ ص ١٦١٥.

(١٩) مراد، المصدر السابق، ص ٤٢٧.

(٢٠) مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥، ترجمه عن الالمانية سعاد هادي العمري (مطبوعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥) ص ٤٥. ويؤكد اوليفيه هذه الناحية ايضا، انظر، رحلة اوليفيه الى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦، ترجمه الدكتور يوسف حبي (مطبوعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨) ص ١٦٤.

(٢١) لمزيد من التفاصيل عن تجارة النهر يرب انظر: حسين علي عبيد القطراني، الزبير في العهد العثماني ٩٧٩-١٢٢٢ هـ / ١٥٧١-١٦٩٤ م، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٨٨ ص ٨٥٨.

(٢٢) ز. ي. هرشلاغ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، نقله الى العربية مصطفى الحسيني (دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢) ص ٦٢٦.

(٢٣) د. حكمت عبد الكريم الحارس، السياسة الضريبية وتطور النظام الضريبي في العراق (القاهرة ١٩٧٢) ص ٢٠٠.

(٢٤) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢٥) سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق (المطبوعة الاميركانية في بيروت ١٩٢٨) ص ٤٦٤.

(٢٦) التطور الاقتصادي في العراق: التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤-١٩٥٨ (سيد، بيروت، ١٩٦٥) ج ١، ص ٢٤٢.

(٢٧) حمادة، المصدر السابق ص ٤٦٤، الحارس، المصدر السابق، ص ٢٠٢، لمحة في احوال بغداد التجارية قبل الحرب (مقالة مترجمة)، مجلة دار السلام، العدد ٥، المجلد ٢، السنة ٢ (١٨)، آذار ١٩٢٠، ص ٧٢.

(٢٨) التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة د. نوري عبد البقيت، مجلة الخليج العربي، العدد (٩)،

(١٩٧٨)، ص ١١٥.

(٢٩) النظام الاقتصادي في العراق، ص ٤٠٢.

(٣٠) جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي ١٨٢٦-١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد (آذار ١٩٧٥)، ص ٢١٦-٢١٥. ومما يذكر ان المصادر الكمركية العثمانية في العراق قد قدرت قيمة تجارة الترانزيت بين العراق وايران في سنة ١٨٨٩ بـ ((٥٤٠,٠٠٠ باون))، في حين قدرتها المصادر الكمركية الفارسية في السنة ذاتها بـ ٢٢٧,٧٩٦ باونا انظر:

G.N. Curzon, persia and the persian qestion (london, ١٨٩٦) vo. ١١ p. ٥٧٧-٨.  
N.B.Harris, from Batum to Baghdad (٢١) (Edinburgh and London ١٨٩٦), p. ٢٨.

(٣٢) الزوراء العدد ١٤٠٢ بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م نقلًا عن حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤ (مطبوعة الارشاد، بغداد، ١٩٨٠)، ص ٩١.

(٣٣) شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ترجمة رؤوف عباس حامد (بيروت ١٩٩٠)، ص ١٧٨.

(٣٤) ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل (مطبوعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧) ج ٢ ص ١٢٧. وحدير بالذكر بأن هذه الخلوة جاءت بسبب نقص في موارد ولاية بغداد، حيث اظهر سعيد باشا، سلف حامد باشا، تساهلاً كبيراً مع البريطانيين.

(٣٥) رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨) ص ١٧٨.

(٣٦) نقلًا عن حسين محمد القهواتي، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ١٥٢٤-١٦٢٨. رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد ١٩٧٥، ص ٤٢٢.

(٣٧) غنيمه، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٣٨) جان باتيست تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنيه، نقله الى العربية وعلق على حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٤٢) ص ٤٩٢، انظر ايضا، مراد، المصدر السابق، ص ٤٢٨.

(٣٩) سركيس، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٨.

(٤٠) العراق في القرن السابع عشر، ص ٧٧.

(٤١) رحلات سيستاني الى العراق في القرن السابع عشر، ترجمها عن الالمانية وعلق عليها الاب الدكتور بطرس حداد، المجلد التاسع، العدد الثالث، المورد، (١٩٨٠) ص ١٨٠-٢٠١.

(٤٢) نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة، ص ١٤.

- (٤٢) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الالمانية د. محمود حسين الامين (دار الجمهورية للنشر، بغداد، ١٩٦٥)، ص ٢٢.
- (٤٤) عندما زار الرحالة الهولندي تنكو مارتينوس ليكلما ما انيهولت ببغداد عام ١٨٦٩، شاهد اول ما شاهد المدرسة المستنصرية التي كانت آنذاك (دائرة للكمارك)، ترسو عندها البواخر وتنقل على ارضيتها الاحمال والاموال انظر، مير بسري، رحلة هولندي في العراق، مجلة الافلام الجزء ٦ السنة ٦ (آذار ١٩٧٠)، ص ٩٢. وهناك وصف مماثل لدائرة الكمارك ببغداد في القرن التاسع عشر عند نايليون مارديتي، تنزه العباد في مدينة بغداد (المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٧) ص ٥٥.
- (٤٥) لحة في احوال بغداد التجارية قبل الحرب، ص ٧٢.
- (٤٦) نيبور، مشاهدات نيبور ص ١٨٦٥ وذكر عيساوي، بأنه يدفع خمسة قروش عن البضاعة عند مغادرتها البصرة، ويدفع ثلاثة قروش عند الحلة، وما بينهما لا يدفع الا القليل، المصدر السابق، ص ٢٨٠.
- (٤٧) اوليفيه، المصدر السابق، ص ١٦٤.
- (٤٨) نيبور، رحلة نيبور الى العراق ص ٢٠١، انظر ايضا: عيساوي، المصدر السابق، ص ٢٨.
- (٤٩) ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي (مطابع علي بن علي، الدوحة، قطر، د.ت) ج ٢ ص ١٠٥٢، انظر ايضا: المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، نقله الى العربية وكتب حواشيه جعفر الخياط (مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧١)، ص ٢٧.
- (٥٠) غنيمه، المورد السابق، ص ١١٢، انظر عن هذا الجانب ايضا، اداموف، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢١.
- (٥١) عيساوي، المصدر السابق، ص ١٨٠.
- (٥٢) حول هذه الوثيقة انظر: سر كيس، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٢، ٢٢٣.
- (٥٣) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٤٠.
- (٥٤) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٣٩.
- (٥٥) مراد، المصدر السابق، ص ٢٢٧. ومن الجدير بالذكر ان البصرة التي

- كانت خلال معظم النصف الثاني من القرن السابع عشر تحت حكم امرة آل الهراسياب قد حنت موارد كثيرة من الضرائب الكمركية. انظر: السكندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمه عن اللغة الروسية الدكتور هاشم صالح الفكريتي (مطابع التعليم العالي بجامعة البصرة ١٩٨٩) ج ٢ ص ٧٥.
- (٥٦) مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧، تعريب سليم طه الفكريتي (مطبعة الاسواق التجارية، بغداد، د.ت) ص ٤٩.
- (٥٧) عيساوي، المصدر السابق، ص ١٨٠.
- (٥٨) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السياح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة (مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤) ص ٥٦.
- (٥٩) اداموف، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٧.
- (٦٠) بيردي فوصيل، الحياة في العراق منذ القرن ١٨١٤ - ١٩١٤، ترجمة الدكتور اكرم فاضل (دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٨) ص ٧٩.
- (٦١) رحلة الى العراق عام ١٨٨١، ترجمة علي البسحري (مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٥٨) ص ٨٢.
- (٦٢) المصدر السابق، ص ٢٤٢.
- (٦٣) اداموف، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨٧.
- (٦٤) عن مقدار هذه الزيادة ينظر سر كيس، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٧، ٢٠٢، وقد استقى ارقامه من سالتامت ولاية بغداد.
- (٦٥) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٠٢، انظر ايضا: غانم محمد علي، النظام المالي العثماني في العراق ١٢٥٥ - ١٣٣٢ هـ / ١٨٢٩ - ١٩١٤ م، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الموصل، (شباط ١٩٨٩) ص ١١٦.
- (٦٦) غنيمه، المصدر السابق، ص ١١٢.
- (٦٧) كداوي، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٦٨) حسن، المصدر السابق ص ٢٢٨.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٤٠، حمادة، المصدر السابق ص ٤٦٥.





# موازنة

## بين آراء ابن مضاء القرطبي وآراء من سبقوه

الدكتور علي رحيم هادي الحلو

### مقدمة

في العاشر من تموز سنة أربع بعد الألفين للميلاد اطلعت على عنوان كتاب: (لتحيا اللغة العربية.. ويسقط سيبويه)، فدعاني ذلك إلى التفكير بدواعي تأليف مثل هذا الكتاب، وسواء من الحملات الباطلة على لغة القرآن الكريم، فوجئت من أوائها وأهمها دعوة (ابن مضاء)، تلك الدعوة التي قيل فيها الكثير. وقد وجدت من المناسب الوقوف عندها أولاً ثم النظر في سواها. والذي نعلمه أن علماء النحو أرادوا في تفهيمهم لقواعد اللغة العربية أن يقرأ الناس القرآن الكريم القراءة الصحيحة، وأن يصلوا. هم وكل دارس. إلى فهم دقيق لآية هالحكيم، وبيان الأحكام الشرعية، وكل ما يتصل بالعبادات والمعاملات التي شرعها الإسلام، وجاءت في كتاب الله المعجز الخالد، وتمتها السنة النبوية، فضلاً عن جوانب لغوية وأدبية أخرى قصد بها ضبط النطق العربي، وكانت العناية بها وتحري صحة لفظها وتراكيبها لا تبعد عن خدمة الهدف الأول؛ لأن تعدد التصانيف اللغوية والأدبية يصب في الغاية الأولى، والسعي الأهم ألا وهو البحث القرآني.

إن الدراسات اللغوية تشعبت. على الرغم من وحدة الهدف؛ لأن الأصل في معاني النحو الإعراب<sup>(١)</sup>، وقد ذهبت مذاهب شتى، وصارت مدارس، وتبع كل مدرسة أجيال من العلماء أبدوا ما ذهب إليه سلفهم، وزادوا بما يقوي حججهم، ويبين صحة

أفكارهم وتقنيدهم حجج مخالفيهم. وقد جمعت تلك الآراء من لدن العلماء الذين نافحوا عنها فتكونت المذاهب النحوية. المدارس النحوية. التي وقفت على رأسها مدرسة البصرة أولاً، ثم أعقبتها مدرسة الكوفة. ولم يمض وقت طويل حتى صار لبغداد مدرسة، ولأندلس والمغرب كذلك. وقد خدمت. وما زالت. تلك المدارس اللغة أي خدمة، ونهت على الشاذ، وبيان المقبول من اللغة بالسماع والقياس.. فقلّبوا أوجه المفردات وزادوا في التراكيب والأساليب وقدموا، وأخروا، وحذفوا.. غير أن قسماً من تلك الدراسات أغرق قسماً من كتب النحو. بخاصة. بجمل أبعده. أحياناً. عن الذوق العربي، حتى قال بعضهم: هذا لم يقل به عربي ولكنه قياس<sup>(٢)</sup>، أو تمرين. فلدغ قسماً من العلماء إلى التفكير بتيسير ما عسر فهمه من تلكم القواعد. وبسبب ما اعتور قواعدها من زيادات أثقلتها، وأخرجتها عن طبعها المتصف بالبسر، وبلوغ المعنى المراد مباشرة. يدل على ذلك ما نقل عن الصحابة (رض) أنهم فهموا لغة القرآن الكريم، من دون ما عناء، إلا قليلاً مما كان يخص بعض الأحكام؛ لكونها تشريعات وأحكاماً جديدة عليهم.

### تمهيد:

لقد بذل العلماء جهداً علمياً خدم اللغة العربية، لا يستطيع بعض المعاصرين تصوره ولا إدراك مداه. فأنحفونا بأرائهم التي وصلت إلينا في مؤلفاتهم/ أو في مؤلفات آخر نقلت تلكم الآراء

إلينا! لكون تلك المؤلفات نفسها لم تصل إلينا. وهذه الآراء ومناقشاتها قومت اللسان العربي على الرغم مما يعاب على امتثلتها. أحياناً، مما قد يوحي بأنها مصنوعة، مثلاً استشهدهم بمجىء جملة الطلب (الاستفهام) صفة، وذلك بتقدير قول قبيلها كي تجري القاعدة:

حتى إذا جن الخلام واختلط

جاءوا بمدق هل رأيت الذئب قط<sup>(١)</sup>

وكذا قول النحاة بجواز النصب والجور في نعت المضاف إلى المصدر إذا كان في المعنى مفعولاً به نحو: إكرام الضيف الحبيب واجب. ف: (إكرام): مصدر مبتدأ مرفوع، ومضاف إلى (الضيف) من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، و (الطيب) نعت لـ (الضيف) مجرور، لكن النحاة أجازوا فيه وفي مثله أن يكون منصوباً نعتاً لـ (الضيف) بحسب معناه، إذ هو في المعنى مفعول به، وهو إعراب بعيد لا ضرورة له، بل لا يتبادر إلى ذهن القارئ.

ومثل ذلك ما قيل في متعلق الجار والمجرور والظرف، إذ يرى النحاة في نحو: زيد في الدار، وزيد عندك، أن الجار والمجرور والظرف ليسا هما الخبر لـ (زيد)، وإنما هما متعلقان بمحذوف تقديره: استقر أو مستقر، ويكون هذا التقدير جملة فعلية: (استقر)، في محل رفع خبر، أو مفرداً (مستقر) هو الخبر. وكذلك الأمر حين يقعان: نعتاً أو حالاً. وفي هذا شيء من التكلف، ولا سيما على الدارسين، ويمهد هذا لأن يهاجم النحاة فيه فيقال: إن المعنى قد تم لدى السامع أو القارئ بذكر الظرف، أو الجار والمجرور، وهما أنفسهما اللذان يقعان خبراً أو نعتاً أو حالاً<sup>(٢)</sup> وكذا مصطلح (الأفعال السماعية)، أو ما يعرف بـ (أسماء الأفعال)، فهي في حقيقة وضعها اللغوي أفعال سماعية، لا تجري على قياس الأفعال المعروفة، لأنها تدل على الحدث والزمان بصيغتها لا بمادتها، ولا يقدح في هذا ورود بعضها على حرفين، ولا عدم اتصال الضمائر البارزة بقسمها الأكبر<sup>(٣)</sup> وبخالفه بعضها لأوزان الأفعال، ولا عدم لحوق نون التوكيد للطلبي منها ولا لحوق التنوين بآخرها، لأنها أفعال سماعية لا تجري على قياس الأفعال المشهورة<sup>(٤)</sup>. هذه أمثلة على شوائب وزوائد رافقت عرض موضوعات النحو، ورافقت تحليلها، بما فيها من تمحل وإطالة،

أذنت بالسماح للرأي المناقض أن يولد ويتزعر، بل أن يصرخ عالياً، بدءاً بظهور المدارس، وبيروز المخالفين لقسم من الآراء، حتى توجت. بما سمي - بثورة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٤٦هـ) في الأندلس.

ولكن هذه الهنات وغيرها. قلت أو كثرت. لا تقدح أبداً في جهد أولئك العلماء الأفذاذ الذين أحكموا صناعة النحو، وفقدوا لأسسه الأولى، وقوانينه، وبرعوا في ذلك، وما قول القائل إن جهد كتاب سيبويه لا ينسب إليه وحده، بل إلى أربعين عالماً إلا رأي ضراح يؤكد دقة تلك القواعد، على الرغم من أننا نجهل الحلقة التي سبقت هذا النضج النحوي، وهذا لا يقلل من حجم الجهد الذي بذل لإخراج قواعد اللغة العربية بثوبها المتكامل الذي وصل إلينا، وهذا الأمر ليس حصراً على النحو العربي، فلقد وصل إلينا قبله الشعر العربي متكاملاً شكلاً ووزناً وتربطاً، من دون أن نعرف البدايات الأولى التي سبقت هذا العمل الأدبي الإبداعي الفني الكبير.

## المبحث الأول

### ابن مضاء، وعصره، وأراؤه

#### القسم الأول: ابن مضاء القرطبي

١. عصره: في أواخر القرن السادس الهجري ثار الموحدون في الأندلس على أصحاب المذاهب الأربعة في المشرق (مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل). قال المقرئ: (تولى يعقوب<sup>(١)</sup> بنفسه قيادة الثورة فأمر بعدم التقليد لأحد من أئمة المشرق، وأن يعود العلماء إلى الأصول - القرآن والسنة - وقد بالغ في ذلك حتى لنجدته يأمر بحرق كتب المذاهب<sup>(٢)</sup>).

إن ثورة الأندلس النجوية - إن صححت التسمية - في أصولها كانت ثورة على الفقه وفروعه، هذا في أول الأمر، إلا أن ذلك تعداه فيما بعد إلى النحو العربي، (فقد تبع ابن مضاء القرطبي قاضي القضاة في دولته فألف: كتاب الرد على النحاة، يريد أن يرد به نحو المشرق على المشرق، أو بعبارة أدق: أن يرد بعض أصول هذا النحو، وأن يخلصه من كثرة الفروع فيه وكثرة

التأويل مستنأ في ذلك بسنة أميره يعقوب، إذ كان يعجب مثله .  
على ما يظهر . بمذهب الظاهرية<sup>(١٢)</sup>، فذهب يحاول تطبيقه في  
النحو<sup>(١٣)</sup> .

٢. حياته: ابن مضاء (هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن  
محمد بن مضاء اللخمي، أصله من قرطبة، وإليه ينسب . ترك  
قرطبة إلى أسبيلية حيث لقي ابن الرماك، فدرس عليه سيبويه،  
وأخذ عنه الحديث الشريف . وواصل الرواية وطلب الحديث  
والفقه، حتى عُد من أكبر محدثي المغرب، وفقهانه في عصره)<sup>(١٤)</sup>

يقول ابن فرحون: (أنه كان واسع الرواية عاليها ضابطها لما  
يحدث به .. وقد عده من أساتذته في العربية ابن بشكوال وابن  
سحنون)<sup>(١٥)</sup> . ولا عرف به ابن مضاء من علم وإيمان بأراء  
الظاهرية (أسندوا إليه منصب القضاء فجعله يوسف بن عبد  
المؤمن قاضي الجماعة في الدولة كلها)<sup>(١٦)</sup> ... (وما نشك في أن ابن  
مضاء كان يشترك مولاه في هذا التعصب، إذ الناس على دين  
ملوكهم، وقد استمر في هذا المنصب . الذي قلده إياه يوسف . حتى  
توفي، وقد بقي فيه كذلك في عهد ابنه يعقوب)<sup>(١٧)</sup> .

يقول شوقي ضيف: (والغريب أنه لم يغب بتأليف كتاب ضد  
فقه المشرق، وإنما عني بالتأليف ضد النحو المشرقي، فقد صب  
عنايته كلها على النحو، إذ ألف فيه ثلاثة كتب، أما أولها فسماه  
(المشرق في النحو)، وينقل أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) نقلاً عنه في  
كتابه (الارتشاف). وأكبر الخلق أن هذا الكتاب ألف ضد المشرق . أما  
الكتاب الثاني فاسمه (تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان)، وليس  
في اسم هذا الكتاب ما يدل على أنه ألف خصومة للمشرق ونعائته،  
غير أن صاحب البغية يقول: إن ابن خروف ناقضه في هذا  
التأليف بكتاب سماه (تنزيه أئمة النحو مما نسب إليهم من الخطأ  
والسهو)، ومعنى ذلك أن هذا الكتاب ألف أيضاً معارضة لنحاة  
المشرق وأرائهم في النحو . وهذان الكتابان لم يصل إلينا، وإنما  
وصل إلينا كتابه الثالث: الذي سماه: كتاب الرد على النحاة)<sup>(١٨)</sup> .

توفي ابن مضاء القرطبي سنة ٥٩٢هـ .

٢. موضوع ثورة ابن مضاء (محتواها):

الذي يلاحظه الباحث أن ابن مضاء عالم، أحاط بعلم الفقه  
الإسلامي، وبعلم العربية، فهو راوية محدث، وفقه عصره،

وكذلك قد قرأ كتاب سيبويه على ابن الرماك، وشرح السيراني  
على الكتاب، ونقل منه نصوصاً، ولا بد أن يكون مطلعاً بدقّة  
على مؤلفات نحوية أخرى، فقد نقل عن كتب ابن جني، ولا  
سيما الخصائص، كما له نقول عن ابن ولاد . شيخ نحاة مصر . من  
كتابه (الانتصار)<sup>(١٩)</sup> . وهذا القول نتيجة منطوقية لمن يتعرض  
لمثل ما بغاه ابن مضاء .

يقول شوقي ضيف: (غير أننا نلاحظ أنه لم يعن بالنحو  
الكوفي، أو على الأقل لم تظهر في كتابه عنايته بهذا النحو،  
ومرجع ذلك . في رأينا . أنه لم يكن حريصاً على التوفيق بين  
مذاهب النحاة، وإنما كان حريصاً على مهاجمة النحو جملة، وقد  
اختار المذهب البصري الذي كان شأننا إلى عصرنا الحاضر،  
فاتخذ مسرّحاً لمعارك مع النحاة)<sup>(٢٠)</sup> .

والذي أذهب إليه أن ابن مضاء إنما تعرض للنحو البصري  
حسب؛ لأن أكثر ما ذهب إليه هو نقول من آراء الكوفيين، ادعاها  
لنفسه، كما سيأتي في المباحث اللاحقة . واني لأزعم أن جل ما  
ذهب إليه ابن مضاء هو تجميع لما قال به علماء سبقوه إلى ذلك،  
لكن آراءهم لم تكن بهذه القوة من الطرح، ولا بهذا الهجوم  
الصريح، ولم تكن لعالم واحد، بل تجد رأياً في قضية ما لعالم،  
 وآخر لغيره وهكذا، مبثوثة في كتب النحو واللغة .

## القسم الثاني

### مصادر آراء ابن مضاء، ونسبة الآراء إلى أصحابها:

من الضروري الالتفات إلى أن ما يسمى بالثورة على قواعد  
النحو وحذف قسم منها، أي من أبواب النحو، ولا سيما ما يخص  
العامل النحوي، كل ذلك قد تعامل معه كثير من العلماء الأوائل  
الذين عاصروا سيبويه، أو جاءوا بعده . ويتحتم على الباحث  
المنصف أن يقف متأملاً فيما يطرحه المتأخرون، وما ينسب  
إليهم، وهو في الحق تجميع لآراء متفرقة، قال بها علماء سبقوا  
المتأخرين الذي أوصلوها إلى الثورة على النحو . ولنا وقفة مع ما  
طرحه ابن مضاء القرطبي . وهو مدار هذا البحث . الذي عثت  
دعوته أول ثورة صريحة وواسعة، في النحو العربي؛ لأنها شملت  
أغلب الأبواب النحوية، ولنتبين رأيه في كيفية عرضها، ومن أين

تأنت له تلكم الآراء؟ وإلى أي مدى كان متأثراً بالدعوة الظاهرية التي أصبحت قانون عصره؟

الذي أزعجه: أن الرجل استفاد من أمور رئيسة فيما ادعاه، منها: الاطلاع الواسع على آراء النحاة المختلفة، وإفادته من الآراء المتناقضة، لبعض من العلماء مع بعضهم الآخر، أي إنه مثلاً حين يدعي أن لا ضرورة لتعليق شبه الجملة بمحذوف، خبراً كانت أو صفة أو حالاً، فهو قد أخذ ذلك من الكوفيين. فقد ذهب إلى ذلك الفراء (ت ٢٠٧هـ) وتابعه ابن السراج (ت ٢١٦هـ) في ذلك. يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري: (إن أبا زكريا الفراء كان المهتم الأول لابن مضاء في دعوته إلى إصلاح النحو، أو على الأقل كان له في الإلهام نصيب وفير)<sup>(١٣)</sup>.

لقد شك ابن مضاء مما وجدته في النحو من آراء ووسائل تعليمية تثقل على الدارس، وفيه علل لأمسوخ لها، فحمله ذلك على بيان ما رآه من الغلط في تلك الآراء، ووضع البديل كما يرى. الذي يتبينه الدارس أن الشكوى من مطولات النحو والتفكير بإيجازها، أو بوضع خلاصات لها ليست جديدة فقد قام خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ) بوضع مختصر سماه (المقدمة) معالاً عمله بقوله: (لما رأيت النحويين وأصحاب العربية قد استعملوا التطويل، وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم في النحو من المختصر، والطرق العربية، والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه، ويعمل فيه عقله، ويحيط به فهمه، فأعنت النظر والفكر في كتاب أولفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين، ليستغني به المتعلم عن التطويل فعملت هذه الأوراق)<sup>(١٤)</sup>.

وكذا الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كان قد عاب على الأخفش القموض في طرح موضوعات النحو، وأنها غير منسجمة الترتيب، فقال له: (أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالناس نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرها؟ وما لك تقدم بعض العويص، وتؤخر بعض المفهوم؟)<sup>(١٥)</sup>.

ومن هذا ما يروى عن (دماذ) صاحب أبي عبيدة، من أنه قرا من النحو باب نصب المضارع بعد (الواو) و (الفاء)، فوجدهم يقولون: إن ما بعدهما ينتصب بـ (أن) مضرة وجوبا، فنبأ

فهمه عن ذلك، وكتب إلى أبي عثمان المازني (ت ٢٢٥هـ). شيخ نحاة البصرة في عصره. يشكو إليه ما لقيه من عنت في ذلك، بهذه الأبيات:

فكرت في النحو حتى مللت

واتعبت نفسي له والبا

واتعبت بغير وأصحابه

بـ طول السائل في كل فن

فكنت بظاهره عالماً

وكنت بباطنه ذا فطن

خلا أن باباً عليه العفا

للفاء يا ليتني لم يكن

وللواو باباً إلى جنته

من المقت أحسن منه قد لعن

إذا قلت هاتوا: لماذا نقا

لن لست بـ آتيك أو تأتين

أجيبوا لما قيل هذا كذا

على الثصب؟ قالوا: لإضمار (أن)

فقد كنت يابكز من طول ما

افكر في بـ آبه أن أجن<sup>(١٦)</sup>

وكنا ورد عن كثير من العلماء جنوحهم للبحوث القصيرة اليسرة. يقول الدكتور نعمة العزاوي: (فنجد أن بعض المؤلفين مالوا في كتبهم إلى أن تكون واضحة جلية، يستطيع المتعلم فهمها، ومعرفة ما فيها من حقائق علمية، وممن عرف عنهم وضوح الأسلوب، وسهولة العرض الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الذي غضب عليه النحاة، فقالوا متذمرين: (إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان)<sup>(١٧)</sup>. وزاد فنذكر آخرين عرفت مؤلفاتهم باليسر والوضوح، فقال: (وقد ظهر عدد من الكتب قصد مؤلفوها أن تكون تعليمية يسيرة، يتجلى ذلك في عنواناتها منها (الموضح)، لابن الأنباري (ت ٢٢٧هـ) و (الإيضاح) لأبي علي الفارسي (ت ٢٢٧هـ)، و (الواضح) لأبي بكر الزبيدي (ت ٢٢٩هـ)، و (الموضح) للحوفي (ت ٤٢٠هـ)<sup>(١٨)</sup>.





## المبحث الثاني

### أقوال العلماء في آراء ابن مضاء وما أراؤه؟

#### القسم الأول

#### آراء العلماء فيما يسمى بـ: ثورة ابن مضاء النحوية

لم يتفق الدارسون على تصويمهم دعوة ابن مضاء في النحو العربي، التي عرضها في كتابه (الرد على النحاة)، بل تباينت آراؤهم. فقد ذهب الدكتور طه حسين إلى أنه فكر في هدم النحو العربي، ولم يفكر في إصلاحه<sup>(١)</sup>. وذكر الدكتور أحمد مكي الأنصاري أن آراء ابن مضاء كانت في معظمها للفراء؛ لأنه ملهمه، فقال: (إن أبا زكريا الفراء كان الملهم الأول لابن مضاء في دعوته إلى إصلاح النحو، أو على الأقل كان له في الإلهام نصيب وفير)<sup>(٢)</sup>. ويصرح الدكتور الأنصاري بسرقة ابن مضاء آراء الفراء (في الخلاف ونسبتها إلى نفسه، دون أن يضيف إليها جديداً، ودون أن يشير إلى صاحب الفضل، أو على الأقل مصدر الإلهام)<sup>(٣)</sup>.

وتقول الدكتورة خديجة الحديثي: (دعا ابن مضاء في (الرد على النحاة) إلى هدم كثير من الأسس التي استقر عليها النحو الشرقي، وكان رده موجهاً إلى البصري بخاصة، وإن كانت دعوته تعم مذاهب المشاركة في النحو)<sup>(٤)</sup>.

ونبهت الدكتورة الحديثي على أن ما آل إليه النحو عامة كان من لدن النحاة المتأخرين - أندلسيين وغيرهم - وحملتهم ما أصابه من فساد، وتشعبات البحث النحوي: (وذلك لأن النحو الشرقي هو الأساس الذي دخل الأندلس، وبنى عليه نحاة هذا البلد دراساتهم النحوية، وهم وغيرهم من المتأخرين أوصلوا النحو إلى ما وصل إليه، وفرعوا بحوثه وشعبوا موضوعاته حتى لفسدوه وأخلوا به)<sup>(٥)</sup>.

وقد ناصر ابن مضاء علماء معاصرون، وتابعوا منهجه، ففي سنة ١٩٢٧م. نشر الأستاذ إبراهيم مصطفى كتابه (إحياء النحو)، وهو يلتقي فيه بثورة ابن مضاء في التخلص من نظرية العامل في النحو، والدعوة بقوة إلى إلغائها<sup>(٦)</sup>.

وأيد علماء آخرون ابن مضاء فيما ذهب إليه، فقد رأى د. شوقي ضيف أن ابن مضاء حاول في دعوته أن يهدي النحاة إلى

سواء السبيل، فقال: (إن ابن مضاء ليحاول في حملته أن يهديهم سواء السبيل....، إذ يراهم ضلوا، وأضلوا الناس في وعاء النحو وشعابه، وكثرة ما فرعوا فيه من فروع، وأقاموا من حجج وعلل، وإنه لينبغي أن ينقض ذلك كله عن النحو)<sup>(٧)</sup>.

وذهب الأستاذ السرطاوي إلى أن ما دعا إليه ابن مضاء من آراء كانت مبتكرة، وفيها جرأة، فقال: (إنه جاء بآراء نحوية مبتكرة لم يسبقه إليها أحد من قبل، حيث نادى باتباعها بما توافرت له من جرأة كبيرة وذكاء وقاد، قل توافرها لباحث غيره في ذلك العصر)<sup>(٨)</sup>.

الذي يتبين مما مر أن العلماء يتباعدون في رأيهم بشأن آراء ابن مضاء، وقد ذهب قسم منهم إلى تأليف كتب أبانت صحة دعوة ابن مضاء. وزادوا على ذلك توضيحاً وتمثيلاً لما راود حلاً لتخليص النحو مما ألحق به، إذ وجدوا - في قسم من المؤلفات والموضوعات طلاس، أو زيادت لا ضرورة لها، أو لا معنى لها، بل يمكن الاستغناء عنها، ولا سيما الدارسون الذين لا يريدون غير ضبط لغتهم قراءة وكتابة.

ولا يصح الحكم للرجل، أو عليه من قول الوقوف على أهم آرائه.

#### القسم الثاني: آراء ابن مضاء

- إن الحكم على ما يسمى بـ (ثورة ابن مضاء)، يتطلب بسط أروءه للبحث، والنظر فيها بدقة. ولا بد من استجلاء اصالتها لنرى: أحقا هي أراؤه؟ أصبح إطلاق مقولة: (نظرية جديدة) عليها؟ يمكن أن يعول الدارسون عليها لتكون بديلاً عن آراء الخليل وسيبويه، والأخفش والكسائي والفراء؟ هؤلاء وغيرهم من رواد علوم اللغة - ولا سيما النحو - الذين أمضوا العمر في تتبع كلام العرب، مشافهة أو سماعاً، أصبح أن الرجل أراد هداية دارسي النحو إلى السبيل الأقوم والصلح وجدت هذه المقامة المنهجية في كتب النحاة الأوائل حقاً؟ وأن فيها من الزيادات ما يجب حذفه والاستغناء عنه؟ أو أن ما ذهب إليه ابن مضاء كان هدفاً للنحو كما ذهب إلى ذلك الدكتور طه حسين؟ أو أن شكوى ابن مضاء كان سببها ما فعله العلماء المتأخرون الذين زادوا في فروع النحو، وفي مناهج بحثه حتى لفسدوه، كما ذهب إلى ذلك

الدكتور خديجة الحديشي؟ ولذا لابد من استعراض مركز آراء ابن مضاء، وبيان الصحيح فيها، أو مدى جدواها.

وقد عرض كثير من الباحثين تلك الآراء فمعظم قدم لها، وبينتها تفصيلاً الدكتور شوقي ضيف عندما نشر كتاب: الرد على النحاة، فقدم للكتاب المحقق دراسة وافية؛ لتوضيح آراء ابن مضاء. وكذا أوجزتها الدكتورة خديجة الحديشي في كتابها: المدارس النحوية. وعرضها الدكتور نعمة العزاوي بموجز واف في كتابه: في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، وغيرهم.

## ب - تحليل آراء ابن مضاء:

مر القول إن ابن مضاء لم يقيم بثورته على النحو المشرقي إلا بعد اطلاعه على كثير من آراء من سبقوه، فكتبناها، وادعاه لنفسه من دون أن يشير إلى أصحابها، فمثلاً (ابن ولاد المصري) (ت ٢٢٢هـ) حمل على فكرة تحكيم القياس في النحو، وذهب إلى أنه لا يصح الطعن على العربي، أو رميه باللحن أو الخطأ، أو تقديم القياس النحوي على المادة المسموعة.. كما هاجم التأويل والتقدير في النحو، وادعاء الحنف والإضرار<sup>(١)</sup>.

وسبقت دعوة ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) دعوة ابن مضاء في التأثير بالمنهج الظاهري، وحملة على النحاة بقوله: (وصناعة النحو ينبغي البعد بها عن صناعة الفلسفة، والوقوف بها عند كلام العرب المأثور عنهم)<sup>(٢)</sup>.

من هذين المثالين. وما سيأتي في البحث. يتبين أن ابن مضاء لم يستدع ما ذهب إليه من أفكار، ولا تريد الإطالة في سرد آراء من سبقوه، وما قاله هو فيه كي لا يطول البحث. ولا بد من الوقوف عند أهم ما دعا إليه من آراء، وذلك: الدعوة إلى إلغاء العامل رفض ابن مضاء العوامل المؤثرة إعرابياً، فقال، (فمن ذلك ادعائهم أن النسب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها ما يكون بعامل لفظي، وبعامل معنوي)<sup>(٣)</sup>. وبعد نقله عن سيبويه في أن حركات أواخر الكلم ثمانية.. وإن العامل أحدثها، قال: (فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بين الفساد)<sup>(٤)</sup>. ثم ينقل لنا بعد ذلك رأي ابن جني (في تقسيم العوامل إلى لفظية ومعنوية، وإنها للمتكلم نفسه لا لشيء

غيره)<sup>(٥)</sup> ثم يقول: (وأما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى، وإنما تنسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية)<sup>(٦)</sup>، ويزيد في هجومه على العامل بقوله (وأما القول بأن الألفاظ يخلق بعضها بعضاً فباطل عقلاً وشرعاً. ولا يقول به أحد من العقلاء، لعان يطول ذكرها فيما المقصد إيجاز، منها: أن شرط الفاعل. أراد به العامل. أن يكون موجوداً حينما يفعل فعله، ولا يخلت الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل، فلا يتصّب (زيد) بعد (إن) في قولنا: (إن زيدا) إلا بعد عدم (إن). فإن قيل لم يرد على من يعتقد أن معاني هذه الألفاظ هي العاملة؟ قيل: الفاعل عند القائلين إما أن يفعل بإرادة كالحیوان، وإما أن يفعل بالطبع كما تحرق النار ويبرد الماء، ولا فاعل إلا الله عند أهل الحق، وفعل الإنسان وسائر الحيوان فعل الله تعالى، كذلك الماء والنار وسائر ما يفعل وقد تبين هذا في موضعه. وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل، ولا الفاظها ولا معانيها لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع.

فإن قيل: إن ما قالوه من ذلك إنما هو على وجه التشبيه والتقريب، وذلك أن هذه الألفاظ التي نسبوا العمل إليها إذا زالت زال الإعراب المنسوب إليها، وإذا وُجبت وُجد الإعراب، وكذلك العمل الفاعلة عند القائلين بها. قيل: لو لم ينسبهم جعلها عوامل إلى تغيير كلام العرب، وحطه عن رتبة البلاغة إلى هجنة العبي، وادعاء النقصان فيما هو كامل وتحريف المعاني عن المقصود بها لسومخو في ذلك، وأما مع إفضاء اعتقاد كون الألفاظ عوامل إلى ما أفضت إليه فلا يجوز اتباعهم في ذلك)<sup>(٧)</sup>.

واعترض ابن مضاء على نسبة العمل إلى العوامل المحذوفة، وقسم العوامل المحذوفة على أقسام ثلاثة: (قسم ما لا يتم الكلام إلا به.... وهي إذا أظهرت تم بها الكلام، وحنفها أوجز وأبلغ)<sup>(٨)</sup>. وهذا العامل قبله. ورفض القسمين الآخرين، فقال: (والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو أتمّ دونه، وإن ظهر كان عيباً، كقولك: (أزيداً ضربته)، قالوا: إنه مفعول به لفعل مضمّر تقديره: اضربت زيدا؟ وهذه دعوى لا دليل عليها... ولا يدعو إلى هذا التكلف إلا وضع: كل منصوب لا بسند له من ناصب)<sup>(٩)</sup>. وقال في النوع الثالث: (وأما القسم الثالث فهو مضمّر إذا أظهر

تغير الكلام، عما كان عليه قبل إظهاره، كقولنا: (يا عبد الله)، وحكم سائر المناديات المضافة، والنكرات حكم (عبد الله)، و(وعبد الله) عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره: ادعوا أو نادوا، وهذا إذا أظهر تغير المعنى وصار النداء خبراً<sup>(١)</sup>.

وجعل من هذا كذلك: النصب بالفاء والواو، فقال: (ينصبون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف بـ (أن)...) ثم يقول: وهذه المضمرات التي لا يجوز إظهارها لا تخلو من أن تكون معدومة في اللفظ. موجودة معانيها في نفس القائل، أو تكون معدومة في النفس، كما أن الألفاظ الدالة عليها معدومة في اللفظ. فإن كانت لا وجود لها في النفس، ولا للألفاظ الدالة عليها وجود في القول فما الذي ينصب إذن؟ وما الذي يضمن؟ ونسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال<sup>(٢)</sup>.

**الذي يظهر للدارس:**

(١) أن ابن مضاء لم يدرك تماماً عمق فكرة العامل، بل طفق يطبق المذهب الظاهري في نهجه هذا، بعيداً عن التعليقات المنطقية التي تقيم المعنى، وتسوّغه لدى المتلقي (متعلماً أو باحثاً)، فابن مضاء يرى أن رأي العلماء في أن: (العامل إما أن يفعل بإرادة كالحَيوان، وإما يفعل بالطبيع كما تحرق النار ويبرد الماء)<sup>(٣)</sup>. غير صحيح لأن تلك العوامل: (لا تعمل بإرادة ولا طبع)<sup>(٤)</sup>.

(٢) أن العلماء الرواد فكروا بدقة في العامل، وهم لم يريدوا به ما ذهب إليه ابن مضاء وعابته عليهم، فهم وجدوا: (أن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي إمارات ودلالات، وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي إمارات ودلالات: فالأمانة والدلالة تكون بعدم شيء، كما تكون بوجود شيء، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان ولردت أن تميز أحدهما من الآخر، فصبغت أحدهما، وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر فكذلك ها هنا)<sup>(٥)</sup>.

(٣) أن العوامل النحوية عندهم علامات لمعرفة مواضع الإعراب وأحواله، وبذلك يهتدى إلى المعاني فيقال للدارس مثلاً: الفعل لا يبد له من الفاعل، والفاعل يرفعه الفعل، والفعل المضارع

ينصب إذا سبقه: (أن) أو (لن)... وإذا سبقه (لم) أو (لا) أو (لام الأمر)... يكون مجزوماً.

وكذا القول في عوامل الجملة الاسمية، فالمبتدأ مرفوع بالابتداء، وإذا دخلت الأفعال الناقصة فيكون المبتدأ بعدها مرفوعاً بها، أو بما كان مرفوعاً به قبل دخولها، وينصب الخبر بعدها.

أما الحروف المشبهة فإذا دخلت على الجملة الاسمية تنصب المبتدأ، وترفع الخبر، أو إن المبتدأ ينطق منصوباً بعد دخولها، وينطق الخبر مرفوعاً على ما كان عليه.

وهذا القول سليم، ولا بد منه؛ لأنك أمام ظاهرة صوتية بينة في النطق، متغيرة بتغير المعنى الذي يريد المتكلم أو الكاتب، ومن دون تحديد لذلك يصبح الكلام فوضى لا ضابط له، إذا أغفلنا تمييز الكلام بالحركات التي هي إشارات، وعلامات المؤثر، فهي أثر جلي للعامل في الكلمة. وأياً كان تفسير العامل، أو تحديده من لدن العلماء، فهو العامل.

(٤) أن ابن مضاء كان دقيقاً واضحاً في موقفه من (العامل)، بل هو قلق غير مستقر على رأي ثابت فيه، فقد ذهب إلى أنه توفيقى، فقال: (وأما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى، وإنما تنسب إلى الإنسان، كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية)<sup>(٦)</sup>.

غير أنه رآه عاملاً لفظياً، في موضوع (التنازع)، فأيد بذلك البصريين في أعمال الثاني بقوله: (ومذهب البصريين أظهر وأسهل فإنه ليس إلا حنف ما تكرر في الثاني، أو إضمار على منذهبهم إن كان فاعلاً)<sup>(٧)</sup>. وزاد في موضع أنه لا يخالف النحويين إلا في مفردة المصطلح أو التوسع فيه فقال: (فمن هذه الأبواب: باب الفاعلين والفعولين اللتين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر، وما كان نحو ذلك، هذه ترجمة سيبويه (رحمه الله)، وأنا في الباب<sup>(٨)</sup> لا أخالف النحويين إلا في أن أقول: علقت ولا أقول: أعلقت، والتعليق يستعمله النحويون...)<sup>(٩)</sup>. ونجد ابن مضاء يتابع ابن جني في العامل في باب (الاشتغال)، في رد العامل إلى المتكلم، فقال: (لما يرفعه المتكلم وينصبه اتباعاً لكلام العرب)<sup>(١٠)</sup>.

(٥) لقد قلب ابن مضاء آراء من سبقه في العامل، وزعم أنه يدعو

## المبحث الثالث

### عامل الاشتغال والتنازع، ولتقدير الضمائر المستنزة

#### القسم الأول: العامل في الاشتغال وفي التنازع:

وهاجم ابن مضاء - فيما هاجم - العامل في مسألتني: الاشتغال والتنازع، ففي الاشتغال رأى أن المتكلم هو الذي ينصب الاسم المتقدم إذا عاد عليه ضمير منصوب، ويرفعه إن عاد عليه ضمير مرفوع، ويجيز الوجهين إن عاد عليه ضمير ان: أحدهما مرفوع والآخر منصوب<sup>(١)</sup>.  
والذي يتبين لي:

#### أ. العامل في الاشتغال:

(١) إن رأي ابن مضاء يصح إذا كان الشغول عنه متأخراً عن الضمير، ولا يصح تقدمه على الضمير المشغول به؛ لأنه لا يجوز أن يبقى الاسم المتقدم متعلقاً من غير إعراب، انتظاراً لموقع الضمير الذي يعود عليه، والذي أميل إليه - هنا - ما ذهب إليه الكوفيون لأنهم يرون أن الفعل المشغول ناصب للاسم قبله، وللضمير العائد عليه<sup>(٢)</sup>.

(٢) جوز العلماء رفع الاسم المتقدم، وإن عاد عليه ضمير نصب، نحو: زيداً ساعدته، وزيد ساعدته، فيكون ما ذهب إليه ابن مضاء في حكمه بنصب الاسم إن عاد عليه ضمير نصب، ويرفعه إن عاد عليه ضمير رفع غير صحيح.

(٣) وأياً كان مذهب ابن مضاء في ناصب الاسم المشغول عنه بالضمير العائد، أو في رافعه، فهو يقرر بشكل غير مباشر بالعامل، بدلالة تقسيمه للضمير المشغول به (ضمير رفع، وضمير نصب)، فهو يجعل العامل المتكلم، لكنه يذهب إلى تعليل آخر عندما يرجع ذلك إلى نوع الضمير العائد. وهنا يتضح الخلط في الحكم من خلال التفسير المتناقض للظاهرة النحوية.

#### ب. العامل في باب [التنازع]:

١. اختار ابن مضاء مذهب الكسائي، فقال: (فمن هذه الأبواب: باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله

إلى الغائه، لكنه أيد النحاة في مواضع. من حيث لا يدري. منها (باب التنازع)، وذلك واضح في أنه استعمل (علقت) بدلاً من (أعملت)، ولم يستطع نفي العامل في هذا الباب الذي يفرض العامل فيه أنرد بجلاء بما فعده العلماء، بل أمعنوا في تفصيلاته. فهو هنا لم يتكرر العامل، بل أبدل مصطلحاً بآخر.

(٦) إن ابن مضاء عظم أحكامه في قسم من مواضع العامل، فقال في مسألة عمل (فاء السببية) و (واو المعية): إن النحاة (ينصبون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف، بـ (أن)، ويقدر (أن) مع الفعل بالمصدر)<sup>(٣)</sup>. وهذا كلام أطلقه ابن مضاء من غير تفريق بين النحاة الذين سبقوه. ذلك أنهم غير متفقين على عامل النصب بعد (فاء السببية) و (واو المعية)، فما ذهب إليه البصريون (النصب بتقدير (أن) مضمرة)<sup>(٤)</sup>. وذهب الكوفيون (إلى أنه منصوب على الصرف، أو الخلاف)<sup>(٥)</sup>. وذهب أبو عمرو الجرمي (ت ٢٢٥هـ) من البصريين (إلى أن الواو والفاء هما الناصبان)<sup>(٦)</sup>.

وكذا كان مذهب الكسائي (ت ١٨٩هـ)، وثعلب (ت ٢٩١هـ) من الكوفيين<sup>(٧)</sup>. وابن النحاس (ت ٢٢٧هـ) من البصريين<sup>(٨)</sup>، إلى أن الفعل منصوب بـ (الفاء) أو (الواو).

وكذا قوله في تقسيم العوامل: (فمن ذلك ادعاهم لن نصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي، وبعامل معنوي)<sup>(٩)</sup>.

وهذا تعميم آخر (أي: النصب بـ (أن) مضمرة) غير دقيق يطلقه ابن مضاء، ذلك أن النحاة لم يتفقوا جميعاً على أن النصب يكون بـ (أن) مضمرة، وكذلك لم يتفقوا على أن خفض والجزم مقصور على العوامل اللفظية. فقد ذهب خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ) من الكوفيين (إلى أن العامل في المفعول معنوي المفعولية، والعامل في الفاعل معنوي الفاعلية)<sup>(١٠)</sup>، ونجد كذلك آراء أخرى، فقد ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف<sup>(١١)</sup>. وكذا تجددهم يرون أنه (عامل نصب الظرف الواقع خيراً)<sup>(١٢)</sup>.

وكذا الأمر في نصب المستثنى عند الكسائي<sup>(١٣)</sup> وذهب السهيلي (ت ٥٨١هـ) إلى أن الإضافة عامل الجر في المضاف إليه<sup>(١٤)</sup>.

مثل ما يفعل به الآخر.. وبين النحويين اختلاف.. وأما أي  
الرايين أحق؟ فرأى الكسائي، والدليل على صحة مذهبه قول  
علقمة:

تعقق بالأرطى لها ولرادهما

رجال فبنتت نبأهم وكليب<sup>(١)</sup>.

والشاهد - هنا - على حذف الفاعل من الفعلين، إذ لو أضمر في  
الأول لقال: (تعققوا)، ولو أضمر في الثاني لقال: لرادوها. أما  
مذهب الكسائي في مثل هذا التركيب فجواز حذف الفاعل  
(الضمير) من الأول<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من أن ابن مضاء رجع مذهب الكسائي - كما مر -  
إلا أنه قال: (ومذهب البصريين أظهر؛ لأنه أسهل، فإنه ليس إلا  
حذف ما تكرر في الثاني، أو إضماره على مذهبهم إن كان  
فاعلاً)<sup>(٣)</sup>.

(٢) كان الأول بابن مضاء - وهو في معرض التيسير - أن يذهب  
مذهب الفراء في (توجه العاملين معاً إلى الاسم الظاهر)<sup>(٤)</sup>. لأنه لا  
حذف فيه، ولا تقدير لضمير، بل فيه تيسير بين.

والذي يلحظه الباحث أن ابن مضاء رجع رأيين: الأول  
للكسائي والثاني للبصريين وترك - فيما أزعج - الأول وهو رأي  
الفراء.

(٢) إن ابن مضاء تابع النحاة - هنا - ورجح رأي الكسائي، ثم وجد  
رأي البصريين أظهر وأسهل، فهو بهذا يذهب مذهب قسم من  
النحاة في تفسيرهم لعامل التنازع، ولم يقل بالغائه.

(٤) منع ابن مضاء صورا من التنازع؛ (لأنه لم يأت لها نظير في  
كلام العرب)<sup>(٥)</sup> هذا ليس رأيه فقد جاء في حاشية (ص ٩٨) من  
كتاب (الرد على النحاة) قول المحقق: (ليس هذا الرأي خاصاً  
بابن مضاء، فمن قبله يقول السيرافي في شرحه على سيبويه: إن  
الجرمي ومن ذهب مذهبه لا يرون إجراء التنازع في الأفعال التي  
تتعدى إلى مفعولين، وكذلك إلى ثلاثة مفاعيل؛ لأن هذا الباب  
خارج عن القياس، وإنما يستعمل فيما استعملته العرب، وتكلمت  
به. وما لم تتكلم به فمردود)<sup>(٦)</sup>. فكان حرياً بابن مضاء أن  
ينسب الرأي - هذا - إلى أهله.

## القسم الثاني:

### اعتراض ابن مضاء على تقدير الضمائر المستترة:

#### أ. اعتراض ابن مضاء على تقدير الضمائر المستترة في المشتقات<sup>(٧)</sup>.

وجاء هذا الموضوع بعد أن اعترض على متعلقات الجرورات،  
نحو: زيد في الدار، فهنا لا يسد من عامل فيها، فإن لم يكن ظاهراً  
يكن مضمراً، أي: زيد استقر في الدار، أو مستقر في الدار؛ فقال:  
(وهذا كله كلام تام لا يفتقر السامع له إلى زيادة (كائن ولا  
مستقر)، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعي هذا  
الإضمار)<sup>(٨)</sup>.

الذي يبدو من تقدير النحاة للعامل أنه تقدير لعنى  
التركيب، لما يحتاج إليه من إبانة، فالجار والجرور ليس ذا معنى  
متكامل، إنما يتطلب أن نعلقه بمشتق لإيضاح المعنى المراد،  
والإعراب معنى، وليس مجرد بيان للعامل حسب.

وقد سبق الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ابن مضاء في هذا، فذهب إلى عدم  
تقدير متعلق شبه الجملة<sup>(٩)</sup>. وتابعه ابن السراج (ت ٢١٦ هـ). وهو  
الأولى.

وقدّم ابن مضاء اعتراضه على تقدير الضمائر المستترة في  
المشتقات على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال<sup>(١٠)</sup>. وذهب إلى أن  
تقدير الضمائر (في أسماء الفاعلين والمفعولين والأسماء العدولة  
عن أسماء الفاعلين والمفعولين والأسماء العدولة عن أسماء  
الفاعلين والمشبّهة بها.. أنه تقدير زائد لو ظهر لكان فضلاً، فعلى  
هذا يكون الإثبات لا دليل عليه قطعي ولا ظني، وإثباته في كلام  
الناس بغير دليل قطعي لا يجوز)<sup>(١١)</sup>.

لقد فات ابن مضاء أن هذه المشتقات تحمل دلالة الحدث فيما  
تحمله فهي تدل على الفاعلية، وتوقع على ما بعدها المفعولية..  
وذلك أمر بين في مباحثها فعندما تقول: زيد قاتل الحق، فثمة  
حدثية في صيغة (قاتل)، كانت عامل نصب فيه، فوقع على  
مفعوله، وكأنه فعل، فانتصب (الحق)، فكيف نهمل هذا؟ وأثره  
في التعبير بين ظاهر بدلالة المعنى والحركة الإعرابية.

## ب. الاعتراض على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال:

قصد. هنا. ابن مضاء تقدير الضمائر في الأفعال في نحو: زيد قام. فقال: (وليس داع يدعو إلى ذلك إلا قول التحويين: الفاعل لا يتقدم)<sup>(١)</sup>.

وذهب إلى القول بأن (الأظهر أن دلالة الفعل على الفاعل لفظية)<sup>(٢)</sup>. وبين أن معرفة الفاعل من صيغة الفعل كالحروف المبدوء بها المضارع (أنيت)، فالحمزة للمتكلم، والنون للمتكلمين، والياء للغائب والغائبة.... والذي أراه.

(١) لقد سبق النحاة ابن مضاء إلى القول بذلك، أي: في الاستدلال على نوع الضمير من شكل الفعل وهيئاته فما الجديد في هذا؟

(٢) إن ضرورة تقدير الضمير في مثل: زيد قام، هو مذهب البصريين ذلك أنهم لا يجيزون تقدم الفاعل على فعله؛ لأنهما متلازمان فالفعل والفاعل يكونان جزأين لتركيب واحد، اقتضي فيه تقديم الفعل على فاعله، وكما لا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها لا يجوز تقديم الفاعل على فعله.

غير أن الكوفيين قالوا بجواز تقديم الفاعل، وزعموا أن الفعل في: زيد قام، لا يستدعي تقدير ضمير في (قام). ولكن هذا الزعم يتهاوى إذا كان الفاعل غير الاسم المتقدم، نحو: زيد قام أخوه. وزيد قام غلامه. فهذه وأشباهها تراكيب وضع فيها الفاعل المتصل بضمير يعود على الاسم المتقدم قبلها. وكذا في: الزيدان قاما. والزيدون قاموا، والهندات قمن. فالضمائر هنا: الف الاثنين، و: واو الجماعة، و: نون النسوة، قامت مقام الفاعل، ذلك أنها محكوم باسميتها، وأما القول إنها علامات للتثنية والجمع: فقول بعيد عن الدقة، ذلك أنها فاعل في تراكيب آخر، نحو: استعينا بالله، و: استعينوا بالله، و: استعن بالله.... فما القول في هذه الضمائر؟ أن عقل جعلها علامات؟ أليست هي الفاعل؟ ولماذا نعتها هنا فاعلا وهناك علامات؟

ثم ما القول في إيقاع عامل آخر على هذا الفاعل المقدم في نحو: زيد قام. فنقول: إن زيدا

قام. أو: عرفت زيدا قام.. وأشباهها؟

لقد وقع من ذهب إلى تقديم الفاعل على فعله في وهم كبير، وكذا في منعه تقدير الضمائر المستترة، فمثلا قوله تعالى: (الذي

خلقني فهو يهدين) (الشعراء: ٧٨)، يجب تقدير ضمير مستتر ليكون فاعلا، ورابطا لجملته الصلة، ومن دون هذا التقدير تبقى الصلة من غير غائد، وقد ذهب جمهور النحاة إلى وجوب وجوب العائد في جمل: الصلة، والخبر والحال والصفة.. إن العلاقة التلازمية بين الفعل وفاعله تقضي بمنع تقديم الفاعل على فاعله؛ لأننا نلاحظ أن قسما من الأفعال تبتى مع ضمير الفاعل المتصل بها، قلت، وقلت، وقلنا، وقلن (للماضي)، ويقلن (للمضارع)، وقلن (ل الأمر)، وقالوا.... إلى غير ذلك من الأمثلة، مما يشير إلى تعثر تجاهل هذه الضمائر وجعلها علامات أولاً، ثم لاحظ التلازم بين الفعل والفاعل، وكأنهما جزء واحد ثانياً، لأن الفاعل جزء ملازم لفاعله.

## المبحث الرابع

### اعتراض ابن مضاء على العوالم المحذوفة

وجد ابن مضاء (أن المحذوفات في صناعتهم على ثلاثة أقسام: محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقولك لمن رأيته يعطي الناس (زيداً)، أي: اعط زيدا. فتحذفه وهو مراد، وإن أظهر تم الكلام به، ومنه قوله تعالى: (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً) (النحل: ٢٠)، وحذفها أوجز وأبلغ)<sup>(٣)</sup>، وهذه يقبلها ابن مضاء.

### والقسم الثاني: محذوف لاحاجة بالقول إليه، بل هو تام

دونه، وإن ظهر كان عيباً، كقولك: أزيداً ضربته؟ قالوا إنه مفعول مضمر تقديره: أضربت زيدا؟ وهذه دعوى لا دليل عليها، إلا ما زعموا من أن (ضربت) من الأفعال المتعدية إلى واحد، وقد تعدى إلى الضمير، ولا بد لزيد من ناصب، إن لم يكن ظاهراً فمقتر.... ولا يدعو إلى هذا التكلف إلا وضع: كل منصوب فلا بد له من ناصب)<sup>(٤)</sup>. فهو يرفض هذا النوع على صحته؛ لأن الاسم المنصوب لا يكون منصوباً لذاته؛ إنما المعنى هو الذي قاد إلى ذلك. أقصد أن عاملاً اقتضى نصيبه ليؤدي معنى مراداً، وكان نصيبه لغرض بيان المعنى، والعلامة إشارة لبيان المعنى، لأننا نفهم أن علامات الإعراب جيء بها لبيان المعنى الذي يتحصل من خلال



الإعراب، والإعراب والمعنى على هذا متلازمان.

### أما القسم الثالث: (فهو مضمرة، إذا أظهر تغير الكلام عما

كان عليه قبل إظهاره، كقولنا: يا عبد الله، وحكم سائر المناديات المضافة والنكرات حكم (عبد الله) ... و(عبد الله) عندهم منصوب بـفعل... وهذا إذا أظهر تغير المعنى، وصار النداء خبراً<sup>(١)</sup>. بعد أن كان إنشأ. وبالعودة إلى مذهب النحاة نجدهم غير متفقين على تقدير فعل ناصب للمنادى، وذلك:

### ١. تقدير الفعل الناصب للمنادى: جعل سببويه وسائر

البصريين المنادى بمنزلة المفعول به فقال: (اعلم أن النداء: كل اسم مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع، وهو في موضع اسم منصوب)<sup>(٢)</sup>.

ورأى المبرد أن حروف النداء عامل النصب في المنادى، فقال الرضي: (وأجاز المبرد نصب المنادى على حرف النداء لسده مسد الفعل، وليس ببعيد)<sup>(٣)</sup>.

وقد اعترض ابن مضاء على هذا، فجعله من العوامل المحذوفة المقدرة التي يجب تركها، ويمنع تقديرها؛ لأنها تحول الكلام من الإنشاء إلى الخبر. كما مر، وأن الكلام تام من دون تأويل (يا) بـ (ادعو) أو: (انادي)، وقد يؤثر هذا في المعنى المراد.

وستقف هنا مع ابن مضاء في هذه المسألة، لنجد:

١. أن علماء النحو اختلفوا في عامل المنادى ذلك أن سببويه (مر) رأيه، على إضمار فعل، ولكن المبرد ذهب إلى غير ما ذهب إليه سببويه كما مر.

٢. بنى ابن مضاء إنكاره لعامل نصب المنادى، على موقفه الراض للعامل، ولأن ذلك يحول النداء من أسلوب الطلب إلى أسلوب الخبر، وهو في الحق يأخذ بمذهب ابن جني الذي كان رافضاً تأويل: (يا) بـ (ادعو)؛ لما في هذا من تحويل الإنشاء إلى خبر: فقال: (إذا كان الفعل قد حُذِفَ في الموضع الذي لو ظهر فيه لما أفسد معنى، كان ترك إظهاره في الموضع الذي لو ظهر فيه لأحال المعنى وأفسده أولى وأحجى.. فكيف بهم في ترك إظهاره في النداء؟ ألا ترى أنه لو تجشمت إظهاره، فقيل: ادعو زيدا، وانادي

زيداً، لاستحسب أمر النداء، فصار إلى لفظ الخبر المحتمل للصدق والكذب والندا، مما لا يصح فيه تصديق ولا تكذيب)<sup>(٤)</sup>.

٣. إن تقدير الفعل الناصب للمنادى هو على سبيل التمثيل لا الاستعمال؛ لأنك في معرض إبانة لا تقرير حكم نحوي قاطع، وهذا شأن دراسة اللغة، ولا ضير في خروج الإنشاء في معرض تبين للدارس إلى الخبر، إذ أن الاستفهام مثلاً - (وهو إنشاء) - قد يخرج إلى إفادة الإخبار، فمثلاً قول الشاعر:

أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى؟

وأي كريم لم تصببه القوارع؟

يقسم للمتعلم: المعنى عجيب أن تجزع... ولا كريم لم تصبه....، وبهذا أنت مثلت بالخبر للإيضاح.. غير أن المسألة هنا تبقى مسألة العامل حسب، ذلك أن هذا مثال لتقريب المعنى، وليس للبت في مسألة العامل، وإنه يدخل في الأغراض البلاغية، ولكنه للإبانة كذلك. أما مسألة عامل النصب فينبه عليها، إشارة إلى أنها هي العامل، أو تفسيراً بالقول إن (يا) تعطي معنى فعل. وأيا ذهبت إليه فليس ببعيد.

٤. لم تقتصر أداة النداء بدلالاتها على معنى يقود إلى ظهور علامة إعرابية (هنا على رأي من يجعلها عاملة)، فأداة الاستثناء (إلا). مثلاً لا حصر - يكون لها فيما بعدها من تراكيب معينة حكم إعرابي، وللتفصيل يمكن الرجوع إلى باب المستثنى بـ (إلا)...

### ب. نصب المضارع بـ [أن] مضمرة:

ومما اعترض عليه ابن مضاء في موضوع تقدير العوامل المحذوفة، النصب بالفاء والواو، فقال: (ينصبون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف بـ (أن)، ويقدر (أن) مع الفعل بـ (المصدر). ويصرفون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف إلى مصادرها... وإذا فعلوا ذلك كله لم يرد معنى اللفظ الأول، ألا ترى أنك إذا قلت: (ما تأتينا فتحدثنا)، كان لها معنيان: أحدهما: ما تأتينا فكيف تحدثنا، أي أن الحديث لا يكون إلا مع الإتيان... وإذا لم يكن الإتيان لم يكن الحديث.

والوجه الآخر: (ما تأتينا تحدثنا)، أي إنك تأتي ولا تحدث. وهم يقدر (الوجهين): (ما يكون منك إتيان فحديث)، وهذا اللفظ لا

يعطي معنى من هذين المعنيين، وهذه المضمرة التي لا يجوز إظهارها لا تخلو من أن تكون معدومة في اللفظ، موجودة معانيها في نفس القائل، أو تكون معدومة في النفس، كما أن الألفاظ الدالة عليها معدومة في اللفظ، فإن كانت لا وجود لها في النفس، ولا للألفاظ الدالة عليها وجود في القول، فما الذي ينصب إذن؟ وما الذي يضمّر؟ ونسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال. فإن قيل: إن معاني هذه الألفاظ المحذوفة موجودة في نفس القائل، وإن الكلام بها يتم، وإنها جزء من الكلام القائم بالنفس، المدلول عليه بالألفاظ، إلا أنها حذفت الألفاظ الدالة عليها إيجازاً، كما حذفت مما يجوز إظهاره إيجازاً، لزم أن يكون الكلام ناقصاً، وإن لا يتم إلا بها، لأنها جزء منه، وزدنا في كلام القائلين ما لم يلفظوا به، ولا دلنا عليه دليل إلا ادعاء أن كل منصوب لابد له من ناصب لفظي<sup>(١)</sup>.. إلى أن يقول: وقد فرغ من إحطال هذا الخن بيقين، وادعاء الزيادة في كلام المتكلمين من غير دليل يدل عليها خطأ بين.... فالقول بذلك حرام على من تبين له ذلك<sup>(٢)</sup>.

ويحسن بنا العودة إلى مذهب سيبويه في هذه المسألة، فقد قال في باب الفاء - هذه: (.. وتقول: ما تأتيني فتحدثني، فالنصب على وجهين من معانائي، أحدهما: ما تأتيني فكيف تحدثني أي: لو أتيتني تحدثتني. وأما الآخر: فما تأتيني أبداً إلا لم تحدثني، أي: منك إتيان كثير، ولا حديث منك)<sup>(٣)</sup>.

إن سيبويه كان قد نبه على معان محتملة للنصب في باب (الفاء) فقال: (واعلم أن ما ينتصب في باب (الفاء) قد ينتصب على غير معنى واحد)<sup>(٤)</sup>.

إن ما ذهب إليه سيبويه كان بسبب المعنى، فأنت أمام تعبير يفرض المصدرية، وهذا لا يأتي بالفاء، وهذا على سبيل التمثيل أيضاً، وكان سيبويه دقيقاً كل الدقة لقوله: (فالنصب ههنا في التمثيل، كأنك قلت: لم يكن إتيان فأنت تحدثت، والمعنى على غير ذلك)<sup>(٥)</sup>.

إن عامل نصب المضارع بعد (الفاء) و (الواو) لم يكن موضع اتفاق بين النحاة<sup>(٦)</sup>.

(فالبصريون يقصدون (أن) مضمرة. وأما مذهب جمهور الكوفيين فيذهبون إلى أن المضارع منصوب على الخلاف. وذهب

الكسائي إلى أن (الفاء) و (الواو) هما الناصبان للمضارع، وكذا تابعه الجرمي، وأبو جعفر النحاس (ت ٢٣٧هـ). ونقل السيوطي عن ثعلب (ت ٢٩١هـ) أن: (الفاء) ضارعت (كي) فلزمت المستقيل وعملت عمله)<sup>(٧)</sup>.

ولزاماً على الباحث أن يتحرى الحق، فير ذ الرأي لصاحبه، ذلك أن دعوى إلغاء تقدير (أن) ليست من أفكار ابن مضاء، بل سبقه إلى ذلك كثيرون، ولم يشير إلى أحد منهم.

## المبحث الخامس

### العلل النحوية والقياس واللغوية

#### القسم الأول: اعراض ابن مضاء على العلل

العلل النحوية ثلاث، وإن اختلفت تسميتها، وقد جعلها ابن مضاء: أولاً وثواني وثالث. وقبل القسم الأول، منها، ورفض الثواني والثالث، فقال: (مما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثالث، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا: (قام زيد)، لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له: كذا نحلقت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر)<sup>(٨)</sup> والتعليل برفع الفاعل وكونه علة أولى قد قبله ابن مضاء وأقر به، لكنه رفض تعليل النحاة في إيجاد مسوغ لرفع الفاعل فقال: (فلا يزيدنا ذلك علماً بأن الفاعل مرفوع، ولو جهلنا ذلك لم يضرنا جهلة، إذ قد صح عندنا رفع الفاعل الذي هو مطلوبنا باستقراء المتواتر الذي يوقع العلم)<sup>(٩)</sup>.

الذي يظهر للباحث فيما ذهب إليه ابن مضاء الآتي:

(١) إن ما ينبغي التنبيه عليه هو أن هذه العلل تعليمية، وتكون على وفق مراحل تناسب عقل الدارس ومستواه، فلا ضير إذا ما تدرجنا معه في تلك العلل، لأن علوم اللغة الحية تفرض العلم بها، وعقول الدارسين توافقة إلى استجلاء الحقائق التي قد لا تكون الإجابات الأولى مقنعة فيها ولها، بل قد يكون بحثها مما يقود إلى الوصول إلى قناعة علمية أدق، ولا خلاف أن بعض مباحث اللغة قد يكون غير مجب، مثلما توقف البحث في أصل اللغة، أو اللغات. وإن كان هذا غير ذاك.

(٢) ابن مضاء أقر بتقسيم النحاة للعلل، لكنه لم يذكرها كما قسمها النحاة قبله، فقد قسموها على ثلاثة أنواع: تعليمية، وقياسية، وجدلية. وهذا التصنيف مناسب لطبيعة هذه العلل، وجدواها، وهي ليست كما أوحى به تقسيم ابن مضاء لها.

(٢) لم يكن التعليل الذي رافق قواعد النحو العربي إلا دليلاً على قوة فكر النحاة وحسن تأملهم ولتأنيهم؛ كي يصوغوا الحكم النحوي، وهذا منهج علمي سليم انتهجه علماء النحو، ولا ضير في أنهم تأثروا بعلوم العصر، لأنك تجدهم غير مفرطين بالعنى، ولا مضيعين للأسلوب، بل قلبوا التراكيب ليدركوا المعاني، وتركوا الباب مفتوحاً للقول في الأحكام التي توصلوا إليها، وهذا ما حدث فعلاً من لدن من تلاهم، بما زادوه من قواعد، وأبانوا به لغة العرب، وحكمتهم في لغتهم.

وسئل الخليل بن أحمد (عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نحلقت على سجيته وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علة، وإن لم ينقل ذلك عنها، اعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه، فإن أكن أصبحت العلة فهو الذي التمس، وإن تكن هناك علة له، فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبية النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللانحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباليه محتملة لذلك، وجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك لليلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سسنت لغيري علة لما علته من النحو هو الباقى مما ذكرته بالمعلول فليأت بها<sup>(٣)</sup>.

ومن طريف ما يروي أن أحدهم سأل الكسائي في حضرة يونس (ت ١٨٠هـ) فقال: (فكيف تقول: لأضربن أيهم في الدار؟ قال: لأضربن أيهم في الدار. قال: فكيف تقول: ضربت أيهم في الدار؟ قال: لا يجوز قال: لم؟ قال: (أي) كذا خلقت<sup>(٤)</sup>).

## القسم الثاني: دعوة ابن مضاء إلى إلغاء القياس:

ودعا ابن مضاء إلى إلغاء القياس، فقال: (والعرب أمة حكيمة، فكيف تشبه شيئاً بشيء، وتحكم عليه بحكمه، وعلة حكم الأصل غيرها في الفرع)<sup>(٥)</sup>. وذكر من ذلك أمثلة لدعواه هذه تشبهيته النحاة: إن وأخواتها بالأفعال المتعدية في العمل، وأن الأسماء غير المنصرفة تشبه الأفعال في أنها فروع<sup>(٦)</sup>.

قال ابن جني بعد كلام في القياس النحوي: (فهذا ونحوه يدلك على قوة تداخل اللغة وتلاحمها، واتصال أجزائها وتلاحقها، وتناسب أوضاعها، وأنها لم تفتتحت اقتعائاً، ولا هيلت هيبلاً، وأن واضعها عني بها، وأحسن جوارها، وأمد بالإصابة والأصلة فيها)<sup>(٧)</sup>.

وقال السيوطي نقلاً عن أبي البركات الأنباري في أصوله، (اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق؛ لأن النحو كله قياس، ولهذا قيل في حده: النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقرار كلام العرب)، وزاد السيوطي قوله: (فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يعلم أحد من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة، وذلك أنا أجمعنا على أنه إذا قال العربي: كتب زيد فإنه يجوز أن نسند هذا الفعل إلى كل اسم مسمى يصح منه الكتابة، نحو: عمرو، وبشر... وكذلك القول في سائر العوامل الداخلة على الأسماء والأفعال الرافعة والتأنيبية، والجارة، والجازمة فإنه يجوز إدخال كل منها على ما لا يدخل تحت الحصر، وذلك بالنقل متعذر، فلو لم يجز القياس، واقتصر على ما ورد في النقل من الاستعمال، لبقى كثير من المعاني لا يمكن التعبير عنها لعدم النقل، وذلك مناف لحكمة الوضع، فوجب أن يوضع وضعاً قياسياً عقلياً لا نقلياً)<sup>(٨)</sup>.

وزاد محقق الاقتراح الدكتور أحمد محمد قاسم قوله نقلاً عن أبي البركات الأنباري: (فلو قلنا: إن النحو ثبت نقلاً لا قياساً وعقلاً، لأدى ذلك إلى رفع الفرق بين اللغة والنحو، وإلى التسوية بين المقيس والمنقول، وذلك مخالف للمعقول)<sup>(٩)</sup>.

من المسلم به اتفاق علماء اللغة على أن الفتحة أخف الحركات<sup>(١٠)</sup>. ولذا مالت العرب إلى النطق بأخف الحركات لقسم من الألفاظ ثقيلة اللفظ، وذلك متمثل في المنوع من الصرف من

الأسماء المشابهة للأفعال<sup>(١)</sup>، فلم يجنحوا إلى تثقيله بالتنوين، ولا بحركة الكسرة، وهذا يمكن عنده قاعدة في منع صرف (أحمد)، و (يزيد)، وما يشاكلهما، للمشابهة الشكلية بينها وبين الأفعال، فكما لا يصح جرز الأفعال، فقد حكم العلماء بالألا تنون لتقل ذلك، أي إن الأسماء التي شابهت الأفعال لا تنون، ولا تجز بالكسرة، بل بالفتحة بدلا عنها لخفتها.

الذي يتحقق أن المنع من الصرف ليس لمشابهة في المعنى، ولا لتأثر بعامل نحوي تعرضت له تلك الكلمات، بل هو توافقي في أبنية الكلم، وهذا أمر متسق في لغة العرب، النازعة إلى اليسر والتيسير في النطق والأسلوب.

### القسم الثالث: دعوة ابن مضاء إلى إلغاء التمارين غير العملية:

بدأ ابن مضاء كلامه في أول موضوع له من كتابه: (الرد على النحاة) بالدعوة إلى (إلغاء نظرية العامل) بقوله: (قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه)<sup>(٢)</sup>. وختم كتابه بالدعوة إلى إلغاء التمارين غير العملية، فقال: (ومما ينبغي أن يسقط من النحو: (ابن من كذا مثال كذا)، كقولهم (ابن من البيع مثال (فعل)، فيقول: (نوع)<sup>(٣)</sup>.. وما الضر في هذا، فقد فسر الصرفيون هذا بقولهم: إن أصله: ينبع، فتقلب (الياء) واوا، لسكونها وانضمام ما قبلها، ولا ضرر في هذا لوجود ما يؤيد مذهبهم<sup>(٤)</sup>، نحو: موقن، وموسر.. لأنه من: أيقن، و: أيسر..

#### الذي نراه:

(١) لقد فات ابن مضاء أن كثيرا من فروع علم اللغة تحتاج إلى التطبيق والتمرين من لدن الدارسين، ولكن هذا لا يسوغ الإغراب في مطالب التطبيق، إنما يجب الأخذ بالمستعمل من التراكيب، فاللغة استعمال.

(٢) نعم نجد فيما يراد التمثيل به - أحيانا - قد يكون بلهجات ماتت، ولم تعد مستعملة في لغتنا. ولكن ذلك لا يمنع الدارسين من تقليب الصيغ والتصارييف، لمعرفة عللة، أو صيغة، ربما غابت

عن بعضهم، وربما قد تنفع في استعمال ما يتطلبه تطور الحياة أو اللغة.

والسؤال - هنا -: ما الذي يحمل ابن مضاء على الاستشهاد بالصور القاتمة، أو الصعبة، أو التي هجرها الناس، فلم تعد مستعملة؟ ثم هو يتجنب الطالب التعليمية الصحيحة المستعملة: اليس في التمرينات نفع؟ ألم تكن ساحة لترويض الفكر واللسان على الصحيح من اللغة.

(٣) لم يكن ابن مضاء أول من دعا إلى الاختصار والإيجاز، وتقديم قواعد اللغة بأسلوب مبشر بعيدا عن الفضول، وعدم الإغراق بالتمرينات التي قد تكون مملة، وربما بعيدة عن جمال لغة العرب، أو أن المطلوب فيها نادر، أو مما هجر في اللغة.

### ماذا يبقى لابن مضاء؟

قام ابن مضاء بعملية جريئة<sup>(٥)</sup> على النحو المشرقي، ولا سيما البصري منه، وقد اختلطت آراؤه: لكونها دعوات علماء لفاضل افتوا العمر ليصلوا إلى نتائج وآراء ادعاها ابن مضاء لنفسه، فجمع تلكم الآراء ورتبها ليطلقها بصوت عال، في أجواء كانت قد تهيأت لنشرها، وإبرازها وقبولها، فزعم بعضهم أنها ثورة في النحو أو عليه. غير أن الذي توصلنا إليه بعد بحث وتأمل هو الآتي:

١- لا يمكن للباحث في أصول النحو وما رافق تأليفه أن يتره كتبه مما علق بها من مساليل وآراء - أحيانا - قد لا تخدم اللغة، ولا الناطق بها، ولكنها لا تعد مثلية تستدعي هذه الحملة الشعواء.

٢- لم يكن المذهب الظاهري إلا مذهباً مشرقياً، آمن به ابن مضاء، في عصر كان آخذاً ومطبقاً إياه - في الأندلس -، وخرم العمل بغيره، وبلغ الأمر أن أغلقت العقول، ومنع كل فكر سواء بحث السيف. وهذا هيأ لابن مضاء أن يجاهر بدعواه في هجومه على نحو المشرق بحرية.

٣- إن القول بأن ابن مضاء قصد بكتابه - هذا - هدم النحو<sup>(٦)</sup> - قول فيه نظر؛ ذلك أن ابن مضاء اختار قسماً من آراء النحاة، ولا سيما دعوات المشرقية، الداعية إلى الأخذ بأيسر السبل لضبط قواعد النحو، وفي التخفيف من العامل والعلل، والابستعاد عن تحميل

النص وجوها قد تخدم المتعلم في جانب، ولكنها لا تنفع الناطق باللغة، بل يمكنه الاستغناء عنها، وهذا سبب جعل ابن مضاء يدعو إلى حملته هذه.

٤. ما هدى ابن مضاء النحاة إلى النهج المستقيم، ولا خلس النحور من وعاء قواعده ومباحثه، كما ذهب الدكتور شوقي ضيف في مقدمة التحقيق لكتابيه، وكذا القول إنه جاء بأراء مبتكرة<sup>(١)</sup>، لم يسبقه إليها أحد، وهذا كلام لا يؤيده استقراء مذاهب النحاة، ولا سيما الذين خالفوا البصريين وقد تأكد ذلك من الموازنة بين ما ادعاه ابن مضاء لنفسه، وأراء من سبقوه. وكذا وصف الدكتور نعمة العزاوي حملة ابن مضاء بالثورة، فهو قول أطلق من دونها تمحيص، وفيه بغض ومبالغة.

٥. لم يكن ابن مضاء دقيقاً في قسم من أحكامه، فمثلاً أخذ على النحاة كافة نصب المضارع بعد (الفاء)، أو (الواو) بـ (أن) مضمر، وهذا مذهب البصريين حسب وخالفهم الكوفيون.

٦. إن الأمر الذي يبدو جلياً ومعقولاً أن ابن مضاء ألف كتابه (الرد على النحاة) إرضاء لفكرة الحاكم (يعقوب بن يوسف)، وتمشياً مع مذهبه الظاهري، الذي ألغى العلل والتعليل، وأحكام القياس، والتفرعات في الأحكام الدينية، ثم طبق ذلك على بقية العلوم، من دونما تفريق. وهذا ما لم يكن دقيقاً، ولا صحيحاً.

٧. يؤخذ على ابن مضاء إغفاله التام التصريح بأراءه من سبقوه، ونسبتها لأصحابها، بل نسبها لنفسه، وزعم أنه يدعو للأخذ بها. وقد مر في البحث تحقيق ذلك وبيانه.

٨. من بين ما في كتاب (الرد على النحاة) المطالبة بالإيجاز، و (الدعوة إلى إلغاء كل ما لا يفيد نطقاً)<sup>(٢)</sup>، وثبت أن كثيرين من

العلماء قد سبقوه إلى ذلك.

٩. من اللافت للنظر أن ابن مضاء لم يكن نحويًا، ولم يعترف عن اشتغاله فيه، بل كان يتوقع منه أن يذلي بدلوه في الفقه، أو الرواية لتمكنه في ذلك.

١٠. أقر ابن مضاء أن النحويين (قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب، وصيانتها عن التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا...) "غير أنه عاب عليهم (أنهم التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوا منها، فتوغرت مسالكها، ووهنت مبانيها...)". وكان حريًا به أن يقف عند طائفة من أراء النحاة المتأخرين. ولا سيما المغاربة<sup>(٣)</sup>، ويحاكم آراءهم، بدلا من أن يلصق التهم بغير أهلها، فيروح يتهم نحاة المشرق كافة من دونما تمييز.

والحق أن هذا الذي دعا إليه ابن مضاء ليس جديداً على التأليف النحوي، وقد مر في البحث ذكر كثير من الكتب الموجزة الميسرة المركزة للقواعد النحوية.

وعلى الرغم من هذه المآخذ على: جمل كتاب (الرد على النحاة) يبقى لابن مضاء فضل كونه أول من جمع آراء من سبقوه المشتتة، فرتبها ونسقها، وأعاد صياغتها بتبويب جديد. وإن ادعاه لنفسه. فأجاد بما امتلكه من فكر فقهى محاور، فأوحى إلى بعض الباحثين أنها جديدة أو لم يسبقه إليها أحد، بل كان يراها الحق، وما سواها الباطل. وفي هذا غضاظة بحق علماء الأمة الذين خدموا لغة القرآن الكريم أي خدمة.

والحق القول. كما قيل في حق كتاب الأمالي للقياسي. هذا بضاعتنا زنت إلينا.

## الهوامش

(٥) إذ اختلفوا في ذلك لورود قسم منها متصلاً بالضمائر. نحو: هـ.ك. هـ.ك.م..

(٦) ينظر: النحو الجديد. عبد المتعال الصعيدي/١٩٨١.

(٧) يعقوب بن يوسف (٥٨٠هـ - ٦٤٠هـ)، وهو أهم خلفاء الموحدين في الأندلس. وقد أمر بنشر آراء هذا المذهب. ولو بعد السيف. وقد كان ابن نومرت (ت ٥٢١هـ) الذي لقب نفسه بالمهدي المنتظر، سبقه إلى نشره في المغرب. ويعود المذهب الظاهري إلى داود بن علي الأسفهانى (ت ٢٧٠هـ)، فهو مؤسسه في المشرق. وأهم من اعتنقه.

(١) ينظر: نحو للعاني. الجولري/٢٥.

(٢) مثلاً - لا حصراً - تأكيد الفعل للسند إلى ضمير نون النسوة بنون التوكيد. وكذا ما ذكره سيبويه في (ما) النافية، أن القياس عدم عملها، ولكنها جاءت عاملة في القرآن الكريم. (وهذا هو الأبلغ). الكتاب/٥٧.

(٣) ينظر: مفتي اللبيب. ابن هشام/٢٢٥.

(٤) ينظر: تجليد النحو. شوقي ضيف/٢٥.

ونشره من علماء الأندلس ابن حزم الأندلسي (٢٨٤هـ-٥٤٦هـ) ينظر: المدارس النحوية/٣٩٧. الدكتور خديجة الحديشي، ومصادرهما.

(٨) نفع الطيب. المضي ٩٨/١.

(٩) و (١٠) مقدمة محقق الرد على النحاة. شوقي ضيف/١٣. الذي يقول: (ذهب أصحاب الظاهر إلى إبطال القول بالقياس في الدين جملة، وقالوا لا يجوز الحكم البتة في شيء من الأشياء كلها إلا بنص كلام الله تعالى أو بنص كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). أو ما صرح عنه عليه الصلاة والسلام، من فعل أو إقرار). عن: (الإحكام في أصول الأحكام ٥٥/٢).

(١١) مقدمة محقق كتاب الرد على النحاة/ ٢١٠. ٨. وينظر: المدارس النحوية/٣٩٦ وما بعدها.

(١٢) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ٨. عن الديباج للذهب/ ٤٨.

(١٣) و (١٤) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ٩. عن: المعجب ١٢٨. وروض القرطاس ١٢٢/١.

(١٥) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ٢٠.

(١٦) جاء هذا مبثوثاً في كتابه (الرد على النحاة) في مواضع رده عليها.

(١٧) مقدمة محقق كتاب الرد على النحاة/ ٢٠. ٢١.

(١٨) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة/ ٢٢٥.

(١٩) مقدمة في النحو ٢٢. ٢٤.

(٢٠) الحيوان ٩١/١.

(٢١) أخبار النحويين البصريين. السمرقاني/ ٧٧-٧٨.

(٢٢) و (٢٣) في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث/ ٢٢-٢٣. عن: الفهرست/ ٦٦.

(٢٤) مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة. العدد ٧ ص ٧٦. لسنة ١٩٥٢م.

(٢٥) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة/ ٢٢٢.

(٢٦) السابق/ ١٢٧.

(٢٧) المدارس النحوية/ ٣٩٩.

(٢٨) السابق/ ٣٩٩.

(٢٩) ينظر: إحياء النحو ٢٢ وما بعدها.

(٣٠) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ٢٢. ٢٤.

(٣١) ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية/ ٨. وينظر: ص ٤٢. ٤٤. الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة. حسن منديل. رسالة دكتوراه. بغداد. الجامعة المستنصرية فقد ذهب إلى أن: (فكرة تيسير النحو قد نضجت على يده).

(٣٢) في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث/ ٢٥. وينظر: مصدره.

(٣٣) الاتجاهات النحوية الحديثة/ ٥٢.

(٣٤) ينظر: الخصائص ابن جني ١٠٩/١. والرد على النحاة/ ٢٧. وهامش المحقق.

(٣٥) و (٣٦) و (٣٧) الرد على النحاة ٦٧-٧٧.

(٣٨) الرد على النحاة/ ٧٧.

(٣٩) الرد على النحاة/ ٧٩.

(٤٠) الرد على النحاة/ ٧٩-٨٠.

(٤١) الرد على النحاة/ ٧٧.

(٤٢) الرد على النحاة/ ٨٠-٨١.

(٤٣) الرد على النحاة/ ٧٧.

(٤٤) الرد على النحاة/ ١٠١.

(٤٥) يقصد به التنازع ينظر: ٤٩ من كتاب الرد على النحاة.

(٤٦) و (٤٧) الرد على النحاة/ ٩٤.

(٤٨) الرد على النحاة/ ٨٠.

(٤٩) الانصاف في مسائل الخلاف/ ٢٩١، ٧٥٥. وتنظر: ٢٣٦، ٢٩٢.

(٥٠) الانصاف في مسائل الخلاف/ ٢٩١، ٧٥٥. وتنظر: مسألة ٧٦ ج ٢٩٢.

(٥١) ينظر الانصاف ٢٩١-٢٩٢. و ٢٩٢/٢. المسألتان ٧٦ و ٧٥.

(٥٢) الأشباه والنظائر. السيوطي ١٦٢/٢.

(٥٣) التفاحة ابن النحاس/ ٩.

(٥٤) الرد على النحاة/ ٧٦.

(٥٥) الانصاف ٥٢/١ م ١١.

(٥٦) السابق ١٠٠/١ م ٢٠.

(٥٧) الانصاف ١٣٧/١ م ٢٩.

(٥٨) ينظر: همع الهوامع ١١٤/١.

(٥٩) ينظر: التصريح. الأزهر ٢/٢٥.

(٦٠) هذا خلاصة رأيه في كتابه: الرد على النحاة ١٠٥-١٠٦.

(٦١) ينظر: الانصاف ٥٦/١.

(٦٢) الرد على النحاة ٩٥-٩٦.

(٦٣) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٠٢/٢.

(٦٤) الرد على النحاة ١٠١/١.

(٦٥) شرح ابن عقيل ١/٤٥٢.

(٦٦) الرد على النحاة ٩٨.

(٦٧) هامش المحقق رقم (٥) بس ٩٨.

(٦٨) الرد على النحاة ٨٨.

(٦٩) الرد على النحاة ٨٧.

(٧٠) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة/ ٢٢٥.

(٧١) الاعتراض الأول على (المشتقات) في ص ٨٨. والثاني على (الأفعال) في ص ٩٠.

(٧٢) الرد على النحاة/ ٨٨-٨٩.

(٧٣) الرد على النحاة/ ٩٠.

(٧٤) الرد على النحاة/ ٩٢.

(٧٥) الرد على النحاة/ ٧٩.

(٧٦) الرد على النحاة/ ٧٩.

(٧٧) الرد على النحاة/ ٨١.

(٧٨) الكتاب ٨٢/٢. وينظر: شرح الكافية ١/٢٤٦.

(٧٩) شرح الكافية/ ٣٢٦.

(٨٠) الخصائص ١/١٨٦.

(٨١) نقل شوقي ضيف هذا الخلاف وهو: ذهب البصريون إلى أن العامل في المفعول هو الفعل، وذهب الكوفيون إلى أن الذي يعمل في للمفعول هو الفعل والفاعل جميعاً.

وذهب بعضهم إلى أن العامل هو الفاعل. وذهب خلف الأحمر من الكوفيين إلى أن العامل في المفعول معنى للمفعولية، ينظر الرد على النحاة/ ٨١ هامش: (٢)، عن

(الإنصاف) ٥٢/١ م ١١.

(٨٢) الرد على النحاة/ ٨١-٨٠.

(٨٣) و (٨٤) الكتاب ٢٠/٢.

(٨٤) مر هذا في البحث سابقاً.

(٨٥) ينظر: الفاء في القرآن الكريم/ ٨٤. ومصادر.

(٨٦) الرد على النحاة/ ١٢٠.

(٨٧) الرد على النحاة/ ١٢٠.

(٨٨) الكتاب ٢٠/٢.

(٨٩) هذا في البحث سابقاً.

(٩٠) ينظر: الفاء في القرآن الكريم/ ٨٤. ومصادر.

(٩١) الرد على النحاة/ ١٢٠.

(٩٢) الرد على النحاة/ ١٢٠.

(٩٣) الإيضاح في علم النحو/ ٦٦-٦٥.

(٩٤) أخبار النحويين البصريين/ ٢٨.

(٩٥) الرد على النحاة/ ١٢٤.

(٩٦) ينظر الرد على النحاة/ ١٢٥.

(٩٧) الخصائص ١/٣١١.

(٩٨) لا اقتراح في علم أصول النحو/ ٩٥.

(٩٩) السابق/ هامش رقم (٢) ص ٩٥.

(١٠٠) ينظر: الكتاب ٢٨٢ و ٢٨٣.

(١٠١) ينظر الكتاب، باب ما ينصرف وما لا ينصرف ٢/١٩٢.

(١٠٢) الرد على النحاة/ ٧٦.

(١٠٣) الرد على النحاة/ ١٢٨.

(١٠٤) قال الشاعر:



ليت وهل ينفع شيئا ليست

ليت شباباً بنوع قاشق تريت.

(شرح ابن عقيل ٤١٥).

(١٠٦) ينظر: في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث/ ٣٦.

(١٠٧) في البحث نسبة ذلك إلى الدكتور طه حسين ص ٩. وهذا ما ذهب إليه

الدكتور خديجة الحديثي أيضاً ص ١٠. وينظر: المدارس النحوية/ ٢٩٩.

## المراجع والمصادر

الحسيني، إيران، قم، (د.ت).

١٧، شرح الرضي على الكافية، الرضي الاستر ابادي (ت ١٢٨٦ هـ). تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م.

١٨، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، بغداد، ١٩٩٥ م.

١٩، المدارس النحوية، الدكتورة خديجة الحديثي، ط ٢، مطبعة جامعة بغداد، ١٤٠٠ هـ، ١٩٩٠ م.

٢٠، مفتي اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ).

٢١، مقدمة في النحو، خلف الأحمر البصري (ت ١٨٠ هـ)، تج. عز الدين التنوخي، دمشق، ١٣٨١ هـ، ١٩٦٤ م.

٢٢، النحو الجديد، عبد المتعال الصعيدي، دار الفكر العربي، ١٩٤٧ م.

٢٣، نحو المعاني، الدكتور أحمد عبد الستار الجوازي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

٢٤، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١ هـ)، تج. محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، القاهرة، ١٣٦٧ هـ، ١٩٤٩ م.

٢٥، معجم الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ج ١، تج. عبد السلام هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٥ م.

وبقيه الأجزاء تج. الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.

### الرسائل الجامعية

١، الاتجاهات النحوية الحديثة، فيصل أحمد فؤاد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ١٩٧٦ م.

٢، الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، حسن منديل حسن العكيلي، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

٣، الفاء في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، علي رحيم هادي الحلو، رسالة ماجستير، كلية التربية (ابن رشد)، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

### الدوريات

١، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، عدد ١٧ لسنة ١٩٥٢ م.

١، ابن مضاء القرطبي وجهود النحوية، معاذ السر حلوي، ط ١، دار مجدلاوي، عمان الأردن ١٩٨٨ م.

٢، ليو زكريا الطراء ومنهجه في النحو واللغة، د. أحمد مكي الأنصاري، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.

٣، إحياء النحو، إبراهيم مصحفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٩ م.

٤، فخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨ هـ)، تج. طه محمد الزيتي، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥ م.

٥، المشباه والنظائر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ط ٢، جدير إباء الدكن، ج ١، ١٣٥٩ هـ، ج ٢، ١٣٦٠ هـ، ج ٤، ١٣٦١ هـ.

٦، الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تج. الدكتور أحمد محمد قاسم، ط ١، القاهرة، ١٣٩٦ هـ، ١٩٧٦ م.

٧، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، جمال الدين ليو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، تج. محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٥ م.

٨، الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزحاجي (ت ٢٣٧ هـ)، تج. الدكتور مازن المبارك، ط ٢، بيروت، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.

٩، تجديد النحو، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢ م.

١٠، التصريح بموضوع التوضيح، خالد الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، مطبعة مطبعة محمد مصحفي، القاهرة، (ت.ت).

١١، التفاح في النحو، ليو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٢٢٨ هـ)، تج. كوركيس عواد، مطبعة المعاني، بغداد، ١٣٨٥ هـ، ١٩٦٥ م.

١٢، حاشية الصبيان على شرح الشموني على ألفية ابن مالك، محمد بمن علي الصبيان (١٠٢٦ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الصباني الحلبي وشركاؤ (د.ت).

١٣، الحيوان، أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، مطبعة البابي الحلبي، (د.ت).

١٤، الخصائص، أبو عثمان ليسن جني (ت ٢٩٢ هـ)، تج. محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٤، بغداد، ١٩٩٥ م.

١٥، الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي (ت ٥٨٢ هـ)، تج. الدكتور شوقي ضيف، مطابع دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٨٢ م.

١٦، شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، تج. السيد علي

# حجاب المرأة في العصور المختلفة\*

بقلم يعقوب أفرام منصور

وعقلية المرأة - الحكومة عادة - ونفسياتها. هذه العقلية وتلك النفسية، تتأثران بالحيط والبيئة والتقاليد والقيم والمثل. فالبيئة البدوية أو الريفية اللتان تسودهما البساطة والصراحة، ويجانبهما التعقيد والواربة، وبناء عنهما البطر والرغد المسرف. وما يجزهما من كسل وتناؤب وزيف ومروق وركون إلى اهتبال اللذات، وارتكاب المحرمات. مستغنية عن استعمال الحجاب، أو أنه يستخدم على نطاق ضيق في أحوال خاصة نادرة. نقض ذلك، البيئة الحضرية في المدن الكبيرة والعواصم المكتظة، حيث الترف والغش والخداع والإسراف في اقتناص اللذات، والمتع بحرامها وحلالها، بسبب توفر الأموال والثروات الطائلة، وأوقات البطالة والراحة المتيسرة للمرأة، بفضل الخدم والحشم في الدور والقصور، أو وسائل الراحة الكثيرة، يرافق ذلك غريزة حب الاستطلاع والفضول المكيئة في نفس المرأة، وهو ما يؤدي غالباً بالرجل ونصفه المتمم. المرأة. أن يسعي لإحراز المتعة الجنسية. وهي غريزة عميقة الجنور في الخلق السوي بجنسيه، وذات سورة وعنقوان، ويعزى إليها باعث الحضارة والتملن، وحوافز كثير من الفنون. يصاحب ذلك إما صراحة متناهية وثقة بهتبادل بين الجنسين، وصفاء سريرة ونقاء ضمير ورفي نفسي بسفضل التهذيب والالتزام بمبادئ الأخلاق وأهدب الدين؛ فلا

ثمة أمور واعتبارات وقيم وظواهر يصح عندها مقياساً من مقياس مدارج الرقي الحضاري أو دلالة من دلائل الرقي الفكري أو مؤشراً من مؤشرات السمو النفسي. مثال ذلك: الصحافة. فازدهارها يبيح الحكم برقي البلاد في مضمار التمدن. وكذا يقسب في مدينة كثرت شوارعها العريضة النخيلة، وحدائقها المنسقة. وهكذا تعد الموسيقى الراقية ومدى الإقبال على سماعها، والكليات والجامعات والمدارس والمعاهد العلمية والمعارض الفنية والمسارح التمثيلية دليلاً على درجة تحضر ذلك الشعب. أما عند القضايا العدلية التي تسمع في دور القضاء، فكلما تضاءل في قطر أو مدينة، ثم ذلك على رقي في التربية والنفوس.

والحجاب الذي تسدله المرأة على وجهها، أو الذي يحجبها في بيتها أو قصرها عن خارجهما، وحتى عن بعلاها، فهو - ظاهرة رافقت بعض الأطوار الحضارية - يصح كذلك عنده مقياساً من هذه المقاييس، لأنه ينم على بعض التقاليد أو القيود ومدى الحرية عموماً وحرية المرأة خصوصاً في مجتمعات شتى.

إن استخدام الحجاب. بأشكاله المختلفة كالبرقع الضيق أو الشفاف والخمار والنقاب والقناع والستار. لصيق بالعقلية السائدة في المجتمعات: عقلية الرجل - المتحكم غالباً - ونفسيته،

\* البحث لا يمثل رأي المجلة وهي إذ تنشره تحترم رأي الباحث والخبر الذي أجاز نشره معاً.

يكون الحجاب للمرأة آتخذ سرغوباً فيه، ولا خادراً على البال؛ أو أن يصاحب ذلك اتفاق وانعدام الثقة والصراحة المتبادلتين بين الجنسين، وعدم حسناء السرائر أو نقاء الضمائر، وانحطاط نفسي من جراء نقص أو انعدام في التهذيب، أو عدم تفهيد بمبادئ الأخلاق وأهدهاب الدين لدى الطرفين اللذين يكونان جناحي المجتمع. فيكون الحجاب للمرأة آتخذ وسيلة - على ما فيه من عبودية وانتقاص من كرامة المرأة - نحف البشرية - وخرمتها وحرمتها ومنزلتها، يعتقد الاجنئون إليها أنها ضامنة لدفع شر أعظم، وفساد أعم، وحبالة للاستقرار والاطمئنان والصون.

\*\*\*

إذا كان المصنوع بالحجاب ستر العورة - كالخمار والبرقع والنقاب والقناع والستار - فهو قديم قبل ظهور الرسالة الإسلامية. ففي عهد الأكديين مثلاً، استعملته النساء الشريقات فقط، لأن الساقطات لم يكن بحاجة إليه. أما السومريون، فلم تكشف التنقيبات الأثرية حتى الآن ما يشير إلى استعماله لديهم. ونساء الإغريق استعملن الخمار في أثناء خروجهن من البيوت، وأخفين وجوههن بحلف منه، وكان شائعاً قبل النصرانية، ولم تحرم النصرانية، بل أثبتت قيد الاستعمال لتغطية رؤوس النساء أثناء خروجهن إلى الطرقات، فاصدات دور العبادة، فيبقى على رؤوسهن طوال الصلاة. واستمر استعماله حتى القرون الوسطى، بل حتى القرن التاسع عشر. إذ حتى القرن الثالث عشر، كان الخمار يحيط أكتاف النساء، ويلامس الأرض، لكن بعدئذ حلفت التسوة يخففن منه حتى أضحي - كما هو عليه الآن - نسيجاً شفافاً يستعمل لتغطية هامات النساء عند دخولهن الكنائس، أو لحماية وجوههن من التراب والبرد والحر والشمس. بيد أن آثاره ما برحت موجودة في بعض أنحاء العالم<sup>١</sup>.

وكان الخمار الأسود شائعاً بين العرب المتحضرين بدليل ما حكى عن مسكين الدارمي عندما كسدت هذه الخمر، فأنشد بيتين من الشعر في وصف مليحة اتشحت بخمار أسود، وهما:

فل للمليحة في الخمار الأسود:

ماذا أردت بناسك متعبد

قد كان شعر للصلاة ثيابه

حتى قعدت له بيباب المسجد  
فأقبلت النساء على ابتياع الخمر السود التي كانت كاسدة عند  
التاجر.

وفي شعر النابغة الذبياني ذكر آخر للخمار، قاله في وصف  
جسم وشعر المتجردة، حليمة الملك النعمان الحيري، عندما سقط  
عنها النسيج، وهو الخمار أو نصف الخمار، فسسترت وجهها  
بذراعها:

قامت تراءى بين سحفي كلة

كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

أو ذمية من مرمر مرفوعة

بنيت بأجر تشياد وقمر مد

سقط النسيج ولم ترد إسقاطه

فتناولته وانقشبتنا باليد

بمخضب زخص كأن بنانه

عنتم يكاد من اللخافة يعقب

(ببوان النابغة الذبياني)

أما الخدر، فهو ستر يمد للجارية أو غيرها في ناحية من البيت،  
وقد ورد ذكره في شعر النخل ابن عبيد بن عامر اليشكري.  
وكان من أجمل العرب، ويرمى بالمتجردة زوجة النعمان. وكان  
يهوى هنداً بنت عمرو بن هند التي قال فيها:

ولقد دخلت على الفتى

ة الخدر في اليوم الخامس

والكساعب الحسناء تر

فل في السدمس وبالحري

ولتهها فتنفست

كتنفس الظبي البهر

الأغاني ٢٥٨/١٨

إذن جلي أن الحجاب الذي كان موجوداً في البلاد العربية  
والإسلامية - وما زال موجوداً في بعض أقطارها القصية عن  
معالم الحضارة الحديثة - لم يستحدثه التمدن الإسلامي، بل كان

معروفا عند كثير من الأمم قبيل الإسلام كالفرس والرومان والإغريق، وبعده أيضاً لكن استعماله تقلص بالتدريج، وتلاشى تبعاً لمقتضيات الأحوال الاجتماعية، ومجاراتاً لسنة التقدم والارتقاء. أما إذا كان المقصود به خجر المرأة في بيتها، وتهيئها عن مخالطة الناس، فهو من نتائج التمدن الإسلامي، لعدم شيوعه قبلاً، وقد بلغ ذروة عمره بعد تمكن الحضارة من النفوس، وركون القوم إلى الترف والرخاء، وزوال خشونة البداوة وبساطتها وانفتها من حياة المدن والحواضر والعواصم.

لبثت المرأة العربية المسلمة على تلك الحال، حتى تصدى بعض رجال الفكر والقلم في أواسط القرن التاسع عشر وأواخره، فنددوا بالحجاب وعواقبه، وحثوا الشعب على نبذه. وقد مهدت لذلك أسوات نبيلة القصد، سبابة طليعية، نادت أولاً بتحرير المرأة من الظلم والتخلف وغمط حقوقها كمخلوق سوي. كان بعض تلك الأصوات خافتاً، وبعضها جهورياً. بعضها كان عميق القرار، مرتفع الدرجة، وبعضها كان واسع الدائرة متصفاً بالشمول والإحاطة، وبعضها كان ضيق الدائرة، متصفاً بالإجمال ورسم علامات مفترق الطرق فقط، وسيأتي تفصيل ذلك تحت عنوان (الصراع في سبيل تحرير المرأة).

ولما كان الحجاب مرهوناً بالوضع العام للمجتمع، وبالعوامل والدوافع التي تسوده، وبالأفكار والتقاليد والاعتبارات التي تهيم عليه، كما أسلفنا؛ ولما كانت المرأة نصف ذلك المجتمع، وهي موضوع الحجاب أو نقيضه السفور، فلا بد من استعراض عاجل لأحوال المرأة في العصور المختلفة، ثم الوقوف على منزلة الحجاب في أحوال تلك العصور.

## العصر الجاهلي

من السمات الغالبة على حال المرأة العربية في العصر الجاهلي إجمالاً: عفاف النفس المكتسب من المحيط الذي يخلق في الرجل والمرأة حب الاستقلال والأنفة وإباء الضيم والترفع عن ارتكاب ما يشين. فالرجل الناشئ في وسط كهذا، إذا اعتاد العفاف من حليته أو شقيقته، عسير على طبعه أن يحتمل أي قول أو فعل يمس شرفها وحرمتها، خصوصاً إذا اقترن بواحدة فقط. كما

كانت الحال في الجاهلية، نظراً لتدرة الجواري عهدئذ، والعسر في الحصول على النساء. إذ هي مدبرة شؤونها، ومعينته في الرحال والأعمال على بساطتها<sup>١</sup>. وقد بلغ تأثر الرجال بأقوال النساء، مدحاً أو طعناً، إلى حد أنهم بذلوا ما في وسعهم للتماس ثنائين، وجانبوا اقتراف الرذائل، وتعرضوا للفتك خوفاً من استخفافهن بهم، والشواهد على ذلك كثيرة في أخبار الجاهلية.

وقد حدثت شدة الغيرة طوائف منهم أن وأدوا بناتهم خشية الإملاق أو جلب العار عليهم متى كبرن، لكن الواد لم يكن من شأن جميع قبائل العرب، كما لم يكن موعلاً في القدم، بل مارسه قبيل الإسلام بعض القبائل فقط، ولم يدم زمناً طويلاً، لأنه يناقض أحكام العقل، ويغايير عواطف الأبوة والأمومة الأصلية<sup>٢</sup>، كما أن أحكام الدين أبطلته. وقد بلغت شدة الغيرة عند بعضهم حد الامتناع عن تزويج بناته، منهم ذو الإصبع العدواني. لكن بيع النساء كان مألوفاً لدى بعض القبائل التي عنت النساء من ثروة الآباء والبعول.

كان تزويج النساء اختيارياً في الغالب، إذكن يخيرن قبيل الزواج، فكان الوالد يشاور ابنته قبيل القرار النهائي، ونذر فيهن من ملكت زمام أمرها في هذا الشأن، نظير سلمى بنت عمر إحدى نساء بني عدي بن النجار. فقد كانت، مع شرفها، لا تقترن بالرجل إلا وهي مالكة زمام أمرها، ومتى ألفت في الرجل أمراً لا يرضيها، تخلت عنه. أما النساء التيمييات من قريش، فقد نلن حظوة عند رجالهن، برغم كبريانهن وفسوتهن عليهن<sup>٣</sup>.

عُرف عن نساء الجاهلية مرافقتهن الرجال إلى سوح الوغى لمداواة الجرحى، وحمل قرب الماء، والاشتراك في القتال. نذير عمرة بنت علقمة الحارثية التي حملت لواء قريش غب سقوطه على ساحبة الوغى في أحد، وأم عمارة بنت كعب الأنصارية، وأم حكيم بنت الحارث، والغنساء الشاعرة. وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان التي حرضت المشركين على الصمود في معركة أحد مع نسوة ضربن على الدخوف، وقصتها مع حمزة معروفة<sup>٤</sup>.

واشتهرت بعض الجاهليات بالرأي والحزم، منهن زنوبية ملكة تدمر التي خلفت بعلمها أذينة على دست الحكم، وحاربت الرومان ودوختهم، وخديجة بنت خويلد التي كانت تدبر أمور

تجارتها أحسن تدبير . وكانت أول من آمن برسالة بعلمها النبي العربي الكريم<sup>(١)</sup> .

أما الحب والغرام والعشق في هذا العهد، فقد اشتهرت به نساء كثيرات من بني عامر ومن بني غنزة<sup>(٢)</sup> الذين إليهم ينسب الحب العذري المأثور عنه كونه حباً نائياً عن الشوائب، رفيعاً عن الدنيا . ومن الأسماء اللامعة في هذا المجال، ليلى العامرية وعاشقها قيس بن الملوخ، ولبنى وعاشقها قيس بن كريع، وعرة ومتيمها كثير، وعبله ومحبتها عنزة .

ولعل من أفضل ما يصور هذه العاطفة اللطيفة تجاد المرأة الجاهلية، قول قيس بن عامر :

كان القلب ليلة قيل يخدى

بـليلى العامرية أو يراح

قطاة عرها شرك فباتت

تجاذبه وقد علق الجناح<sup>(٣)</sup>

وهذه الأبيات له كذلك :

ألا أيها البيت الذي لا لزورد

وهجرانه متي إليه ذنوب

هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً

وفي عليك الدهر منك رقـيب

سأستعطف الأيام فيك لعلها

بسيوم سرور في هواك تثيب

أظل غريب الدار في أرض عامر

ألا كل مهجور هناك غريب

فلا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر

حبيباً ولم يطرب إليك حبيب<sup>(٤)</sup>

أما عن افتتان النسوة بجمال الرجال، فمثاله ما ورد في ((الأغاني)) عن قيس ابن الخطيم الذي نعت بكونه مقرون

الحاجبين، أدعج العينين، أحمر الشفتين، سراق الثنايا... لم

تلمحه حليلة رجل قط، إلا ذهب عقلها! وقال حسان يوماً

للخنساء بأن تهجو قيساً هذا، فأجابت بأنها لا تهجو أحداً قبل أن

تراه . فألفته يوماً في مشربة، ملتفاً في كساء له، فنخسته برجلها، وقالت: قم . فلما قام، قالت له: أدبر . فلما أدبر، قالت له: أقبـل .

فلما أقبـل، قال: والله لكأنها تعرض عيـداً نشتره . ثم عاد إلى حاله ذاك<sup>(٥)</sup> . فقالت: لا أهجو هذا أبداً<sup>(٦)</sup> .

وكانت النزعة الغالبة عليهم أنهم إذا فشا بين العشيرة أو الحي أمر عشق رجل لفتاة، حجب الأهل فتاتهم عن الرجل، ومنعوا تزويجها إياه، وسعوا إلى تزويجها رجلاً آخر .

وفي الجاهلية كان البرقع على الشطر السفلي من الوجه بين سكان الحضر، وتلجأ إليه المرأة في بعض الأحوال، كما كان الخمار والنقاب والقناع واللباس . أما الحجاب بمعناه: الحاجز القائم بين الرجل والمرأة والحجر عليها في البيت مقسدة، لا تغادره ولا تستقبل فيه أحداً، غير أقرب المقربين إليها وهؤلاء تحرم عليها مقابلتهم عندما تسوء الأحوال، وتنعدم أقل درجة من الثقة والائتمان من الرجل تجاد المرأة، فهذا لم يكن مستعملاً . أما البرقع بين سكان البادية، فكان غير مستعمل إلا لاما، إذ لم تكن إليه حاجة، ولا هو ملائم للطباع البدوية لأنها عن التعقيد، وأحسن دليل قاطع على ذلك، هو أننا حينما نذهب إلى البوادي والضارب الآن، لا نلمح بين قاطنيتها هذا البرقع، حتى إذا دخلت البدويات المدن في أيامنا هذه، دخلنا سافرات الوجوه . وقد عرف شكل آخر من الستار يضرب على النسوة، أطلق عليه ((الهودج))، اقتصر استعماله أثناء الظعن والسفر، وهو نظير قبة مربعة صغيرة من ستائر توضع على ظهور الجمال، تجلس فيها النساء .

ولعل الحادثة التي أوردها الرواة عن حرب الفجار الثانية، بين قريش وهوازن، تنم أولاً على استعمال البرقع، وثانياً على شدة الغيرة وقوة النخوة عند عرب الجاهلية، وتمسكهم بحفظ الآداب العامة . وفحوى الحادثة أن فتية من قريش قعدوا إلى امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ . وطلبوا منها أن تكشف برقعها، لكنها أبت، فعمد أحد الفتية إلى شوكة شنها بذيل ثوبها بدون درايتها . فلما تقلص الدرع عن عجزها، صاحت: واحسرتاه... آل عامر . فتقاطر الناس، ونشب بينهم قتال، وسفكت دماء . (محمد البـنداري . المرأة ومركزها

\* بنو غنزة هم فخذ من بني عامر

الاجتماعي في الدولة - ص ١٠٢. دار عزت خطاب للطبع والنشر - القاهرة

## عصر الراشدين

بقيت العفة والأنفة العربيّتان في هذا العصر كما كانتا في العصر الجاهلي، بيد أن طاقة النساء في صدر الإسلام تحولت صوب سداد الرأي، ومزاولة الأدب كالشعر وعداه. فاشتهرت من بينهن عائشة أم المؤمنين بعقل راجح ودهاء وقوة، وترأست حزباً كبيراً من الصحابة وقد أدى ذلك إلى نشوب واقعة الجمل، وروت كثيراً من الأحاديث المهمة<sup>(١)</sup>. وثمة عائشة أخرى هي بنت طلحة بن عبيد الله الصحابي، لقامت في المدينة، واشتهرت بجمال خلاب وبعقل راجح وعلم واسع بأخبار وأيام العرب وبمطالع النجوم وأحوالها. وكانت برغم جمالها البياهر لا تستر وجهها عن الرجال لعظم قدرها وكبر نفسها. وكثيراً ما جلست في قصر، فتبارى أمامها الرماة، وتباهوا بما أحرزوه من إعجابها، وإذا حجت فصنّدها النساء من شاعرات وغيرهن، وكذلك الشعراء، فتمنحهم الجوائز الكبيرة<sup>(٢)</sup>.

وصيفتها ومعاصرتها في المدينة سكيّنة بسنت الحسين، اشتهرت بالعفاف، ومجالستها الأجلاء من الرجال وجلوس الشعراء إليها والأذن للناس بالدخول إليها دخولاً عاماً حتى تغص بهم الدار، حيث تطعمهم وتطرح على الشعراء مسائل الشعر والأدب، كما تجبرهم وتنتقدهم<sup>(٣)</sup>.

وأسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين، أم عبد الله بن الزبير المأثور عنها قولها لابنها عبد الله عندما ينس من القوز إبان محاصرته بمكة، وقدومه نحوها مستفتياً، فحضرته على استقبال الموت الشريف، مما نّم عن حزم وكبر في النفس<sup>(٤)</sup>.

وثمة أسماء أخرى هي بنت النعمان بن بشير امرأة المختار، اشتهرت بالنبات على المبدأ وإخلاصها لعقيدتها وبعلاها حتى الموت، وبكونها أول امرأة ضرب عنقها صبراً على يد مصعب بن الزبير.

ومن نبغ في الشعر ليلى الأخيلية والخنساء أخت صخر، التي استشهد أولادها في محاربة المشركين، والفارعة المزية. أما في البادية. فقد اشتهرت جملة نساء، اجتمع عندهن الرجال

للمناشدة أو المذاكرة بدون ريبة، لكنها إذا لمست في أحدهم انحرافاً، صنته عن مجلسها، وحجبت نفسها عنه، كما روي عن الشاعر نبي دهبيل الجمحي الجميل الوجه، الكريم النسب، الذي شغف حباً بعمره الجمحية التي اشتهرت بالجزالة وبحبها المتكتم له، وكان كثير التردد على مجلسها حيث ينشد الرجال أشعارهم. فلما قصدها نسوة، وذكرن لها شيئاً عن نبي دهبيل وبكونه قال إنها تعشقه وهو يعشقها، أقامت عن عقد مجلسها مع الرجال بشكل ظاهر، واقامت بينهم وبينها حجاباً، وكتبت إليه عاذلة<sup>(٥)</sup>.

وخبر أبي دهبيل مع عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان، يتعلق بالستر في المجالس، وستر الوجوه. ومؤدى الخبر أن عاتكة هذه عند حجها إلى مكة، نزلت بموقع بذي طوى. فلما استند عليها الحر، وقد انقطع السابطة عن الطريق، وهي جالسة وقت الهاجرة، أوعزت إلى جواربها برفع الستر، فلما رفع، وعليها شفوف، وهي ناظرة إلى الطريق، إذ مر بها أبو دهبيل الجمحي، فوقف طويلاً ناظراً إلى جمالها وهي غافلة عنه. فلما انتبهت لذلك، سترت وجهها، وأمرت بطرح الستر، وشتمته. وخبر معاوية بسبب ذلك مذكور بإسهاب في ((الأغاني))<sup>(٦)</sup>.

ولعل بعض أخبار الشاعر النميري يصور طرفاً من معالم لباس المرأة واحتشامها وخضرها في العصرين الجاهلي والإسلامي. لقد هوى النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي، وأنشد فيها شعراً منه هذه الأبيات:

تضوع مسكاً بطن نَعْمَانِ إذ مشّت

بِسَهْ زَيْنَبٍ فِي نَسْوَةٍ عَطَرَاتِ

يُخْبِنُ أَطْرَافُ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى

وَيَقْتُلُنَ بِالْأَلْحَاضِ مَقْتَدِرَاتِ

جَلُونُ وَجُوهَا لَمْ تَلْجُهَا سَحَائِمُ

حُرُورُ وَلَمْ يَسْفَحْنِ بِالسَّبَرَاتِ

وَلَمَّا رَلَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ رَاعَهَا

وَكُنْ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذَرَاتِ

فَأَدْنَيْنِ حَتَّى جَاوَزَ الرُّكْبَ دُونَهَا

حَجَاباً مِنَ الْقَسَسَنِ وَالْجَبَرَاتِ

فَدَاعَ شَعْرَهُ فِيهَا، وَهَرَبَ النَّمِيرِ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَى الْخَلِيفَةِ عَبْدِ



الملك بن مروان، مستجيراً به، وكتب الخليفة إلى الحجاج ناصحاً بالعدول عن معاقبة النميري. لكن الحجاج أصر ألا يعفو إلا إذا أنشده ذلك الشعر. فتصرف الشاعر في بعض الأبيات بشكل يغير الأصل، وكان تعليق الحجاج عليها وعلى التي لم يطرأ عليها تغيير كما يأتي:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت

بسه زينب في نسوة خفرات  
تعليق الحجاج: كذبت والله، ما كانت تتعطر إذا خرجت من منزلها.

ثم أنشده حتى بلغ:

ولما رأت ركب النميري راعها

وكن من أن يلقى بينه حذرات  
تعليق الحجاج: حق لها أن ترتاع لأنها من نسوة خفرات صالحات.  
ثم أنشده حتى بلغ:  
مررن بفخ رائحات عشيّة

يلسين للرحمن معتمرات  
تعليق الحجاج: صدقت، لقد كانت حجابة صوامة ما علمتها.  
ثم أنشده حتى بلغ:

يخمرن أطراف البنان من التقى

ويخرجن جنح الليل معتجرات<sup>(١)</sup>  
ويلاحظ أن هذا البيت مشتمل على تغييرات كثيرة. ففي الشطر الأول استعاض عن (يخبين) بيخمرن ويقصد إسدال الخمار. أما الشطر الثاني فكله مختلف. والمقصود بالمعتجرات نساء لابسات المعجر وهو ثوب كانت المرأة تشده على رأسها.

تعليق الحجاج: صدقت، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة<sup>(٢)</sup>.

أما البيت الأخير (فأدنين...) فيفهم منه أن نساء الركب لجأن حتى جاوزن الركب، إلى وسيلة آتية من الحجاب بواسطة القسي والخبرات. والأخيرة ضرب من برود اليمن، مفردتها (الخبرة) وهي ملاءة سوداء، كانت النساء المصريات تلبسها إذا غادرن البيوت.

### عصر الأمويين

غلب أن كانت المرأة في الجاهلية وأوائل الإسلام (عصر

الراشدين) تجالس الرجال وتخاطبهم وتذاكرهم، من غير أن يرى العرب في ذلك منكراً، ولا خامرتهم فيه ريباً<sup>(١)</sup>، طراً على المرأة في العصر الأموي تبسّل في الطبعاء. لأن العفة والغيرة المتأصلتين في ذاتها أصيبتا بصدمات وكدمات ووهن من جراء تكاثر الجوّاري<sup>(٢)</sup> والغلمان<sup>(٣)</sup>، وانغماس بعض الخلفاء في الترف والقصف، ومن مظاهره انتشار الغناء والرقص والخمر. وأقدم الشعراء على التشبيب والتغرّل، كما تضاعف المخنثون في المدن، وتوسطوا بين الرجال والنساء باطلاً، ففشا الفساد، وتضاءلت غيرة الرجال وعفة النساء والرجال<sup>(٤)</sup>. فبينما كان الحبيبان سابقاً. إذا اجتمعا بعد فراق طويل، وشوق محتدم. يجلسان ويتعاتبان ثم ينصرفان، نظير بنتي عذرة، وأكثر عشاق العرب المشهورين، وإذا شهبوا بالفتيات قبل أن يخطبن لهم، منعوهم عنهن (لكن الخليفة عمر بن الخطاب نهى عن التشبيب ومن عصي جلده)، وبينما كان العرب سابقاً أثناء تطوافهم بالكعبة لا يرون بأساً في تطواف النساء مع الرجال، لأنهم تبعاً لفطرتهم وطبيعة إقليمتهم وأساليب معيشتهم أهل عفاف وغيرة قوية؛ نراهم في هذا العهد (الأموي). بعد أن أغرتهم مظاهر الحضارة، وذاقوا طعم الترف. قد تجرأ شعراؤهم على التشبيب بالنساء، لاسيما في المدينة إذ انتشر الغناء والعزف، وأقبل الخلق إلى القصف واللهو، وانصرف بعض رجالهم الأثرياء إلى التسري<sup>(٥)</sup> والاستكثار من الجوّاري؛ حتى اضطر خالد القسري، عند توليه مكة في خلافة سليمان بن عبد الملك إلى التفريق بين الرجال والنساء أثناء الطواف<sup>(٦)</sup>، بعدما بلغه قول بعض الشعراء. كما أورده السعودي:

يا حبذا الموسم من موقف

وحبذا الكعبة من مسجد

وحبذا اللاتي يزاحمننا

عند استلام الحجر الأسود

ومما أغضب بعض الخلفاء على التشبيب، تغني الغنيين بأشعار التشبيب في مجالس الشراب، وأول شاعر قرشي تجرأ على ذلك ابن أبي عتيق، برغم طهره وعفافه ونأيه عن الريبة.

وحذا حذوه عمر بن أبي ربيعة القرشي النسابة الغزل، برغم ما يقال فيه من ابتعاده عن الحرام (كما قال عنه الجاحظ في الجزء الأول من الحيوان) واقتراده العرجي القرشي كذلك، واشتهر بعدهم نسابون آخرون من غير قريش بالتدريج<sup>(١٢)</sup>.

لم يكن خلفاء بني أمية الأوائل راضين عن ذلك التشبيب بسبب غلبة الطبع البدوي على أخلاقهم، فقاوموا الترف بما نوتوا من قوة، بيد أنهم راعوا الشعراء وداروهم لما عهدوا فيهم من وسيلة لاكتساب الأحزاب ومناصرتهم لهم في نهجهم السياسي؛ فما منعوهم عن التشبيب إلا حين من شرفهم. لكن ذهاتهم كعماوية تلطفوا في دفعهم كما حدث عندما شجب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بابنة معاوية، الأمر الذي حدا ابنه يزيد أن يغضب ويحلب من والده قتل الشاعر، لكن والده أبي ذلك، كما فعل مع أبي دهبيل الجمحي أيضاً عندما شجب بابنته كذلك، فعامله باللين، وأوقف لسانه بالعطاء<sup>(١٣)</sup>. وحذا حذوه الخليفة عبد العزيز عندما شجب وضاح اليماني بأم البنين امرأة الوليد بن عبد الملك. فهم الوليد بقتله، لكن عبد العزيز نهاه قائلاً: ((إن قتلته، فضحتني وحققت قوله، وتوهم الناس أن بينه وبين أبي ربيعة)).

لكن عندما تجاوز الشاعر ذلك الحد بأن شجب بفاطمة بنت عبد الملك وزوجة عمر بن عبد العزيز، اضطرم غيظه، واستحضره ودفنه حياً في بئر، أما الخليفة سليمان بن عبد الملك، فلما بلغه تشبيب الأحوص بنساء ذوات مكانة وخطر من أهل المدينة، قبض عليه ثم جلده ونفاد.

وهكذا يلاحظ أن العقبة والغيرة في العهد الأموي كانتا في عصر انتقال من البداوة إلى الحضارة. فلما انقضى، تضاعل ما تخلف من سذاجة البداوة في طبائع العرب، واستسلم المأل إلى الترف والرخاء الذي يواكب العيش الرغيد، ومن سماته تصدير الشعراء قصائدهم في المدح والفخر بالغزل والنسب والتشبيب<sup>(١٤)</sup>.

## العصر العباسي

لما كان الخلفاء العباسيون الأوائل على قسرب عهد بالبداوة، أنكروا استصدار قصائد المديح والفخر بالغزل والتشبيب

والنسيب، ونهوا عنه؛ وأشهرهم في هذا المجال المهدي ابن منصور؛ فقد أوعز إلى بشار بن برد بالكف عن التشبيب البتة، فطفق يستهل مدحه بالمدح. وظل التشبيب مستهجناً حتى أحازه الرشيد، وألح على الشعراء في نظمه. كما قال صاحب الأغاني. الأمر الذي أدى إلى ضعف الغيرة<sup>(١٥)</sup>.

لكن استمرار حياة الرغد والرخاء والقصف والاختلاط بأهل المدن في أعقاب العصر الأموي، ومضي الناس في ذلك، وازدياده في العصر العباسي، جعلهم يركنون إلى مضاعفة بسطة العيش والتنعم بالذائذ الجسمانية والمطالب الحيوانية. وقد رافق عنفوان هذا التيار، إقبال على الفلسفة والطب والعلوم والاعتراف من مناهل الثقافات الأخرى، قال ذلك إلى ابتعاد الناس عن البداوة وخشونتها وبساطتها، وإلى إقبال على مراعاة الفرس الذين ناصرهم في قيام دولتهم، والافتداء بهم في البذخ والترف، وتشببت شمل العرب؛ فتبددت العصبية العربية، وتلاشت مناقبهم في الوفاء والشجاعة والاستقلال والأنفة والحمية والتجدة، إلا دلائل واهنة<sup>(١٦)</sup>.

وقد أدى تكاثر الجواري وشيوع التسري في هذا العصر إلى زوال الغيرة في قلوب الرجال، فصاروا يتهاون الجواري الروميات والتركيات والفارسيات. ولما كان الرجل قبلاً لا يعرف غير حليلته، والمرأة لا تعرف سوى بعها، ولا تفكر إلا فيه، وثقة من أمانته الزوجية، بات الآن (العصر العباسي) مشتت الأهواء بين أكثر من امرأة، فضولت أو انعدمت غيرته عليها. ولما الفتة منشغلاً عنها، غير مكترث بها، قلت أو زالت ثقته بها، إلا من كان عقلها وشرفها عاصماً لها. وعندما بلغ التمدين في هذا العصر الذروة، أمست المرأة العربية الحضرية منسية، وتلاشت حريرتها، وفترت أو زالت غيرتها، فباتت تهدي زوجها بنفسها الجواري، وتحبب إليه الدنو منهن بدون اكتراث أو غيرة، بينما كان عرب الجاهلية وصدر الإسلام يمنعون تزويج الفتاة من الرجل إذا وقفوا على أمر حبه لها<sup>(١٧)</sup>.

هذه الأحوال ألغضت إلى ضعة المرأة وتلاشي عزة نفسها واستقلال فكرها، وطفق الرجل يزدرئها ويسيء الظن بها، ويعذرها خصماً له، ويشير بعدم الركون إليها، فعاشرها على غل

وسوء ظن<sup>(١)</sup>، وفضل عليها الأبواب<sup>(٢)</sup>، وأوصد دونها النوافذ<sup>(٣)</sup>، ونهاها عن الخروج إلى الطرقات والمسالك والأسواق<sup>(٤)</sup>، وهو مقارن الذنب الأول في انحطاطها<sup>(٥)</sup>، فشاع بين الملأ الطعن في طباع المرأة، وسوء سريرتها إلى حد ألفت فيه الروايات والأقاصيص، ونظمت فيه الأشعار، وصيغت الجمل الحكمية والعبارات البليغة في تحذير الخلائق من خيانتها وكيدها. وأحسن مثال على ذلك قصص (ألف ليلة وليلة) التي تحفل بكثير من أحوال المرأة في العصر الإسلامي الوسيط. وقد أثرت هذه الأحوال في عقلية رافية ناضجة كعقلية شيخ المعرة والشعراء، أبي العلاء، فقال:

إذا بلغ الوليد لديك عشراً

فلا يدخل على الحرم الوليد

وإن خالفتني وأضعت نصحي

فأنت وإن رزقت حجاباً وليد

إلا إن النساء حبال غي

يهن يخضع الشرف التليد<sup>(٦)</sup>

(\*) طاهة الظواهر السلبية في ص ١٧ و ٢٥ من كتاب ((تحرير المرأة)) لقاسم أمين

كما أثرت في عقلية أبي بكر الخوارزمي، فكتب إلى أحد الرؤساء، يعزیه بفقده ابنته، قائلاً:

((ولولا ما ذكرته من سترها، ووقفت عليه من غرائب أمرها،

لكنت إلى التهنئة أقرب من التعزية. فإن ستر العورات من

الحسنات، ودفن البنات من المكرمات. ونحن في زمان إذا قدم

أحدنا فيه الحرمة فقد استكمل النعمة. وإذا زف كريمة إلى القبر،

فقد بلغ أمنيته من الصهر. قال الشاعر:

ولم أر نعمة شملت كريماً

كنعمة عورة سترت بقبر<sup>(٧)</sup>

وقال آخر:

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً

والسوت أكرم نزال على الحرم

وقال آخر:

وددت بنيتي، وددت أنني

وضعت بنيتي في لحد قبرى

وقال آخر:

ومن غاية الجد والمكرمات

بقاء البنين وموت البنات

وقال آخر:

سميتها إذ ولدت تموت

والقبر صهر ضامن وبيت<sup>(٨)</sup>

هذه لحة موجزة عن آراء بعض أصحاب العقول الناضجة

المتفوقة في المرأة آنثب. فكيف كانت آراء الرجال دون هذا المستوى

من العقلية، قياساً على ذلك؟!

## العصر الأندلسي وعصور أخرى

أما في الأندلس، فيبدو أن وضعها أفضل مما كان عليه في

العصور سالفة الذكر، فقد أفادت السيدة اسى طويبي في كتابها

(عبر ومجد) أن المرأة في هذا العصر، بنوع خاص، تلقت العلوم

مع الرجل كالتب والفلسفة والفن وغير ذلك، ودخلت المسجد

الجامع في قرطبة، والمعاهد العلمية. فجلست في حلقات الدرس

منقبة محتشمة، تتلقن العلم والأدب، وألقت المحاضرات الأدبية

على الرجال والنساء. وكان منهن العالمات كمریم بنت يعقوب

الأنصاري، أستاذة الشعر والأدب، وكانت جليلة القدر عند

العظماء ودانية منهم لعراقة أصلها ونبل أخلاقها. ودرست

استاذات غيرها بنات الأسر الشريفة<sup>(٩)</sup> ومحمد البنداري أفاد

بأسماء ملكات عربيات في إشبيلية وغرناطة وغيرهما، وبأسماء

أميرات في الأندلس والمغرب العربي.

وكان لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر، أنسة ذات جمال

خارق، تدعى لبنة، اشتهرت بعلمها في النحو والشعر والحساب

وعلوم أخرى، ويأنشأ لطيف، فاستخدمها الخليفة في تحرير

رسائله الخاصة. وفي العراق، كما في المغرب، جلست المرأة في

حلقات الدرس مع الرجل لحفظ القرآن الكريم والحديث

الشريف والفقه، وأدت الامتحانات بما تلقت من التعليم

كالرجل<sup>(١٠)</sup>.

أما في عصر الدولة الفاطمية، فلقد قاست المرأة المصرية كثيراً

في عهد الحاكم بأمر الله، إذ كان هذا الرجل مصاباً بالاضطراب

العصبي الذي دفعه إلى التضييق على حرية الشعب عامة وحرية المرأة خصوصاً، فأمر بمنع خروج النساء بدون نقاب، ثم تمادى في الاستبداد فمنعهن من الخروج بتاتاً، ومنع الخفافين من صنع الخفاف لهن، كي لا يسـتـطعن الخروج من منازلهن، ولما غضب التجار، أمر بخلق حوانيتهم، فلجأوا إلى السخرية منه بصنع امرأة من الورق، والبسوها ملاءة وخفا، وبيدها كتاب كله شتائم. فلما رآها، ظنّها امرأة حقيقية، فأوعز بقتلها. ولما انجلت له الحقيقة، أوعز بقتل كثير من النساء، وإحراق دورهن وحوانيت التجار، وقد نجم عن ذلك حرق ثلثي القاهرة<sup>(١٣)</sup>.

وفي عهد الماليك لبثت المرأة قيد الخجر، مما لرغمها على التفرّج عن نفسها، ولكنه جبرها إلى الإسفاف والخروج على الآداب العامة خروجاً حمل الحكام على الضرب على يدها<sup>(١٤)</sup>.

وفي العهد العثماني، لم تكن خيراً منها في عهد الماليك، إذ لم يسمح لها بالظهور أمام رجل حتى لو كان طبيباً مهما بلغت خطورة مرضها، فدلّض إلى اللحد بدل عيادات الأطباء<sup>(١٥)</sup>.

في حين أن المرأة الغربية أخنت عن المرأة العربية في الأندلس السمو في الفكر والعمل وصاغته في قوالب تناسبها<sup>(١٦)</sup>.

## حكم الحجاب في الشريعة

قال قاسم أمين:

نص الكتاب العزيز في سورة النور/ ما يأتي:-

((قل للمؤمنين يفضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم! ذلك أزكى لهم! إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يفضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها. وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولي الأربنة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن))<sup>(١٧)</sup>.

يتضح من النص السالف أن الشريعة أباحـت للمرأة إظهار بعض أعضائها أمام الغريب عنها، بيد أنها لم تعين تلك المواضع،

وأفتى العلماء بأنها وكلت فهمها وتعيينها إلى ما كان معروفاً في العادة وقتئذ. واتفق الأئمة على أن الوجه والكفين مشمولان بالاستثناء في السورة أنفة الذكر، واختلفوا في أعضاء أخرى كالنراعين والقدمين. فابن عابدين في كتابه (رد المختار على الدر المختار) في فقه المذهب الحنفي، قال:

"وعورة الحرة جميع بدنّها حتى شعرها النازل، في الأصح، خلا الوجه والكفين والقدمين، على المعتمد، وصوتها، على الراجح، وذراعيها، على المرجوح، وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه لا لأنه عورة، بل لخوف الفتنة، كمسه وإن أمن الشهوة، لأنه أغلظ، ولذلك ثبتت به حرمة المصاهرة، كما يأتي في الحظر. ولا يجوز النظر إليه بشهوة كوجه أمرد، فإنه يحرم النظر إلى وجهها ووجه الأمرد إذا شك في الشهوة، أما بدونها، فيباح ولو جميلاً"<sup>(١٨)</sup>.

والقاضي شرف الدين أبو محمد إسماعيل المعروف بابن المقري في كتابه (روض الطالب) في فقه المذهب الشافعي، أورد:

"نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من المرأة للرجل وعكسه جائز. ويجوز نظر وجه المرأة عند المعاملة وعند تحمل الشهادة وتكلف كشفه عند الأداء"

وعثمان بن علي الزيلعي (المتوفى سنة ٧١٢هـ) في كتابه (تبيين الحقائق) وهو شرح (كنز الدقائق) للنسفي، صرح:

"وبين الحرة عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها لقوله تعالى (ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها) والمراد محل زينتهن وما ظهر منها الوجه والكفان. قاله ابن عباس وابن عمر، واستثنى في المختصر الأعضاء الثلاثة للابتلاء بإبدانها لأنه عليه الصلاة والسلام نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب ولو كان الوجه والكفان من العورة لما حرم سترهما بالخيط. وفي القدم روايتان، والأصح أنها ليست بعورة للابتلاء بإبدانها"<sup>(١٩)</sup>.

وقد أفتى فقهاء المالكية والحنابلة والحنفية بكون الوجه والكفين ليسا من العورة التي ينبغي سترها. وروت عائشة زوجة الرسول العربي الكريم: "إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعليها ثياب رقاق، فقال لها: يا أسماء، إن المرأة إذا سلفت الحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا

وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه<sup>(١٠٠)</sup>.

وأبو الطيب محمد صديق حسن خان بسهادر (المتوفى عام ١٢٠٧هـ) في كتابه (حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة)، أفاد: "ولنما رخص للمرأة في هذا القدر لأن المرأة لا تجد بدأ من مزاوله الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والحاكمة والزواج. وتضطّر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن<sup>(١٠١)</sup>".

وبخصوص تفسير الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، بهذا الصدد، تفسيراً مخالفاً للحقيقة مما أدى إلى إلغاء حرية الرأي والضمير والنقد، أقتبس هذا القول، من مقال بعنوان (فلسفة الانقلاب التركي الحديث) في مجلة (العصور) القاهرية (عدد ٢ مجلد ١ أكتوبر ١٩٢٧):

"وبكثير من الخطأ في التفسير والتلاعب به، فصلت المرأة عن الحياة الاجتماعية. ونبيح تعدد الزوجات، فلم يصبح للمرأة في عالم الاجتماع مكاناً تشغله". كذلك فرضت المدارس على الناس أحكاماً شاذة لتقوي بذلك دعائمها وتثبت مركزها. فقد قالت إنه فجور أن تكلم امرأة أحداً غير أهلها. بل قضت بأن ظهور شعرة واحسدة من شعرها ليراها أجنبي، سبب كاف للطلاق" (ص ١٢٤)

\*\*\*

وهذه لمحات عن تاريخ حكام المسلمين، تشهد بحرصهم على صيانتهم الآداب العامة. ففي عهد الوزير منجك اليوسفسفي، حوالي عام (٧٥٠هـ)، ولعت النساء بارتداء ثياب شفافة تبين أجسامهن، فاصدر أمره بصلب من تفعل ذلك، وإمعاناً في الإرهاب، أقام تماثيل من النساء مصلوبة في الأماكن العامة<sup>(١٠٢)</sup>.

وفي عهد محتسب القاهرة "منكلي بغا الظاهري" حوالي عام (٨١٨هـ)، اشتدت المراقبة على الآداب العامة، كما اشتدت العقوبة، حتى كانت أغنيات الناس تحذيراً من الوقوع في مخالفتها، منها:

لا تمسك طرفي

منكلي خلـ

علقتك مانتين

قبل مـ يعفي<sup>(١٠٣)</sup>

وفي عهد "قايتبای" حوالي عام ٨٧٦هـ، أوعز إلى محتسب القاهرة، "الأمير يشيك" بأن ينادي النادي في جميع أنحائها بمنع النساء من ارتداء العصابات الخلية، والمخالفات تسحب في الطرقات وتلحق بهن الإهانة علناً على أيدي الشرطة، ويحاكمن بعد ذلك، فامتنعن عن ارتدائها. وفي هذا قال الشاعر - المعاصر آنذاك - زين الدين:

أمر الامام مليكنا بعصائب

في لبسنا غسراً على النسوان

فقلقن ثم أطلعنه ولبسنا

ودخلن تحت عصائب السـ سلطان<sup>(١٠٤)</sup>

### المراة المستضعفة بإزاء استبداد الرجل واستئثاره

عند استعراضنا أحوال المرأة البدوية، لاحظنا أنها كانت نداء للرجل، فتبغ في البوادي نساء اشتهرن بالشجاعة والإقدام والحزم والرأي والتجارة والأدب والشعر. ولما استعرضنا حياتها في العهدين الأموي والعباسي، الفينا انتشار الجوارى وشيوع التسري، فساءت الخئون بين الرجل والمرأة، وتضاءلت غيرة الرجل عليها، وباتت هي لا تغار عليه من بنات جنسها. ولما كان الرجل صاحب العصمة ورئيس العائلة، فقد ضيق على شريكة حياته الدروب، وأحاطها بالأرصاد والعيون بدءاً من أوائل العهد الأموي عندما اتخذوا المخصيين عبيداً، تلاه استقدام الصقالبة، وانتهاءً بالعهد العثماني حتى زواله. (بخصوص الإخصاء يفيد الأستاذ محمد البنداري بكونه مسألة دخيلة في الإسلام ولا يقره المرأة ومركزها الاجتماعي" - ص ١٦٧).

وهكذا نلاحظ أن هذا الضرب من الحجاب الذي شاع في البلاد الإسلامية بالشرق، كان مبعثه سوء ظن الرجل بالمرأة، واستبداده بأهل بيته، واحتكار الملذات لذاته.

أما الحجاب الرقيق المنسوج، فهو ليس من مقتضيات الشريعة بدليل النصوص السالف ذكرها<sup>(١٠٥)</sup>، لكن مع تقادم العهد، وتحكم العادة، اعتقلت المرأة بأنه يحل للرجل ما لا يحل لها، فصبرت على حكمه وتضييقه عليها، لكنها لم تحبه. ففي هذا الحاجز الذي

أقامه بينه وبينها، أباح لها مجالسة الخدم والعبيد والجواري، وكف عن مؤاكلتها ومجالستها ومحادثتها إلا لثاماً، وصرح بارتياحه من أمانتها، وتباهى بعدم خروجها من المنزل إلا إلى القبر. لا مساحة أن معاملة المرأة بهذا الأسلوب فيها ظلم واحتقار لنصف الجنس البشري، وهو يتعكس على النصف الأول وبشكل أعظم إذا كان نصف الرجال هو سببه. كما أسلفت. خصوصاً أن هذه المعاملة أصلاً تناقض تعاليم القرآن الكريم الذي أوصى بالمودعة والرحمة بين الزوجين، ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة))، كما أوصى: ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)) و((عاشروهن بالمعروف))<sup>(١٧)</sup>. لكن غلب انصرام عصر العلوم، اقتصر الفقهاء على النظر في الأبحاث الدينية الجدلية، فخيم الجهل على العقول، وانحسر من التهذيب والثقيف (كما اعتري النصرانية في عهودها الحاكمة)، فطفقوا يفسرون الآيات والأحاديث والأسانيد وفق أهواء ونزوات الغالبية أو الحكام أو التسلطين والمتنفذين، ففسلت الأحكام، واستبد الحكامون، فألفى الرجل منتسباً لاستبداده واستثنائه، فجرت تلك الأوضاع سوء العاقبة على المرأة المستضعفة.

ويفسر بسوء بعض الناس والاجتماعيين هذا الظلم من الرجل تجاه المرأة، بكون الرجل الذي يحيا في مجتمع يسوده العنف والبطش، يكظم ما يعتل في نفسه من جراء ذلك، لكنه يعامل أهل منزله نظير معاملة الحاكم الغاشم، انتقاماً لنفسه من المخلوقات الضعيفة التي يعولها. تلك سنة من سنن العمران على اختلاف أطوار التمدن. فالبلاد التي يتولاها حكام ظلمة، يحذو حذوهم رؤساء الأسر بظلم نسوتهم وأولادهم، بينما في البلاد التي يتولاها حكام عادلون، يعامل الرجل أفراد عائلته بالعدل والرفقة والمودة، وتناول المرأة حقوقها وتمارسها بشكل طبيعي<sup>(١٨)</sup>. فالبيت دولة صغيرة، كما أن الأمة دولة كبيرة.

وقد جاء في بحث موسوم (فلسفة الانقلاب التركي الحديث). المشار إليه آنفاً. بشأن نظم الحكومات وتاريخ الشعوب. ذات العقلية القديمة. هذا التساؤل: فماذا ترى؟ والجواب عنه: "... ملك مستبد بعيد عن التقيد بما توجبه شرائع الآداب، منعوت

دائماً بأنه ظل الله فوق الأرض، وقصر منيف الظاهر، مشمخر البناء، وما هو في الحقيقة إلا دار بغاء رسمي، تملأ جوانبه السراري والجواري، بل إنهم عبارة عن مجموع من أبناء البشر التمساء، بعيدين عن حقيقة الحياة"<sup>(١٩)</sup>.

وهذا حقاً ينطبق أحسن انطباق على قصر (يلدز)، رمزا لاستبداد والخليان، الذي كان مقر السلطان عبيد الحميد، ومستقر السراري والجواري والعبيد، وعلى غيره من قصور سلاطين آل عثمان.

وقد رافق الحجاب الظالم، وسوء معاملة المرأة والظن بها، تعدد الزوجات<sup>(٢٠)</sup> والطلاق<sup>(٢١)</sup>. لأن الشرع أجاز الأول إلى حد أربع نساء، بشرط عسر هو أن يعدل الرجل بين نساؤه، بدليل الآية "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، فلا تميلوا كل الميل، فتذروها كالعلة"<sup>(٢٢)</sup>. لكن أثر الرجل، وضعف المرأة وجهلها والأحوال المظلمة التي أحاطت بها، عوامل أعانت الرجل على المضي في هذا المنحى بدون التزام أو تطبيق ذلك الشرط العسير إلا في النادر جداً. ولهذا كانت أغلبية العقلاء وأصحاب المروءة تكتفي بقريفة واحدة، خصوصاً في عهد التسري. إذ قد تنسل الجواري للواحد منهم. إذا كان راغباً في الذرية. لكن تعدد الزوجات لبث أمر متبعاً حتى بين أصحاب الفضيلة والمروءة والتعقل إلى يومنا هذا، ولو بتناقض مستمر. وإذا أحصى المتزوجون بأكثر من قريفة، فلن تتجاوز نسبتهم الآن ربما ١٪، بينما في أوائل القرن الحالي، ربما بلغت نسبتهم بين ٥-١٠٪ في المدن، وهم غالباً من عامة الشعب. أما الخاصة، فتغلب عليهم أسباب قهرية في لجوئهم إلى ذلك<sup>(٢٣)</sup>.

لكن كثيرين من أهل الوجاهة والشرف، في الأجيال الإسلامية الوسطى، جمعوا بين التسري وتعدد الأزواج، لكن السيادة كانت غالباً للمرأة الأولى. والمرأة العاقلة التقية عنت إهداء بعلمها، ما يرتضيه من الجواري الحسنان، فضيلة كما فعلت أم جعفر بالرشيد لتشغله عن الجارية بنانير. وحدث أحياناً أن المرأة التقية أعانت حليلها على الاقتران بأمرأة أخرى. لحسبانها أن ذلك المسعى ينيلها ثواباً، كما روى الشيخ الجبرتي، المؤرخ المصري، عن إحدى قريينات لبية، إذ كانت صالحة مصوناً، بارة



بيعها، مطيعة له، وتشترى له السراري الحسان من مالها، وتنظمن بالحلي والملابس، وتقدمهن إليه، معتقدة نيل الأجر والثواب على ذلك، وكان البعل يتزوج عليها كثيراً من الحرائر، فلم يسوؤها ذلك، ولم يحصل عندها ما ينشأ عند النساء من الغيرة.

أما الطلاق، فالعقلاء يهتونه ولا يحبونه استناداً إلى بعض الآيات، مثل: "وإن خفتن شقاق بينهما، فابعدوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها، إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما". والآية الأخرى: "فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً" واستناداً إلى الحديث: "بغض الحلال عند الله الطلاق". لكن الأنوفين والفضلاء، لا يطلقون إلا لعلّة كبيرة أو عذر مشروع، والإحصاء يدل على أن أغلب حالات الطلاق تقع بين عامة الشعب. ومن العوامل التي أعانت على كثرة حوادث الطلاق، المبالغة في التحجب، فكان الشاب يتزوج الفتاة من غير أن يبصر وجهها، فإذا ألفاها غير ملائمة له، طلقها بكل يسر. لأنه عندما ارتضى الاقتران بها، أبرك مقدماً سهولة تخليه عنها بالطلاق، إن لم ترقه. وهذا التضيق ليس من أحكام الدين، بل هناك احاديث تجيز وتحبذ أن يرى الرجل خطيبته قبل الاقتران. ويقول قاسم أمين بأن أئمة المذاهب اتفقوا على جواز نظر المرأة للخطيب، بل قالوا بنديه (أي أن يدعى له ويحدث عليه)، نظير ما ورد في سورة البقرة: "ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النكاح"، وقول الرسول العربي للمغيرة بن شعبة لما خطب امرأة: "انظرت إليها؟". فلما أجاب: "كلا"، قال له: "انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤذم بينكما المودة والالفة". وروى عبد الرزاق سعيد بن منصور أن الخليفة عمر بن الخطاب كشف عن ساق أم كلثوم لما أرسلت إليه ليبصرها بعد أن خطبها. فلو استرشد القوم بهذه المأثورات، لندرت بواعث الطلاق. بيد أن الطلاق، في أحوال أخرى، علاج ناجح في المجتمعات المدنية، برغم أن بعض المذاهب قد حرّمه.

(\*) بخصوص خطبة النكاح وتعدد الزوجات والطلاق، طالع ص ١٢٩، ١٥٢، ١٥٧ - ١٥٩ من كتاب محمد البنداري (المرأة ومركزها الاجتماعي في الدولة) المذكور في هامش (١٨).

## الصراع في سبيل تحرير المرأة

تحفل الحياة بشتى ضرورب الصراع: فصراع مع قوى الطبيعة لضمان لقمة العيش، واصطراع الطبقات لضمان البقاء والتحكم، واحتراب بين الخير والشر، وعراك بين الحق والباطل، وصراع بين القديم والجديد. وهكذا نرى أن الحياة - من المهد إلى اللحد، منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا، وستلبث إلى انقضاء الدهر - سلسلة متلاحمة متداخلة من الصراعات المتباينة اتجاهها وحافزها، المتفاوتة عنفاً وأسلوباً.

والصراع بين القديم والحديث، وبين الحرية والعبودية، يتمثل في أحد مظاهره بالصراع في سبيل تحرير المرأة من الاستعباد والتخلف والاستغلال، بل من الجور بمختلف أشكاله وما تحرير المرأة سوى تمهيد لتحريرها من الحجاب بشكليته: الشكل المرئي الملموس الذي يستر وجهها "خشية الفتنة" وهذا مرذو إلى ضعف الرجال وتهافتهم بسراة أول يسارق من الفتون؛ والشكل الخفي الوهمي - لكنه الأعتى والأقوى - الذي يحجر عليها ضمن منزلها، ولا يبيح لها الخروج إلى الشارع والمدرسة والسوق والمسرح والحديقة والمسجد، كأنها من طينة دون طينة الرجال نبلاً وتكويناً وأصاله.

تحركت الضمانر في منتصف القرن التاسع عشر، غب تنور الأذهان والوقوف على مظاهر التمدن، وعوامل رقي الشعوب، فتحسرت مع الأسباب الأفئدة، وارتفعت الأصوات داعية إلى تحرير المرأة من أصفاد التقاليد البالية المتجسدة في الأمية، وتجارة الرقيق، واقتناء الجواري، والتسري وتعدد الزوجات، والطلاق لأتفه الأسباب، والحجر عليها بإبقائها ضمن الجدران بين القيان والعبيد، وبتر بعض أعضائها الأنثوية، وإسدال البرقع على محياها إذا غادرت دارها أو قصرها الحافل - غالباً - بصنوف الفساد والجور. أجل، ارتفعت تلك الأصوات، وكانت كلها نبيلة القصد، "انظر فصل الحركة النسائية في العالم". من كتاب محمد البنداري (المرأة ومركزها الاجتماعي...).

من الأصوات السباقية في هذا المضمار صوت المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٢) الذي جمع آراءه بشأن وجوب تعليم المرأة

في خطاب الفساد في ١٤ كانون الأول ١٨٤٩. فهو قد رأى الضرورة في: "أن تنال المرأة من التثقيف والتهذيب قسماً وافراً يساعدها على القيام بعملها الاجتماعي. وبين أن تلك الضرورة ناتجة عن طبيعة المرأة التي هي كائن حي ناطق، وناتج أيضاً عن عملها الاجتماعي)" (١).

وأوضح موقف مخالف فيه في هذا الرأي، وأثبت بطلان براهينهم التي هي شاهد على سطحتهم في حقيقة الأمر. ورأى أن العلم في المرأة هو على وجه ما من شروط العلم في الرجل، إذ قال: "لا يمكن وجود العلم في عامة الرجال بدون وجوده في عامة النساء، كما أنه لا يوجد نساء عالِمات في عالم من الرجال جاهل".

كتب عنه حنا الفاخوري في "تاريخ الأدب العربي" قائلاً:

"وهو بعد ذلك يلقي نظرة على حالة المرأة في الأمم الوثنية والبربرية، ويرى حالتها ليست بعيدة عن حالة البهائم، وذلك دليل على تقهقرهم ووحشييتهم، فيما أن للمرأة في البلاد الأوروبية حقوق الرجل، ويلقي نظرة على المرأة في بلادنا لذلك العهد، وإذا حالتها وسط بين حالة المرأة في الأمم البربرية، وحالة المرأة في الأمم المتقدمة، وذلك دليل على أن البلاد لا تزال في تقهقر وانحطاط اجتماعي. ومن ذلك يتطرق البستاني إلى بسط بـراهيـنه في وجوب تعليم المرأة، ومن أهمها أن المرأة لم تخلق لتكون في العالم بمنزلة صنم يعبد، أو أداة زينة تحفظ في البيت لأجل الفرجة؛ ولا أن تصرف أوقاتها بالبطالة وكثرة الكلام والهذيان، أو تقتصر من الأعمال على كناسة البيت مثلاً... بل أقامها الله أمناً للخليفة، فهي بحاجة إلى نور وثقافة لتستطيع أن تربي الخليفة تربية راقية ولاسيما أن من طبيعتها خلقت للمعرفة (فإذا نظرنا إلى ما أسبغه الله عليها من القوى العقلية والأدبية كالتمييز والذاكرة، وقابلية التعلم والتعليم، والميل إلى الخير والشر، وهلم جرا، نستدل على أن هذه القوى لم تعط لها عبثاً بدون غاية)" (٢).

"أما مواد تعليم المرأة فمرجعها ما تحتاج إليه للقـيام بواجباتها، أي إلى الديانة واللغة التي ولدت فيها والقراءة والكتابة وعلم تربية الأولاد والاعتناء بالبيت من خدمة نظافة وخياطة وطبخ واهتمام بالمرضى، والجغرافية والتاريخ

والحساب" (٣).

وإذا كان عنده من مضار جهل المرأة فساد نوقها وعقيدته وآدابها، وفقدان الحبة الطبيعية حتى نحو أولادها، فإن فوائد تعليمها توسيع قواها العقلية، وإيقاظ ضميرها وتنبيهه، وتقوية إرادتها وعواطفها الأدبية، وترتيب سلوكها وتصرفها، فتزاد رفقة قلبها وحنوها ولينها، وتكمل ما ينقص بعلمها من الخواص وتغدو نبساً ومثالاً صالحاً لأبنائها" (٤).

أما أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ - ١٨٨٧) الذي أصدر صحيفة (الجوائب) عام ١٨٦٠. أي قبل مولد قاسم أمين بأربع سنين. فنأدى بسوجوب الاهتمام بتربية حالها وتنقيتها بالعلوم وإطلاعها على ما يجديها ويعود بالجدوى على بنيتها من ميادى الإدارة والتربية الصحيحة، وله في ذلك لباحات كثيرة أجراها على لسان القاريات وقرينته في حديثهما عن أحوال المرأة في الشرق والغرب (حنا الفاخوري. ص ١٠٤٢). وهذه مقالته في (الجوائب) بعنوان (بيع الرقيق في الأستانة):

((قد تقرر في خواطر أصحاب البيوت الموسرين وغير الموسرين بالأستانة أنه لا بد من شراء الجوّاري البيض والسود لخدمتهم أو للتمتع بهن. فتجد في بيت الموسر عذّة منهن. والغالب أن الجوّاري السود يخدمون في المطبخ، وأما الجوّاري البيض فأنهن يستخدمن في تنظيف الحريم والفرش والخياطة وما أشبه ذلك. ومن العادة أنه متى أراد أحد أن يشتري واحدة من هذه الجوّاري، أبقاها عنده يومين أو ثلاثة للتجربة. فتظهر الجارية في خلال ذلك غاية الخضوع والانقياد والاجتهاد في إشغال البيت والحرم على تنظيف آنيته وفرشه، ويظن الإنسان أنه قد ظفر بضالته. حتى إذا أدى ثمنها، تخلقت بأخلاق أخرى. فتتقاعس عن العمل، وتأخذ في تعداد محاسن البيت الذي كانت فيه أولاً. فتقول: إني كنت هناك أكل كذا واشرب كذا، وكنت أتنزه في الحدائق وأتنعم في الحمام وأخرج إلى الأسواق، وكان لي جارية مخصوصة لخدمتي، لأن سيدي الأول كان يفضلني على جميع جواريه، بل كان يحبني حتى غارت زوجته مني فخاصمته لأجلي...))

"ومع أن أقصى مرام هؤلاء الجوّاري هو التفريق ما بين الرجل

وزوجته أو إفساد بنيه... أو إفساد امرأته حتى يستحوذ عليها، فما أحد من أصحاب البيوت تنبه إلى الآن لاستئصال هذا الشر، فتراهم يبدأ مدخلين جارية ومخرجين أخرى". "والظاهر أن لا علاج لهذا الداء. لأن النساء الفقيرات من الترك يستنكفن من الخدمة، بل يحسبنها معرة. فلا يكون بدن، والحالة هذه، لأصحاب البيوت من شراء هؤلاء الجوارى المفضي إلى خراب بيوتهم"<sup>(١)</sup>.

لكن صوتاً آخر سبق الصوتين السابقين - ولو دونهما حدة وعمقاً - هو صوت رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٢) أسمعا دعوة غير مباشرة إلى تحرير المرأة وتعليمها في كتابه الموسوم (تخليص الأبريز في تلخيص باريز) الذي ألف قبل نشرين الأول من عام ١٨٢٠، وصدرت طبعته الأولى عام ١٨٢٤، ونقل إلى التركية في السنة نفسها. وثمة دعوة إلى تقريب القروق بين حق المرأة وحسب الرجل في التعليم في مداولات لجنة تنظيم التعليم التي كان الطهطاوي عضواً بها.

والصوت الرابع هو صوت أديب إسحاق. ومما قاله في المساواة: "إن المرأة مساوية للرجل، ولكنها غير الرجل، فرفعها إلى المقام الذي تستحق، لا يكون بمماثلتها للرجل، فإن ذلك مفسد لطبيعتها، مغاير لخلقها، وإنما يحصل بمماثلتها وتقديمها استمراراً من جهة أنها امرأة، بحيث توجد المساواة مع الفارق".

واستغرب أديب إسحاق قول مانعي مهنة التعليم عن النساء بدعوى زوال رونق البهجة عنها، وعدم أخذها بمجامع القلوب، لأنها خلقت كطائر غريد، وطفل عابث وطفل محب. فالحب بجانبها إذا انشغلت بشواغل العلم لكن أديباً تهكم في تساؤله: "متى كان شأن الزوجة والأم مقصوراً على الطباخة أو نظارة الطهو أو الخدمة أو مراقبة الخادمين والاهتمام بالمصلحة الحسية وأمزجة أهل البسيت؟ وهل ينحصر شأنها في الحب والرضاعة والتغذية...؟"<sup>(٢)</sup>

بيد أن للتحيلة والوالدة، عند أديب إسحاق، منزلة أسمى من ذلك، فهما مرشدتان ومربيتان، وعملهما يتطلب المعرفة، وهذا لا يعني وجوب كون البنات عالمات في الفلك والطبـيعيات والرياضيات، بل نيرات الأبواب بأقباس العلم، ومؤهلات للإسهام في آراء الرجال وتعليم الأولاد وثقة يفهم. فلا تضجر المرأة إلا

لجهلها، ولا تنفق مرتب بعلمها لشهر في شراء حلي، ولا تنفقه إلى مرفقتها إلى دار لهو أو دار خيانة إلا لانحجاب العلم عنها ونأيها عن مجالات النباهة، والاهتمامات الثقافية والفكرية، فلم يتبق لها غير اللجوء إلى البهارج والمظاهر والزيف"<sup>(٣)</sup>.

والصوت الخامس هو صوت ولي الدين يكن، الذي رام نبذ رام نبذ سيئات الأجانب، وأخذ حسناتهم، ومن أجلها تحرير المرأة، متأثراً بمذهب، فاسم أمين، وداعماً رأيه في تعليمها وتنقيفها فائلاً:

"قالوا إن تعليم البنات مهين إلى إفسادهن... إن هو إلا لجأج مبین" وهو يريد رفع الحجاب، ولا سيما أن الدين لا يفرض الحجاب، بل يفرضه التعصب والاستبداد، وليس فيه من رادع عن المنكر، فما "على وجوههن إلا برافع تشف عما تعلو، فهن حاسرات مقنعات" وطالب بحرية المرأة، وتخييرها في تقرير مصيرها، وانتقاء بعملها، كي لا تزف إلى من لا تحب، ولا تغدو "مجهولة زفت إلى مجهول"، فيتولد عن ذلك أسرة خاملة تاعسة، تسمي للمجتمع عامل إفساد وتحطيم بدلاً من إصلاح وتعير"<sup>(٤)</sup>.

وقد اشتمل كتاب "الصحائف السود" لولي الدين يكن على مقال بعنوان (المرأة) تصدرته أبيات رائعة منها:

ألا ما لسيندتي ناحبة  
بسروحى مدامعها الساكبة  
تفتش ليست ترى صاحباً  
يقاسمها الحزن أو صاحباً  
لقد غلب اليأس آمالها  
وأمسألتها كانت الغالبة  
لزيلى الحجاب عن الحسن يوماً  
وقولي: مللتك يا حاحبة  
فلانا منك ولا أنت مني  
فرح ذاهباً، ها أنا ذاهبة  
ويتابع قائلاً:

((شهدت مصارع ثلاث نسوة: أحداهن قتلها الاستبداد، والثانية أرهاها الجهل، والثالثة أودى بها الحجاب... فأما التي قتلها الاستبداد، فامرأة جركسية كانت مقيمة مع أهلها بقصرية

من قرى العزيزية التابعة لولاية سيواس. اشتراها أحد رجال ((س باشا)) من أبيها بخمسة وعشرين جنيها. فلما قدم بها الأستانة على سيده، أهداه إياها، فأسكنها حرمه، وكساها وحلاها حتى إذا خطرت لديه، رأى في مواطن قدميها مواضع لجبأه العاشقين، فخطب ودها... وقالت: ((مكاني في خدمة الأمير أحب إلي مما عداه)). فما زاده ذلك إلا... خبا، واستهتارا بهواها، وما زادها إلا نفورا منه وبغضا. فتمكنت ذات يوم من انقاذ كتاب لأبيها تشكو له ما تجد من اشتياقها إلى أمها وأخواتها، وتعلمه بما تحس من اضطحال قواها، فأصابته شكايتها موضع الرحمة من فؤاد أبيها، وأقام أياما يتزود للسفر إليها... فلما عاد من سفرته، قالت له امرأته: "وكيف حال من بعثها؟ فقال: رحمة الله عليها... وأما التي ارداها الجهل، فغانية كتمثال فينوس، استصحبها أبوها إلى بيروت، وهي في الخامسة من عمرها، وأدخلها هناك إحدى مدارس الراهبات أخذت بسر أي صديق. فلما كُتبت علومها... أخرجها أبوها، وقد بلغت الثالثة عشرة، وأوجب عليها الحجاب ومجاورة البيت، ومنعها مطالعة الكتب الإفرنجية، فقالت له: إذن لم علمتني ما لا تريد أن أعمل به؟ فقال لها: لي الأمر، وعليك السمع والطاعة، فدعي الجدل. فامتثلت المسكينة وفي النفس ما فيها". وخطبها فتى للزواج نعتته أمها بكونه جميلا كأبناء الملوك، فأجابته الفتاة أنها لا تريده مازالت لا تعرفه. ثم مضى شهران، وزفت الجوهلة إلى الجهول، ثم مضى شهران، فدخل عليها زوجها يوم وفي يدها صورة رجل مكشوف الرأس، عليه ثياب قائد الجنود وفي يده قبعة، ففاز دم زوجها، وثار غضبه وأدركته غيرة الزوج، فعمد إلى خنجر كان يحمله، فشق به بطن امرأته، فإذا هي جسد بلا روح. ولما تأمل الناس ورجال القضاء الصورة التي أغضبت الزوج، إذا هي صورة واشنطن الشهير معيي مجد أميركا!!". "وأما التي قتلها الحجاب، فقد تزوجها رجل من أهل (أنه) شديد الغيرة. دخلت بيته ليلة زفت إليه، ولم تخرج منه أبدا، حتى إذا مرضت وثقل عليها المرض، واشتد الألم، دعا زوجها طبيباً وأخذ يصف له ما تشكوه. فقال: أنا لا أداوي على السماع، ولا بد من رؤية المريضة، وفحص موضع العلة. فأبى الزوج الأبى ذلك. وما مضت أيام فلانل إلا وقد أزروها في أكفانها،

وشيعوها إلى منزلها الأبدى: من ضريح إلى ضريح<sup>(١٢)</sup> والصوت السادس هو صوت باحثة البادية.

(ملك حفني ناصف) التي قال فيها شبلي شميل: "فباحثة البادية بين النساء المصريات بل المسلمات بل الشرقيات عموما لا يقل فضلها في الضرب على مساوي الأسرة عنلنا، والحض على وجوب تعليم المرأة لتحرير عقلها وتقويم أخلاقها بالعلم الصحيح، عن فضل قاسم أمين في وجوب تحريرها، وإن كانت له تطلب لها هذا التحرير إلى الغاية القصوى مثله. لأنها لم تطلب إلغاء الحجاب بالكلية. وهو رأي في نظر البعض وجيه".

(انظر مي زيادة في (باحثة البادية) ص ١٢. مؤسسة نوفل بيروت / ١٩٢٥)

وقالت فيها (مي) زيادة: "كانت من أنصار السفور مبسليا. ومن رأيها أن كل ما تحتاج إليه المرأة، ولا تجده بين النساء كالطبيب البارع والأستاذ الماهر إلخ، يجوز أن تستعين به الرجل، وجاهرت بأنها لو كانت واثقة من كمال المرأة وتهذيب الرجل، لما ترددت في إباحة السفور للجميع. كما أنها تبيحه للراقيات من النساء. وقد أبنت فكرها في ردها على خطبة القاها زعيم السفوريين عبد الحميد أفندي حمدي في نادي حزب الأمة"، جاء فيه (ص ١٠٦) :-

"...فلو امرتهن مرة واحدة بخلعه وترك البرقع، لرأيت ما يجلبه على أنفسهن من الخزي، وما يقعن فيه بحكم الطبيعة والتغير الضجاني من أسباب البلاء، وتكون النتيجة شرا. وإذا أردت هدم بناء، أفلا تهدمه قليلا قليلا، إلى أن يتم الهدم، فتبني على أنقاضه أحسن منه؟... ثم أفندي أيها القارئ بالله، ماذا تقول امرأة جاهلة أو متعلمة تعليما ناقصا لشاب تجتمع به، أتباحثه في العلوم وهي لا تدرك أهميتها أو تعلم منها فثورا لا يعتد بها؟ أم تناضله في السياسة وهي لا تعلم أين إنكلترا من جزائر الأرخبيل، ولا يمكنها أن تفسر لفظة دستور أو استعمار مثلا؟ أم ماذا تفعل اللهم أنها لا تجد شيئا تقوله إلا ما قد تستحسنه من هيئته وحسن برته وهناك الضلال الكبير؟ رأيي أن الوقت لم يأن لرفع الحجاب، فعلموا المرأة تعليما حقا، وزبوها تربية صحيحة، وهذبوا النشء وأصلحوا أخلاقكم بحيث يصير

مجموع الأمة مهذباً، ثم اتركوا لها شأنها تختار ما يوافق مصلحتها ومصلحة الأمة".

وقارنت (مي) بين باحثة البادية وقاسم أمين، الذي قرأت كتبه بعد "نسائيات" الباحثة في عام واحد (١٩١٤). قائلة: "باحثة البادية تصلح كامرأة، وقيل إن المرأة أكثر تشبهاً بالماضي. وقاسم أمين يصلح كرجل. أي يرسل نظره أبداً إلى الأمام. هي تسير بتحفظ بين تشعب الأفكار الجديدة والآراء المستحدثة، وكلما خطلت خطوة التفتت إلى الوراء لتتثبت من أنها تابعة السبيل الذي يربط الأمتس بالغد. وكلما جاءت بتبديل في نصوص الاصطلاحية، حاولت سبكه في قالب الاعتدال مع مراعاة العادات المألوفة ما أمكن. هي كثيرة التحذر في إصلاحها، عملية متواضعة في مطالبها، لا تبعد متراً واحداً عن حدود بينتها، وإن حامت فوقها بما أوتيت من شجاعة وذكاء، إلا أنك حينما تسمعها صارخة، كثيراً ما تظن أنها تفعل لتؤكد لك أنها غير خائفة، ولك أن تقدر كذلك أنها تصرخ لتسمع صوتاً إنسياً. وإن كان صوتها. يبعد عنها الرعب والوجل في وحدتها الفكرية. أما قاسم، فلا يصرخ ولا يخاف ولا يرتعش، في فكره مقادير الكمال الكافي لاختطاط النظريات، وفي أصالة رأيه وحزمه من الجدارة ما يحول النظريات إلى ما يطابق الواقع، بل هي الواقع بعينه. وله جناحان يدفعان به إلى نقطة إدراكية يشرف منها على الماضي والحاضر والمستقبل وعلى جميع البيئات والأمم والتواريخ. فيضع هناك كرسي القضاء - كرسيه - ويجلس متأملاً مقابل بين شعب وشعب وعصر وعصر، باحثاً في كل آن وزمان عن تلك السعادة الحلال المتمثلة في صورة امرأة بلاده، "حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل". وبين زرافات النساء المارة أمامه، تستوقف خاطره امرأة بلاده، أمه وأخته وزوجته وابنته، أولئك اللاتي أوجدتهن الطبيعة صديقات لحزنه وأنسه. وكأنني به يناديهن، فيلبين النداء، بطينات متسكعات تعبات، ويدنين فيرى عليهن غشاء يمتع عنهن نور الشمس ونور الحياة: الحجاب!"

"لهذه الكلمة دوي مرعب في نفسه كما لنوي أبواب السجون في مسمع من حكم عليه بالسجن المؤبد ظلماً. فيمسك بهذا الحجاب، ويقلب معانيه من جميع الوجوه، ويدرس تاريخ نشأته وتأثيره

في الشعوب التي اقتبسته ثم نبذته، ويحلل أسبابه ويتبصر في نتائجها، ويراجع أقوال الكتاب العزيز والحديث الشريف وعادات القوم، فيقرر بعد البحث والتعليل أنه ليس إسلامي الأصل مادام أنه استعمل عند أمم سبقت الإسلام، وأنه ليس واجباً على المرأة المسلمة مادام أن ليس في الشرع ضمن صريح يأمر به. هو في نظره اثر من آثار الهمجية الأولى، بل هو "أقصى وأفظع أشكال الاستعباد. ذلك لأن الرجال في عصر التوحش كانوا يستحوذون على النساء وإما بالشرء وإما بالاختطاف"<sup>(١)</sup>.

نعود إلى باحثة البادية فنقرأ قول الأنسة (مي): فيها: "رأت كل ما يتقيد به قومها من عادات دهرية وفروض دينية واصطلاحات اجتماعية، ورأت من جهة أخرى ما لابد من إدخاله من تحسين يؤهلهم للسير بكرامة في موكب القرن العشرين، فنسيت أو تناست تأثرها لتبسط رأياً معتدلاً يوفق بين القديم الجامد والحديث المتهور. كتبت للجميع لأنها أرادت أن يفهمها الجميع، ولم تقصد إلا الإفادة"، وتستدل على ذلك بتصريحها في "الجريدة" تحت عنوان (النسائيات): "أريد مما كتبت واكتب... تخفيف ويلات الزواج على قدر الإمكان. ولست أقصد كل رجل على الإطلاق، كما أنني لم أقصد كل امرأة. إنما الكلام على من فسدت أخلاقهم (وهم مع الأسف كثيرون) فسببوا شقاء الناس وهدموا بناء الزوجية"<sup>(٢)</sup>.

وتذهب (مي) إلى أن ((الباحثة)) حاولت تخفيف تلك الويلات، والتسوية بين الرجل والمرأة واختطاط الأسلوب لإصلاح شؤونهما بالقلم واللسان معاً، مستدلة على ذلك باستهلال خطبتها الإصلاحية الأولى في نادي حزب الأمة:

((ليس اجتماعنا اليوم مجرد التعارف أو... وإنما هو اجتماع جدي أقصد به تقرير رأي لتتبعه ولأبحث فيه عيوبنا فنصلحها. فقد عمت الشكوى منا، وكثرت كذلك شكوانا في الرجال. كلنا متظلمون وكلنا على حق مما نقول. بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة، وما سببها إلا قلة الوفاق بيننا وبينهم هم يعزرون هذه الحالة إلى نقص في تربيتنا، وعوج في طريقة تعلمنا. ونحن نعزوها لخطر سستهم وكبريائهم". "والأوفق أن نسعى للوفاق جهلنا، ونزيل سوء التفاهم والتحرب لنحل بدلها الثقة

والإنصاف، ولنبحث أولاً في نقاط الخلاف<sup>(٣)</sup>.

وتعلق مي على ذلك بأن كل مقالات "الباحثة" جديدة بالاهتمام، وكل انتقاد وإصلاح فيها همين بالبحث والنظر. ثم تورد وسائل الإصلاح ملخصة في عشرة بنود، وختمت بها خطبتها الأولى في نادي حزب الأمة<sup>(٤)</sup>:

"بقي علينا أن نبين الطريق العملي الذي يجب أن نسير عليه. ولو كان لي حق التشريع، لأصدرت اللائحة الآتية:

المادة الأولى: تعليم البنات الدين الصحيح. أي تعاليم القرآن والسنّة الصحيحة.

لمادة الثانية: تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي، وجعل التعليم الأولي إجبارياً في كل الطبقات.

المادة الثالثة: تعليمهن التدبير المنزلي علماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الأطفال والإسعافات الوقتية في الطب.

المادة الرابعة: تخصيص عدد من البنات لتعليم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر.

المادة الخامسة: إطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد.

المادة السادسة: تعويد البنات، من صغرهن، الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل.

المادة السابعة: إتباع الطريقة الشرعية في الخطبة، فلا يتزوج اثنان قبل أن يجتمعا بحضور محرم.

لمادة الثامنة: إتباع عادة نساء الأتراك في الأستانة في الحجاب والخروج.

لمادة التاسعة: المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الأشياء والناس بقدر الإمكان.

لمادة العاشرة: ليست هذه المادة إلا ملحة مصرية. على إخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا<sup>(٥)</sup>.

وعلمت (مي) على المادة الثامنة بقولها: "ترى اتعني عادتهن منذ اثنتي عشرة سنة، أم عادتتهن المتحركة مع الحياة، المتغيرة بتغير الأحوال؟ إن المرأة التركية تحركت كثيراً في هذه الأعوام، وقد كتب بعض مراسلي صحف الفرنجة في الأستانة أنها صارت تسير في الشوارع سافرة بيزي باريصي، كذلك تحركت المرأة

المصرية. وكان أن قامت مظاهرات نسائية في إبان الحركة الوطنية في الربيع السابق، ولم يعترض الرجال، ولم يقابلوا هذه النهضة الجميلة بغير الرضا والإعجاب". ص ١٢٢.

واتماماً لمذهبها الإصلاحية، أوردت (مي) اقتراحات "الباحثة" العشرة التالية إضافة إلى بنودها العشرة الإصلاحية السالفة:

الأقترح الأول: ذهاب النساء، سواء في المدن والقرى، لحضور الصلاة وسماع الوعظ في المساجد.

الأقترح الثاني: جعل التعليم الأولي إجبارياً، وتكثير المجانية على قدر الإمكان في مدارس البنات الموجودة حالاً أو إنشاء غيرها.

الأقترح الثالث: تلزم جميع المدارس (أميرية وأهلية) بتعليم الدين الإسلامي.

الأقترح الرابع: تعين في كل مدرسة للبنات سيدة مسلمة عاقلة تراقبهن كيلا تهلن واجباتهن الدينية، ولا يخرجن من عادة قومهن.

الأقترح الخامس: توسيع نطاق مدرسة الممرضات الحاضرة. والأولى إيجاد مدرسة للطب جديدة لتعليم النساء الصناعة تعليمًا كاملاً بدرجة تساوي درجة الأطباء.

الأقترح السادس: تكثير المستشفيات الخيرية والصيدليات للمرضى من الرجال والنساء والأطفال، ويكون في كل مركز من مراكز المديرية وقسم من أقسام المدن واحدة على الأقل.

الأقترح السابع: اتخاذ جميع الوسائل لمنع الحيف الواقع على النساء المسلمات، فينبه البوليس بأن يراعي الآداب العمومية في الطرق والاجتماعات، وأن يسوق كل مخل بالآداب إلى القسم.

الأقترح الثامن: السعي في تقليل تعدد الزوجات لغير داع ماس بقدر الاستطاعة. فإن شقاق النساء واختلاف الأخوة الناشئين من هذه العادة، وما يتبع ذلك من الشقاق، كل ذلك يدهور الأمة في مهاوي الضناء الأدبي.

الأقترح التاسع: تعليم المرأة المصرية كل ما يلزم من الصناعات الضرورية لجنسها كالتفصيل والتطريز والقيام على تربية الأطفال والخدمة حتى لا يحتاج الوطنيات إلى غيرهن من



الأجنبيات.

**الاقتراح العاشر:** منع النساء من المشي في الجنازات وفي الاجتماع للنذب واللطم والصراخ والتعديد بالطريقة القبيحة التي لا وجود لها إلا في مصر.

وعلقت مي على الاقتراح العاشر بقولها: "عفواً يا سيدتي! إن عندنا مثلها في سوريا".<sup>(١١)</sup>

قالت الباحثة في كتابها "النسائيات" عن الحجاب: "إن نصف أزارنا السفلي مرط (جونيله) لا يتفق مع كلمة (حجاب) ولا مع معناها ولا مع الحكمة منه. أما نصفه العلوي فهو كالعمر كلما تقدم قصر. أما البرقع فأشرف من قلب الطفل".<sup>(١٢)</sup>

ولما كانت "الباحثة" من أنصار السفور، وجه الشاعر أحمد شوقي إليها هذه الأبيات:

((مجد الفتاة مقامها في البيت لا في المعـمل  
لكن إذا دعت الضرورة للخروج فـجهل  
أما السفور فحكمه في الشرع ليس بمعضل  
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل  
ويجوز بالأجماع منهم عند قصد تأهل  
ليس النقاب هو الحجاب فقـصري أو طولي  
فإذا جهلت الفرق بينهما فدونك فـساسلي  
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولي  
لا لبتغي غير الفضيلة للنساء فاجملي<sup>(١٣)</sup>

لكن الكاتبة نفت عن نفسها إتباع مذهب قاسم أمين والتشيع له بردها على أبيات شوقي:

"فعلام أكثرت المسـلا

مـسة وانضممت لغـدلي

وسقيتني من مرقـو

لك مثل نـقع الحـظـل

ونسبتني حينئـلـمـذ

هـسب قـاسـم وأبي علي

تعني وويلك أنـني

أمـارة بـتـبـدل<sup>(١٤)</sup>

وقالت في إصلاح طريقة الزواج، ووجوب اجتماع الخطيبين قبل عقد الخطبة استناداً إلى ما كان يتم وقوعه في الماضي:

"يرى أكثر عقلاء الأمة أن لا بد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج، وهو رأي سديد لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابه يعملون غيره". "مما يجعل مسألة الزواج عندنا هيئة ليننة، إباحة الدين الحنيف الطلاق وتعدد الزوجات. ولكن حاشا أن يكون قصد الشارع ما نراه الآن من الفوضى في أدق الروابط الاجتماعية ومن نقض عهود الأسر وقلب نظماتها. فإن الأديان لم تخلق لجلب البؤس وإنما خلقت لإسعاد البشر". "طريقة العرب على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وما بعده في أمور الخطبة والزواج طريقة شريفة معقولة، إذ لم يكن الحجاب حينذاك كما هو الآن، وإني أجاهر بأن حجابنا مقلوب. ونظام اجتماعنا فاسد أشد الفساد لا يصلح ولن يصلح أن تتبعه أمة متقدمة".<sup>(١٥)</sup>

والصوت السابع كان صوت السيدة الربية نبوية موسى التي ألقت كتابها "المرأة العربية" قبل كتاب "النسائيات" لباحثة البادية، ونادت بأن يغدو تعليم الفتاة حقاً بشرط تقييد حريتها تحاشياً لوقوعها في الزلل. فارتأت الفصل بين الجنسين في ميداني العلم والتعليم والمهنة والعمل، وطبقت نظرياتها الخاصة في التربية والتعليم المخالفة لأراء المسؤولين في وزارة المعارف، فطبقتها في مدارسها بعد استئذنها من الوزارة سنة ١٩٢٦ إذ كانت كبيرة المفتشات، فأفلحت في التطبيق. كانت تحبب العمل للفتاة، وكانت برغم اهتماماتها الإصلاحية شاعرة، لها ديوان فخم، وأديبة من الطراز الأول، ولها أكثر من مؤلف في التاريخ، كما كتبت القصص وفي السياسة. ومواقفها ضد الغاصب قبل الثورة وإبانها وبعدها مواقف مشرفة، ومنحت نيشان "الكمال".<sup>(١٦)</sup>

### "الصوت المزلزل"

والصوت الثامن، وهو الأقوى، والأحكم والأجراً والأشمل. وقد ارتفع فعلاً قبل أصوات ولي الدين يكن وباحثة البادية ونبوية موسى. كان صوت قاسم أمين الذي كان بمثابة الزلزال المدوي، والهاتف المجلجل بفضل كتابيه "تحرير المرأة" و "المرأة الجديدة".

فالأول - الذي صدر عام ١٨٩٩ - رفض الخديوي عباس حلمي الثاني قبول إهدائه إليه ممالة منه للرأي العام الذي ثار في وجه المؤلف لأن كتابه عصف بالمجتمع عصفاً، ورجحه رجاً عنيفاً، ثم تلاه ارتفاع أصوات محبذة ومستهترة، ثم وعي وإدراك تدريجيان. والثاني الذي صدر عام ١٩٠٠ دعم كتابه الأول (أهداه إلى سعد زعلول) حيال موقفه من قضية اشتغال المرأة بالأشغال العمومية والوظائف العامة أي العمل السياسي ووظائفه العليا، ولكنه يتقدم فكراً عن ذي قبل بتعليقه الفروق بين الجنسين التي أهلت الرجل دون المرأة لهذه الوظائف السياسية العليا. فهو في كتابه الأول رأى ذلك التقسيم فطرياً وأبدياً للعمل، ناسئاً عن خصائص كل من الجنسين، بيد أنه في كتابه الثاني علله بكونه ثمرة لتأهيل الرجل وتمرسه، بينما حرمت المرأة منهما وأبعدت عنهما قروناً طويلة، فقال إن حرمانها من هذه الوظائف السياسية العليا هو أمر مؤقت سيزول بزوال الأسباب؛ حتى غدا الناس - بعد أن كانوا جاهلين بالمرأة

وجودها ومكانتها وتأثيرها - إلا من خلال نفثات يراعتها كعائشة التيمورية، أو آرائها الفقهية كفاطمة الخلفاوية. يعدونها إنساناً كالرجل لها - مثله - حقوق، وعليها مثله واجبات.

فلنسمع مقالة قاسم أمين في ما اتهمه به الناس، وفي الدفاع عن نفسه:

"إن الناس يتهمونني بأنني أتيت ببدعة، وفي الحق إن ما ادعوا إليه بدعة في العادات لا في الدين، والعادة قوية التأثير، تتغلب على كل شيء حتى الفضيلة والدين. والعلم هو الذي يستطيع فضح العادات السيئة ورنها إلى الحق. والإسلام وحده هو الدين الذي وعد المرأة بتحقيق حريتها. ولكن المسلمين في عصور الاستبداد ساء فهمهم للدين والمرأة ولحقائق الحياة".

عند قاسم أمين مسألة "الحجاب من أهم المسائل، وذات مكان عظيم في شؤون الأمة، وقبل أن يتطرق بذلك ويسوغ ويعلل، وجه كلامه إلى الناس متسانلاً:

"كلما لنا الآن في هل يلزمنا أن نعيش ونحيا أو نقضي على أنفسنا بأن نموت ونفنى؟ هل علينا أن نهتر مكاننا ونرضى بما وجدنا عليه آبائنا، والناس من حولنا يتسابقون إلى منابع السعادة

وموارد الرفاهية ومعاهدة القوة، ويمرون علينا سراعاً ونحن شاخصون إليهم، أما غير شاعرين بموقفنا وإما شاعرين ولكننا حيارى ذاهلون، أو من الواجب علينا أن ننظر كيف تقدم الناس وتأخرنا؟ كيف تقزوا وضعفنا؟ وكيف سعدوا وشقىنا؟... ذلك هو الأمر الخطير الذي وجهنا إليه نظرنا".

لا مشاحة أن سامع هذا القول، لا يرتاب لحظة في إخلاص الرجل للقضية بدافع من إخلاصه الأول لوطنه وشعبه وأمنه. كما لا يشك اللبيب المتجرد الذي سيقراً تعليقه وتسويغه وتحليله فيما يأتي أن منطلق قاسم أمين كان منطلقاً فكرياً وعملياً بالاستناد إلى علم الاجتماع الخاضع للقوانين الطبيعية وقوانين التحليل وقوانين التحليل والتركيب والنمو والتدرج والانتقال من طور إلى طور في هدي العصور والأحداث التاريخية، وما واكبها

من استبداد وتحرير، جهل ومعرفة، انفتاح وانغلاق، حق وباطل على أساس أن الوقائع والأحداث ليست هي الأسباب بل النتائج للعوامل الاقتصادية والسياسية والفكرية والعادات والتقاليد ووسائل المعيشة وغيرها:

"ها هي مسألة الحجاب، مسألة من أهم المسائل، ولها مكان عظيم في شؤون الأمة، إذا ترك القارئ نفسه لعواطفه، واستسلم إلى عوائده، ظهر له الحجاب في مظهر حسن، لأنه ألّفه في صغره، ونشأ بين المحجبات، وعاش معهن حتى صار ذلك عادة مألوفة له. ثم إنه ورثه عن آبائه وأجداده، فلا يستغربه، بل يميل إليه ميلاً غريزياً ليس للعقل فيه مدخل، وإنما هو حركة ميكانيكية ليس إلا، وأما إذا نزع من نفسه العوامل التي أحدثت تلك العواطف، وخلع ما البسه إياه أسلافه من أردية الوراثة، وبحث في المسألة من جميع جهاتها بحث من لم يتأثر إلا بالتجربة التي تجري في الوقائع الصحيحة، وحصل لنفسه رأياً من ملاحظاته الشخصية، وكان ممن تنجذب نفسه للحق، وتنبت إلى السعي للوقوف عليه وتأييده، لما له عندها من المنزلة العلية والمكان الرفيع، وكان لا يغش نفسه بالتزويق والتزيين الوهميين، وإنما يسمع صوت وجدانه السليم ويرجحه على كل هوى سواه. مهما كانت زوجته من الممكن فيمن حوله من الناس - فعند ذلك يرى

ان المرأة لا تكون ولا يمكن أن تكون وجوداً تاماً إلا إذا ملكت نفسها وتمتعت بحريتها الممنوحة لها بمقتضى الشرع والفضيلة معا ودمت ملكاتها إلى أقصى درجة يمكنها أن تبلغها، ويرى أن الحجاب على ما ألفناه مانع عظيم يحول بين المرأة وارتقائها، وبذلك يحول بين الأمة وتقدمها<sup>(١)</sup>.

وهو يدعو القارئ إذا رغب في التأكد من صحة مضار الحجاب إلى المقارنة بين امرأة من أهله، متعلمة، وبين أخرى قروية أو متجرة مدنية، لم يسبق أن أحرزتا قسطاً من التعليم. فسيجد الأول - مع إحسانها القراءة والكتابة والتكلم بلغة أجنبية والعزف على البيانو - بأنها تجهل أطوار الحياة، وبأنها لو استقلت بنفسها لعجزت عن تدبير أمرها وتقويم حياتها، بينما الثانية - مع جهلها - قد أصابت معرفة واسعة بفضل ما اكتسبته من الخبرة في المعاملات والاختبارات وممارسات الأعمال والدعاوى والحوادث التي حصلت لها. فإذا تعاملنا غلبت الثانية الأولى<sup>(٢)</sup>... "ومن هذا نرى أغلب نساء نصارى الشرق، وإن لم يتعلمن في المدارس أكثر مما يتعلمه بعض بناتنا الآن، فهن يعرفن لوازم الحياة لكثرة ما رأين وسمعن باختلاطن بالرجال، فقد ورد على عقولهن معان وأفكار وصور وخواطر غير ما استفدن من الكتب..."<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر من كتابه (تحرير المرأة) يرد على القائلين بكون الحجاب موجبا للعفة، والسفور جالبا للفساد، بالقول إنه "لم يقد أحد إلى الآن بإحصاء عام يمكن أن يعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقة في البلاد التي تعيش فيها النساء تحت الحجاب، وفي البلاد التي تتمتع فيها بحريتهن". "ومن المعروف أن لطرق معيشة الأمة ومزاجها وإقليمها وآدابها وتربيتها دخلا عظيما في فساد أخلاقها وصلاحيها، ولهذا نرى الفساد يختلف في بلاد أوربا بين بلد وآخر اختلافا ظاهرا...". "ومن المشاهد الذي لا نزاع فيه أيضاً أن نساء العرب ونساء القري المصرية، مع اختلاطن بالرجال على ما يشبه الاختلاط في أوربا تقريبا، أقل ميلا للفساد من ساكنات المدن اللاتي لم يمنعهن الحجاب من مطاوعة الشهوات والانغماس في المفاسد، وهذا مما يحمل على الاعتقاد بأن المرأة التي تغالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار

السيئة من المرأة المحجوبة، والسبب في ذلك أن الأولى تعودت رؤية الرجال وسماع كلامهم، فإذا رأت رجلاً أيا كان لم يحرك منظره فيها شيئاً من الشهوة، بل لو عرض عليها شيء من هذا فإنما يكون بعد مصاحبة طويلة وقضاء أوقات في خلوات كثيرة يحدث فيها ما قد يشعر كل واحد منهما بانجذاب إلى الآخر. وهذا هو ما منعتة الشريعة وبيننا امتناعه فيما سبق. أما الثانية، فمجرد وقوع نظرها على رجل يحدث في نفسها خاضع اختلاف الصنف من غير تعمد ولا نية سيئة، وإنما هو أثر منظر الرجل الأجنبي، لأنه قد وقر في نفسها أن لا تراه ولا يراها، فمجرد النظر إليه كاف في إثارة هذا الخاطر". ويضيف قاسم أمين إمكان حدوث هذا الأثر عينه في الرجال الذين لم يتعودوا الاختلاط بالنساء، ويورد الدلائل على ذلك بمشاهداته، ثم يقول إن المرأة التي تصون شرفها وعفتها وهي طليقة غير محجوبة لأفضل كثيراً مما لو كانت محجوبة، لأن عفة الأولى اختيارية، بينما عفة الثانية قهرية، واليون بين الاثنين شاسع<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن يعيب على الرجال عدم وثوقهم بسامرة مهما اختبروها ومهما عاشوا معها، وتصورهم أن أمهاتهم وبناتهن وزوجاتهم لا يعرفن صيانة أنفسهن، يتساءل إن كان سوء الظن يهن إلى هذا الحد لاثق، وهل هذه المعاملة تليق بالإنسان بجنسيه، فيجيب عن تساؤله بأن العقل يرى مهما تحوط الرجال للمحافظة على شرف نسايتهم، فلن يجديهم ذلك إن لم يمتلكوا أفئدة نسايتهم. إذ ما نفع امتلاك الرجال أجسام نسايتهم بسدون قلوبهن؟ فمع كل قيود الحجاب المفروضة على النساء، لم يمنع البرقع وحجر النساء خلف الحجاب والأقفال سريان الفساد إلى ما وراء تلك الحواجز<sup>(٥)</sup>.

وفي رده على القائلين بشيوع الفساد بين النساء أكثر من ذي قبل - أي قبل الدعوة إلى إلغاء الحجاب أو التخفيف منه - يعزي ذلك إلى الجهل وسوء التربية الذي هو علل النزق والطيش، ويخرق كل حجاب ويفتح على المرأة الفساد من كل باب، ومنه يخشى سريان العدوى من امرأة إلى أخرى ومن طبقة إلى أخرى، فهو الذي يدفع - المرأة ذات المكانة في بيتها وقسومها أن تحلّل النظر إلى شاب يمر بطريقها، وهو الذي يدفعها إلى الاتفاق معه

على التلاقي وعلى التواصل. كما يدفع سوء التربية الحجابيات إلى مخالطة نساء دونهن في العفة والتصون، مما ينشأ عنه كثير من السقوط والإفساد<sup>(١٣)</sup>.

وفي الواسع إيجاز رأي قاسم أمين في الحجاب انه متى تهذب العقل ورق الشعور، أدرك الرجل أن المرأة إنسان من نوعه، وأن لا حق لأحدهما على الآخر بعد توفية فروض الشريعة، إلا ما يعطي كل منهما تلقائياً بمحض الاختيار، وأنه متى تهذب العقل ورق الشعور في الرجل، أدرك أن حجاب المرأة إعدام لشخصيتها، فهو بعد لا يلجأ إليه كوسيلة يحسبها مؤدية إلى راحة البال واطمئنان القلب<sup>(١٤)</sup>.

فلنسمع أخيراً رأي التحليلي في أيهما أصلح لمجتمعنا وتقدمنا: أهو التمسك بالحجاب، أم بنبذه؟ "إذا استخدمنا عقولنا، واتخذنا الفكر السليم رائداً لنا، فلاشك أننا نختار المذهب الذي يتفق مع مصلحتنا، وتتوفر به منافعنا، ولا نخشى بعد ذلك أن يقع اختيارنا مخالفاً للحق والصواب، لأن المنافع الصحيحة التي تقوم على قواعد الفكر السليم هي من الحق الذي يدافع عنه الشرع، ومن المستحيل أن حقاً من الحقوق التي يدافع عنها الشرع يكون منشأً لضرر يعود على الناس، أو أن فضيلة من الفضائل يكون شرها أكبر من نفعها". "فأي المذهبين يتفق مع مصلحتنا وتتوفر به منافعنا؟ أما الحجاب، فضرره أن يحرم المرأة من حريتها الفطرية، ويمنعها من استكمال تربيتها، ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة، ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والادبية، ولا يأتي معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن، وبه تكون الأمة كإنسان أصيب بالشلل في أحد شقيه"<sup>(١٥)</sup>.

قال الدكتور محمد عمارة، دارس ومحقق الأعمال الكاملة لقاسم أمين ما يأتي: "يبقى لقاسم أمين، في هذا الميدان، ميزة ينفرد بها عن كل من عداد من المفكرين والمصلحين الذين أسهموا بسهم في هذا السبيل. فكل من عدا قاسم أمين كان حديثهم عن تحرير المرأة والنهوض بها أمراً من أمور كثيرة تناولوها فيما لبدعوا من أفكار وآثار. أما قاسم أمين، فهو الوحيد من بين كل هؤلاء، الذي وهب كل جهوده وجميع آثاره - تقريباً - لهذه الدعوة، حتى لقد ذهب علماً عليها ورمزاً لها، تتداعى قضاياها وحجج أصحابها إذا

ذكر اسمه في أي وقت و مجال"<sup>(١٦)</sup> ويفيد الدكتور محمد عمارة في ص (٧٠) من الكتاب إن للإمام محمد عبده مشاركة في تأليف (تحرير المرأة) بخصوص الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات.

\* \* \*

قبل أن يصدر قاسم أمين كتابيه في المرأة، كانت بعض الأذهان الواعية قد استوعبت أصواتاً سبّاقة، أسلفت ذكرها، كما أن الشعب المصري كان قد لمس أوليات النهضة على يد محمد علي الكبير الذي أقبل هو نفسه على تعلم القراءة والكتابة في الخامسة والأربعين من عمره على إحدى نساء قصره كما روى الكاتب الفرنسي (أدوارد جوان) مؤلف "تاريخ مصر في القرن التاسع عشر". بعد ذلك، ارتأى محمد علي لزوم تعليم البنات في المدن والقرى، وتخبر بعض الأغوات الملمين بالقراءة والكتابة في قصر القلعة ليتعلموا الطب والجراحة والتوليد بإشراف الطبيب الفرنسي (كلوك بك)، وأوعز باقتناء بعض الجواري من السودان والحبشة لمرافقة الأغوات في تلقي العلم. بهذا "التحاييل" أنشأ محمد علي في "أبي زعبل" أول مدرسة للبنات، وألحق بها مستشفى سعتة عشرون سريراً، ثم أنشأ مدرسة للتوليد بالقاهرة، انضمت إليها فتيات من العاصمة والراغبات في المدن الأخرى، أعطيت الأولوية في ذلك إلى اليتيمات. فكانت الخريجات تعمل في تلك المدرسة أو بالمحاجر الصحية، ويتزوجن نظائرهن في المهنة من الرجال<sup>(١٧)</sup>.

طلق المجال يتسع رويداً رويداً لنهضة المرأة المصرية في عهود خلفاء محمد علي الكبير، حتى إذا دخل مصر الرجل العظيم السيد جمال الدين الأفغاني، وتحلق حوله نخبة من مثقفي مصر، وفي طليعتهم الشيخ محمد عبده الذي أسهم في ظهور كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين. فصوله التي عالجت من الوجهة الشرعية قضايا الحجاب والزواج والطلاق وتعدد الزوجات، وسعد زغلول وأديب إسحق وغيرهم، قوي من النهضة، وتضاعف عنفوانها، مما أدى إلى استنارة المرأة، فلهجت أسماء نسائية، منها عائشة عصمت التيمورية، وزينب فواز، والأميرة نازلي التي كان لصالونها أثر كبير في النهضة النسائية، والأميرة

عين الحياة أحمد صاحبة الفضل في إنشاء مبرة محمد علي،  
والأميرة فاطمة هانم إسماعيل، ذات الفضل في إنشاء الجامعة  
المصرية من ريع مجوهراتها وحليها وإيقاف (٨٠٠) فدان عليها،  
والسيدة نبوية موسى، والأنسة (مي) زيادة، ولبيبة هاشم،  
ورحمة صروف. حسنتي إذا اجتمع الحزب الوطني المصري في  
مؤتمر استوكهولم لطلب الجلاء عام ١٩١١، ارتفع أول صوت نسوي  
مصري، طالبت صاحبتة (إنشراح شوقي) بالجلاء مما حدا  
بزعيمة النهضة النسائية فيما بعد، السيدة هدى شعراوي-  
تقديرأ منها لصاحبة ذلك الصوت النبيل، أن نظمت جائزة  
باسمها في حفلة الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٤٢. ولما اندلعت نار  
ثورة ١٩١٩، نزلت المرأة إلى ميدان الجهاد، فعقدن أول اجتماع لهن  
في مسجد السيدة زينب برئاسة السيدة هدى شعراوي عمليا،  
السيدة صفية

والسيدة صفية قرينة الزعيم سعد زغلول فخريا. وطفقت  
التبرعات النسائية تنهال على الحركة الوطنية من مال  
ومجوهرات، وقد تغلغلت هذه الروح في كل نساء الشعب، حتى إن  
فلاحة جانت بقرطها وعقدتها تبرعا، وخرجت نسوة في قرية  
بالدقهلية، وقطعن أسلاك الهاتف والبرق لأن الرجال خشوا  
الإعدام إن هم فعلوا ذلك. وعندما توفي سعد زغلول مع صحبه  
إلى مالمطة، نظم النساء مظاهرة حماسية تقدمتها أم المصريين  
قرينة سعد زغلول، وهدى شعراوي وغيرهما، رافعات علم  
الوطن ولافتة احتجاج، سادلات على أوجهن النقاب، وعلى  
أبدانهن الخمار، واندفعن إلى القنصلية الأمريكية وعداها،  
مطالبات بتطبيق مبادئ (ولسون) المشهورة، فاعترضهن جنود  
الإنكليز بالحرايب والرشاشات. لكنهن لم ينكمسن بل تابرن نحو  
وجهتهن، فسقطت أول شهيدة منهن "شفيقة محمد"، وحدا ذلك  
بشاعر النيل حافظ إبراهيم إلى نظم هذه الأبيات:

خرج الغواني يحتجب

ن وقمت أرقب جمعته

فإذا بهن تخذن من

سود الثياب شعارهنه

فطعن مثل كواكب

يسـ طعن في وسط الدجته

واخذن يجترن الطر

يق ودار سعد قصدهنه

يمشين في كنف الوقا

روقد أبين شعورهنه

وإذا المدافع والبناد

ق والصورم والأنسـنه

والخييل والفرسان قد

ضربت نـ طلاقاً حولهنه

فتطاحن الجيشان ساعا

ت تشينسب لـها الأجنه<sup>١</sup>

أعقب ذلك إنشاء اتحادات وجمعيات نسائية عديدة، متباينة  
النشاطات، كلها أذكت الوعي، وأسهمت في ارتقاء نفسية المرأة  
وتعزيز مكانتها، وتوسيع أفق عقلية الرجل تجاهها، وحثه على  
الأخذ بيدها صوب الارتقاء الذهني والروحي، فبلغ أوج ازدهار  
الحركة النسائية للنهوض والتحرير في عهد السيدة الفاضلة  
هدى شعراوي التي تعد في مجالها الرحب "قاسما أمينا" جديدا.  
فقد رامت أن تجعل من المرأة المصرية الجديدة رصيفة للمرأة  
الغربية، فبدأت ذلك أولاً بنفسها، إذ عند أوبستها من مؤتمر  
الاتحاد النسائي الدولي، لأول مرة، عام ١٩٢٢، طرحت نقابها  
خلف ظهرها، وبانت للعيان أمام الجمهور سافرة.

ومن أعمالها في سبيل الإصلاح الاجتماعي النسوي، سعيها إلى  
تحقيق المساواة في مراحل التعليم بين الفتى والفتاة حتى  
أفلحت، وإلى تحديد سن الاقتران فوفقت، وإلى إصلاح كثير من  
الأحوال الشخصية المتصلة بالزيجة والطلاق ورفع سن العضانة  
وتحسين سير النفقات الشرعية، فتججت في بعضها، ولبثت  
تجاهد للظفر بما تخلف. كما سـعت إلى مكافحة الأمراض  
التوطنة، ورفع مستوى معيشة الأسرة، وتحريم البغاء، والحد  
من إباحة السكرات، وأزرت تشجيع الننون، وخصصت لها  
"جائزة مختار" للنحت والحفر، وجائزة رفع مكانة اللغة والأدب.  
وقد لعبت مجلتها (المصرية) باللغتين العربية والفرنسية دورا

مهما في ترقية مستوى المرأة ذهنياً وعاطفياً. فلما شارفت هذه المرأة المناضلة العاقلة على أخريات أيامها، كانت العاصفة التي هبت بفعل دعوة قاسم أمين لنبد الحجاب قد تضاءلت حدتها، وتلاشى اضطرابها السافر الصارخ، وحل مكانه الإقبال على السفور بصمت وقناعة من قبل غالبية الشعب المصري<sup>(١٠١)</sup>.

لا غرو أن دويًا بمثل تلك الشدة ورد فعل بمثل تلك الحدة والشمول، كان لا معدى عن تناقله من قبل الصحف في أقطار العالم العربي، مصورة التطور الذي حصل في هذا المضمار، فانعكست آثاره في تلك الأقطار بأبعاد ومظاهر متفاوتة. مع العلم أن منزلة المرأة الاجتماعية والفكرية قد سبق. أن ارتفعت في كثير من الدول الشرقية كالهند والباكستان وتركيا وإيران وأفغانستان وأندونيسيا والصين واليابان<sup>(١٠٢)</sup>.

### رد الفعل في العراق

في القرون المظلمة، وحتى العقدين الأولين من القرن العشرين، عاشت المرأة العراقية في ظل قيم اجتماعية ضمت على المرأة بأي قيمة بشرية من إحساس وكرامة، بل لبثت تحيا على الهامش خلف جدران سميكة من التقاليد والعادات التي أحصت عليها أنفاسها، وحرمت إطلالها على العالم ومظاهر الحياة إلا من خلال الثقوب والنوافذ الضيقة والبراقع الصفيفة، ملتفة بملاءتين سوداوين من هامتها إلى أخمصيهما، ذكرها في المجالس كان محرماً، لأن الإششارة إليها في الأندية مجلبة للعار، وإذا كان لا معدى عن ذكرها، فتلميحا يصحبه الخجل. وكان المجتمع مترمماً في تمسكه بهذه المثل والاعتبارات إلى حد الهياج على التهاون فيها. مثال ذلك، ما وقع أيام الوالي عبد الوهاب باشا عام ١٩٠٤ عندما أوعز - استناداً إلى أمر سلطاني من الأستانة - بتسجيل عدد النسوة في العراق، تمهيداً لتزويدهن بتناكر عثمانية، لاسيما في بغداد والبصرة والموصل. فهاج هائج البغداديين غب ذبوع النبأ، وانلغ رجالهن بجموع غفيرة من أهالي باب الشيخ والصدريّة ورأس الساقية وفضوة عرب، وفي طليعتهم السيدان أحمد النقيب ومحمد جمال النقيب، وجموع من محلات بني سعيد وقنبر علي والفضل، يتصدرهم رؤساء تلك المحلات، وتتقدمهم الطبول والدمامات والأبواق، حاملين

السيوف ((والقامات)) والخناجر والبنادق والسدسات، معلنين السخط والاستياء، ومرددن أهاريح شعبية كما اندفعت جموع من نسوة تلك المحلات، حتى أفضى الأمر إلى الاصطدام بين الحشود و"الجندرية"، وإلى الاحتشاد جميعاً عند السراي ما اضطر الوالي أخيراً إلى إرجاء النظر في أمر التسجيل. ونظير ذلك الهياج حدث في الموصل<sup>(١٠٣)</sup>.

وعندما استبشر العراقيون خيراً بإعلان الدستور العثماني الثاني في تموز من عام ١٩٠٨، استغل الشاعر جميل صدقي الزهاوي سنوح الفرصة المواتية له ليقوم بدور مماثل لدور قاسم أمين في مصر - والزهاوي آنذاك أستاذ في مدرسة الحقوق، وشاب يروم شق السبيل إلى عالم الفكر والأدب والتألق - فتبى دعوة تحرير المرأة العراقية والذود عن حقوقها، ونشرت له جريدة (المؤيد) المصرية عام ١٩١٠ في عددها ٦١٢٨ مقالة جاء فيها:

"أجاز المسلمون أن يقسو الرجل فيطلق المرأة ويستبدلها بغيرها كسقط المتاع، راداً إلى حضنها أطفالها الذين هم نتائج شهوته، وربما كانت المرأة الشرسة هي السبب لهذا الفراق، ولكن ما حيلة المرأة الوديعّة إذا منيت برجل شرس الأخلاق؟ لماذا لم يُجر المسلمون أن تطلقه لتنجو من شرسته، وقد قال تعالى في كتابه المبين بعد آية الطلاق "ولهن مثل الذي عليهن". اشاعت بعض الصحف أن جماعة من النساء المظلومات شرعن يرتدن فراراً من معاشرّة أزواجهن... فلا يلومن المسلمون إلا أنفسهم، وما حيلة المضطر إلا ركوبها"<sup>(١٠٤)</sup>.

بيد أن الجمهور البغدادي، عندما طالع المقال، ضج نائراً عليه، فخف السيد سعيد النقشبندى بالرد على الزهاوي برسالة مضطربة، عنوانها (السيوف البسارق في عنق المارق) كان كافياً لإرعاب الزهاوي وطافت في أزقة العاصمة حشود هائلة تصدرها مصطفى الواعظ ومحمد سعيد الراوي، مطالبة بعزل الزهاوي من منصبه في مدرسة الحقوق، وتشديد الإجراءات ضده، فرضخ الوالي ناظم باشا إلى هذه الرغبة. فتضعع الزهاوي، وضعف تجاه هذه العاصفة العاتية برغم دعمه من بعض الأحرار المصريين كولي الدين يكن، وغيره الذين دافعوا عنه، لكن الوحل



هيمن عليه، وتوارى منزويًا، وأعلن في الصحف بقسم مغلظ أن مقالة (المؤيد) ممدوسة عليه، كما نشرت (الرقيب) البغدادية في ١٧ شوال ١٣٢٨ هـ كتابه المفتوح إلى ناظم باشا:

"اسمع أن أحد المشايخ المتلبسين بالتقوى في بغداد، البلد الذي يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الوافي، أخذ يدير رحي فتنة جسيمة، فيحرض الجاهلين على الإيقاع بي باسم الدين البريء من النظام، جزاء مقالة اجتماعية نشرت بإمضائي في (المؤيد الأسبوعي) كما في (تنوير الأفكار) دفاعاً عن المرأة... وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها، لم تتعين بعد أكتابها أنا أم هي مزورة على لساني من عدو لي في العراق... والذي أرجوه من الحكومة الدستورية هو أن تقتص من الصابغين أكفهم بدمي إذا كان ما يريده الحرضون ذلك، ولظنهم أكثر من واحد... بل تعنى بتعليمهم لئلا تمتد أيديهم في المستقبل إلى منكود آخر مثلي، يتمنى في كل كتاباته إصلاحاً للأمة اجتماعياً"<sup>(١)</sup>.

إلا أن المقاومة العنيفة التي جابهتها الدعوة إلى السفور، أخفقت مع مرور الزمن في القضاء على الدعوة، لأن تطور الأوضاع الدولية والأحوال الاجتماعية، وانقراض الدولة العثمانية، وازدياد صلات العراق بالعالم الخارجي بحكم الارتقاء وتطور المواصلات وتأسيس الحكم الوطني والاطلاع، من خلال الصحف والمجلات، على النهضة النسائية في تركيا. ومن معالمها رفع النقاب وإلغاء الحجاب. وعلى النهضة المماثلة في إيران وأفغانستان ومصر، كل ذلك أصاب تلك القوى الرجعية بالوهن، وجرف التيار رواسب العادات البالية والتقاليد الجامدة. التي كانت سائدة أيام العهد العثماني. والنائية عن المنطق والتعليل الاجتماعي المستنير. فعندما أقام المعهد العلمي مهرجاناً شعرياً باسم (سوق عكاظ) ببغداد عام ١٩٢٢، وارتأى إسهام الفتاة العراقية فيه، أعلن عبد الرحمن النقيب، رئيس الوزارة آنئذ، تبرمه بهذه الخطوة، خصوصاً بعد علمه أن الفتاة التي اختيرت للمهمة كانت حفيذة استأذه الشيخ داود، الذي تلقى عليه دروس الحديث والأصول. كما روى محمد جميل بيهم في كتابه "فتاة الشرق" أنه إنان زيارته ببغداد آنئذ، كلف بإلقاء محاضرة

نسائية الموضوع في منتدى التهذيب، لكن ثابت عبد النور (حزبوز) زاره ناصحاً بالعدول عن عزمه، خشية اغتياله. إلا أنه لم يكثرث للتحذير، بل حظيت المحاضرة بالإقبال عليها، حتى من السيدات برغم منعهن من ذلك.

ومما يعكس بعض مواقف القوى المحافظة ردود الفعل التي تلت إلقاء قصيدة الشاعر الرصافي عام ١٩٢٢ على مسرح سينما الوطني بمناسبة حفلة تمثيلية، مهاجماً بعض الحافظين والمتعصبين، منها:

لقد غمطوا حق النساء فشدوا

عليهن إلا خمس سرجت بغطاء

الم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم

على الذل شبتوا في حجبور إماء

أقول لأهل الشرق قول مؤنب

وإن كان قولي منسخط السفهاء

إلا إن داء الشرق من كبرائه

فنبعداً لهم في الشرق من كبراء

واقبح جهل في بني الشرق أنهم

يسمون أهل الجهل بسالعلماء"<sup>(٢)</sup>

فتصدى له بعنف مماثل الحاج عبد الحسين الأزري:

أكريمة الزوراء لا يذهب بك الـ

نهج المخالف بسينة الزوراء

أو يخذعك شاعر بخياله

إن الخيال مطبوعة الشعراء

حصروا علاجك بالسفور وما دروا

أن الذي حصره عين الداء

أسفينة الوطن العزيز تبصري

بالقعر لا يفررك سطح الماء

وحديقة الثمر الجني ترصدي

عبث اللصوص بسيلة ليلاء

فاتخفت جريدة (دجلة) موقف العداء من الرصافي بشكل

حملة، ورفع رجال الدين المضابط، وأصدروا الفتاوى، بيد أن

انتصار الرصافي أزروه بمشاطرته الرأي في نشر المقالات الداعية إلى الاهتمام بتعليم المرأة وثقيفها، وإصدار مجلات نسائية منها (ليلي) لبوليننا حسنون عام ١٩٢٢ التي لم تجرأ على البوح بالدعوة للسفور، بل على التقيض نفت ذلك في عددها الثالث<sup>(١)</sup>.

فكان الرصافي بذلك أفضل من معاصره ومنافسه الزهاوي. تلك كانت أوليات حركة التملل لبذ الحجاب والإقبال على السفور، لكن معالها اتضحت، وأهدافها استقرت بعد مساهمة مدرسة البار ودية للبنات في استقبال الأمير غازي وفق منهاج الاحتفال الذي أعدته حكومة ياسين الهاشمي. إذ كانت أعمار البنات دون سن الخامسة عشرة، وملابسهن بزي الكشافة. لكن الأوساط المحافظة هاجت وماجت لهذا الحدث، الغريب، فهاجمت صحيفة (لم يذكرها الأستاذ خيرى العمري في كتابه "حكايات سياسية" - وهو المرجع الذي منه استقيت الجانب العراقي من هذا البحث) مديرة تلك المدرسة، واعتبرت عملها خروجاً على الفضيلة والآداب. وخف الكاتب حسين الرحال بالرد على مثير الاتهام "جميل المدرس" المقتنع بلقب "المنزوي"، فتطور الأمر إلى أخذ ورد وجدل ونقاش، وأخيراً انفضى إلى "معركة حامية الوطيس" بين دعاة السفور ودعاة الحجاب، جال في مضمارها الكتاب والخطباء والشعراء، دعاة السفور قلة من الشباب، لا يتجاوزون أصابع اليد عدداً كمصطفى علي ومحمود أحمد السيد وسامي شوكة وعوني بكر صدقي وسليم فتاح وحسين الرحال، إزاء دعاة الحجاب الكثرين، منهم السادة محمد بهجة الأثري ومحمد رشيد (المدرس في جامع الحيدر خانة) وسلمان الشواف ومصطفى عزت عبد السلام وتوفيق الفكيكي و خليل إسماعيل ومصطفى القاضي ورفيق نوري السعيد وحسين الظريفي والملا عبود الكرخي الذي - برغم استيعاب "مجرشته" بعض صور يؤس المرأة العراقية وتعاستها واضطهادها وامتهانها - أثر الهجوم العنيف على الشباب الواعين الداعين إلى السفور، متهما إياهم بالماسونية والإباحية والإلحاد<sup>(٢)</sup>.

من الصحف التي أزرت حرية المرأة والدعوة لسفورها جريدة (العراق) التي أفسحت صفحتها الأولى لعرض قضية السفوريين بحماسة والدفاع عنها بحرارة، بدا فيها أثر وأسلوب قاسم أمين

واضحين، بيد أنهم بعضهم عكس في مناقشاته أثراً للفكر اليساري المتأثر بنظرية تنازع الطبقات، وروح العطف على الحركة الكمالية التركية. رخت هذه الصحيفة بافتتاح نادي النهضة النسائية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤، وعنده السفوريون ظفراً لهم وخيبة لخصومهم. ومجلة "الصحيفة" التي أصدرها حسين الرحال في ٢٨ كانون الأول ١٩٢٤، نصف شهرية، وتولى تحريرها مصطفى علي، وكثيراً ما اجتمع محرروها وأنصارها ليلاً في (مقهى النقيب) بمجلة قنبر علي للتداول. وهذه المجلة، على صغر حجمها وبساطة إخراجها، رجت المحافظين، وزعزعت بعض الإعتبارات السائدة آنذاك، بفضل ما عرضت من أحدث الآراء في التاريخ والأدب، والنظريات في السياسة والاقتصاد، وأطلعت الجمهور العراقي على جوانب من نهضة المرأة في تركيا ومصر، وترجمات نظريات السوبرمان، ومن الذين انضموا إليها فيما بعد محمد بسيم الذويب الذي نشر فيها قصيدته في الدعوة إلى السفور، والمربي الكبير ساطع الحصري الذي نشر فيها محاضرات قيمة في علم النفس وتاريخ التربية. وبعد عودة صدورها في أعقاب توقيفها، كتب محمود أحمد السيد في عددها الأول منذراً المحافظين قائلاً: "عندنا نحن إلى ساحة الجهاد في سبيل الشعب والحرية الفكرية والحق فيها أثر وأسلوب قاسم أمين واضحين، بيد أن بعضهم عكس في مناقشاته أثراً للفكر اليساري المتأثر بنظرية تنازع الطبقات، وروح العطف على الحركة الكمالية التركية. رخت هذه الصحيفة بافتتاح نادي النهضة النسائية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤، وعنده السفوريون ظفراً لهم وخيبة لخصومهم. ومجلة "الصحيفة" التي أصدرها حسين الرحال في ٢٨ كانون الأول ١٩٢٤، نصف شهرية، وتولى تحريرها مصطفى علي، وكثيراً ما اجتمع محرروها وأنصارها ليلاً في (مقهى النقيب) بمجلة قنبر علي للتداول. وهذه المجلة، على صغر حجمها وبساطة إخراجها، رجت المحافظين، وزعزعت بعض الإعتبارات السائدة آنذاك، بفضل ما عرضت من أحدث الآراء في التاريخ والأدب، والنظريات في السياسة والاقتصاد، وأطلعت الجمهور العراقي على جوانب من نهضة المرأة في تركيا ومصر، وترجمات

عن أحرار الفكر نظير تولستوي، وكتابات عن نظريات السوبرمان، ومن الذين انضموا إليها فيما بعد محمد بسيم الذويب الذي نشر فيها قصيدته في الدعوة إلى السفور، والمربي الكبير ساطع الحصري الذي نشر فيها محاضرات قيمة في علم النفس وتاريخ التربية. وبعد عودة صدورها في أعقاب توقفها، كتب محمود أحمد السيد في عددها الأول منذراً المحافظين قائلاً: "عدنا نحن إلى ساحة الجهاد في سبيل الشعب والحرية الفكرية والحق والمثل الأعلى... عدنا أقوياء بأنفسنا... أقوياء بقلوبنا وأقلامنا... سننقد الآراء والتقاليد... سنسعى لكشف قناع الرياء في المجتمع عن ميراث العصور، سنزهرق الباطل ونسحقه سحقاً... سنرفع للمرأة المظلومة راية تعليمها وتحريرها، وذلكم واجبنا الأكبر".<sup>(٥٦)</sup>

وكذلك جريدة (صدى الوطن) التي كتب سليمان الصفواني بعددها (٤٨) لسنة ١٩٢٩ قائلاً:

"لقد كنا نعلق آمالاً جساماً على نادي النهضة النسائية في بغداد، بأن يخلق كتلة قوية من الشابات المتعلّمات في العاصمة، ويجهر بطلب الإصلاح العلمي والاجتماعي للمرأة العراقية أسوة بأخواتها في مصر وسوريا وجاراتها تركيا وإيران، ولكن - والأسف ملء الفؤاد - لم نجد حتى الآن سيدة أو أنسة عراقية تمثل مجتمعهما كزعيمة في المؤتمرات النسوية العامة كالسيدة هدى شعراوي في مصر وغيرها في الأقطار العربية والشرقية، وعسى أن تبعث هذه الكلمة في نادي النهضة روح العمل والجرأة والثبات".

ومثلها (الحاصد) التي نشرت في عددها (١٣) لسنة ١٩٢٢ هذه الكلمة بشأن انعقاد المؤتمر النسائي في بغداد في تشرين الثاني ١٩٢٢: "الأول مرة في التاريخ، تحظى بغداد، بانعقاد مؤتمر نسائي كهذا... وللمرة الأولى يتاح للمرأة العراقية مثل هذه الفرصة النافذة، فهل لها أن تنتهزها بدراية وذكاء؟"

ومما جاء في صحيفة (العالم العربي) بعددها (٢١٢) الصادر في ٢٤/١١/٢٩، مقال حسين الرخال مناقشاً مشكلة السفور والحجاب:

"الحجاب عادة دور الإقطاعيات، وعادة الطبقة الأرستقراطية في الدور المذكور، والنساء المتحجبات عندنا منسوبات إلى أسر من أنقاض الدور الإقطاعي والمتشبهات بهن. أما

بنات الشعب الصميمات، فليس بمتحجبات، ولا يمكن أن يتحجبن. إن الحرم والحجاب ليس لهما وجود في طبقة الشعب، وسيزولان عندما تسود طبقة الشعب، وتكون هي الحاكمة كما جرى في تركيا ومصر".<sup>(٥٧)</sup>

ومما نشرته جريدة (العراق) لصحفي علي بعددها (١٢٨٤) لسنة ١٩٢٤، ردة على حملة الحجابيين:

"على رسلكم أيها الصاخبون... أستم الذين ضيقوا على الأستاذ الزمناوي، حظروا عليه الخروج من داره أياماً؟ أو لستم الذين أحسوا تلك الضجة على الأستاذ الرصافي بعد أن تلا قصيدته (مرأة في الشرق) وأعدوا له المضايقات والفتاوى بخروجه علناً ومروقه منه... ويحكم لنا بمارقين ولنا بكافرين ولنا بملحدين فيما كتبنا وما دعونا وندعو إليه".

ومما نشرته لسامي شوكة بعددها (١٢٧٠) لسنة ١٩٢٤ نقاشه: "إن المطالبين في بقاء تستر المرأة وأسرارها يكون طلبهم منطوقاً أزيد، ومعتدلاً أكثر، إذا ما طلبوا إلغاء التعليم ورفع التهذيب والبقاء على الحالة الهمجية".

ومما نشرته لفتاة غسان بعددها (١٢٧٩) لسنة ١٩٢٤ تهكمها: "يقول أولئك المستبدون إن البرقع والحجاب ليس معناه الأسر، فأرجو منهم أن يجربوا ولو أسبوعاً، واحداً، بل يوماً واحداً، ويتفضلوا بوضع البرقع الأسود المعلوم على وجوههم، ويلبسوا العباءتين اليهوديتين على اكتافهم وفوق رؤوسهم...".

ومما نشرته لعوني بكر صدقي بعددها (١٢٩٢) لسنة ١٩٢٤ نقاشه لخليل إسماعيل: "الحجاب، يا سيدي خليل، من العوائد القديمة البالية التي ابتليت بها هذه الأمة، والتي يجب أن تسعى للتخلص منها، فهي عرضية، لا محذور في أزالتها أبداً، وهي عادة، إن وقع عليها الإجماع في العصور الماضية، فليس من العقل أن نتمسك بها بينما نعلم أنها صائرة إلى الزوال لا محالة".<sup>(٥٨)</sup>

ومن الصحف التي ناصرت المتمسكين بالحجاب جرائد (البدائع) و (المفيد). لكنها بشكل محايد. و (الاستقلال). أما جريدة (العالم العربي) فقد اتخذت موقفاً متأرجحاً بين الطرفين المتصارعين، فهي إن نشرت مقالاً لأحد السفوريين، استدركت قائلة إنها نشرته عملاً بحرية النشر، مما نزع على عدم

إيمانها بدعوة التجديد والتحرير. ومائلها في هذا النهج الرجراج (المفيد) كذلك. فمما جاء في (البدائع) لصاحبها داود العجيل مقالة للأستاذ محمد بهجة الأثري، رئيس تحريرها، وأحد أقطاب الداعين للحجاب، ولقبه الرصافي في مجالسه بـ (بوليس السماء)، قال فيها:

"ها أنتم أولاً تتظاهرون بنصرتها والدفاع عنها... بينما السيدات الفاضلات المصونات يتبرأن من ثرثرتكم ونقيقتكم... ويبرأن إلى الله من التبرج والسفور ومن كل من يدعوا إلى الخلاعة والفجور، ويعذون الحجاب نعمة، ما أجل منها نعمة... فهل أنتم عن غيكم منتهون؟ ألقوا حبل نساكنكم على غاربهن ودعوهن سافرات... ودعونا نفعل بهن ما نشاء، إن شئنا قتلناهن وإن أردنا وأدناهن، فليست علينا بمسيطرين".

ومما نشرته (المفيد) بعندها (٢٢٩) لعام ١٩٢٤ مقالة لجميل المدرس - شقيق الكاتب فهمي المدرس - مناقشاً فيها دعاة السفور، ومقارناً حال المرأة قبل الاحتلال البريطاني وبعده:

"انظر قليلاً إلى الأخلاق والعفة التي كانت موجودة عند البنت العراقية قبل الاحتلال وبعده... ناشدتك الله، أين كانت مخبوءة قبل هذه السنين المشؤومة إيجواريب الخزيمة؟ والعباءة الواحدة القصيرة؟ والفسطاط القصير فوق الركبة؟ والنقاب (اليوشى) أرق من هواء النسيم؟". "خذوا العبرة من النصاري واليهود مع أننا لا يمكننا أن نوجه اللوم عليهم... ورغماً على هذا لا نجد اليوم فرقة كشافية أنانية في مدارسهم كمدارسنا الأنانية. كانت البنت اليهودية العراقية قبل الاحتلال تسدل على وجهها نقاباً خفيفاً جداً كالذي تلبسه اليوم أكثر بنات الإسلام المتبرجات، ومن ثم شعروا بمضاره فأبدلوه بواحد أثخن"<sup>(١٠)</sup>!

كما نشرت بعندها (٢٥٥) لعام ١٩٢٤ تهكم مصطفى عرت عبد السلام من فتاة غسان التي اقترحت أن يجزب الرجال الحجابيون وضع البرقع الأسود على وجوههم:

"حنانيك يا فتاة غسان! أراك تريدن قلب النظم الاجتماعية والشرائع. فافعلي ما تشائين، وطبقي بالفعل وأعيري عبائتك وبرقعك للفكيكي لنرى صدق دعواك فنرى الفكيكي برفعه، ونراك سافرة ونقول سبحان الذي يغير ولا

يتغير...". وتوفيق الفكيكي ذيل مقالاته الكثيرة في نبذ السفور تارة (بفحل قحطان) وتارة (بفحل نزار) وقد عذ السفور لوز من التبرج"<sup>(١١)</sup>!

أما جريدة (الاستقلال)، مع صلتها الوثيقة بالحزب الوطني الذي رفع لواء المعارضة منذ أوائل الحكم الوطني حتى دخوله عصبة الأمم، فقد انتقدت بعنف المؤتمر النسائي العربي الثاني الذي انعقد في بغداد في تشرين الثاني ١٩٢٢، بباعث من تلميح إحدى الخطيبات إلى السفور، فقالت بعندها (١٧٢٩) لعام ١٩٢٢:

"إذا كانت الثمرة المرجوة من هذا المؤتمر هي رفع هذا البرقع عن وجوه نساء هذا الشرق العربي، فهو دون ما عناء أو تعب، جهد مقضي عليه إن عاجلاً أو آجلاً، ومثله كمثله الحشرات التي تأكل نفسها بنفسها حتى تموت وتقني"<sup>(١٢)</sup>.

وأمام هذا النقد، النائي عن الموضوعية، المتسم بقصر النظر والجمود، اضطر المؤتمر إلى إعادة النظر في جدول الأعمال، وأقصى عنه مناقشة السفور خشية المشكلات، ولو أن جدواً كانت في خلق الصلة بين الحركة النسائية في العراق مع الحركات الماثلة في الأقطار العربية والمجاورة.

ولعل من الطريف مقارنة موقف جريدة (العراق) مع موقف جريدة (الاستقلال) في هذا المجال. فحين اتخذت الأولى موقف الداعي إلى سفور المرأة، ولم تتزحزح عن هذه الدعوة، التزمت الثانية حيالها موقف الصمت، حتى إذا افتتح نادي النهضة النسائية عام ١٩٢٤، ورخبت به (العراق)، تجاهلته جريدة (الاستقلال)، ولم تأت على ذكره إلا بعد أن خطبت سيدة بارزة مكنية الإشاعات القائلة بأنه يناصر الدعوة إلى السفور، فأكدت في عددها (٥٠٧) الصادر في ١٩٢٤/١١/٢٧ أن المقالات التي صدرت تلك الأيام بتوقيع "فتاة غسان" الذي هو اسم مستعار لإحدى كريمات الشيخ أحمد الداوود (عميد حزب الأمة آنذاك) غير صادرة عن تلك العائلة الكريمة التي لا تتود الخوض في هذا الموضوع! بينما جريدة (العراق) في عددها (١٢٧٠) لسنة ١٩٢٤ عذت تأسيس النادي فتحاً جديداً، ورخبت به قائلة: "... ونسر جداً بأن تحفزت المرأة العراقية، وقامت تريد إذاعة النهضة النسائية في المجتمع، ونعد تأسيس هذا النادي النسائي - الذي هو

أول ناد عرفته عاصمتنا المجيدة. فتحسباً جديداً لنهضتنا الاجتماعية<sup>(١٣١)</sup>.

ونقارن أيضاً مقال (الاستقلال) الأنف نصه بشأن المؤتمر النسائي الثاني بمقال (العراق) عن روح اليأس والتردد الذي هيمن على نادي النهضة النسائية، محاولة شد لزره ودعمه للثبات أمام العاصفة، ويعتبر من أجراً مقالاتها في هذا الصدد، لأنها طالبت الحكومة بتعزيد النادي، أنحت باللوم على الحكومة لتقصيرها في هذا المجال، ناعته موقفها بالحياد وعدم الاكتراث:

"إننا لا نوافق السيدات المصونات، أركان نادي النهضة النسائية، على الإدارة التي يقمن بها حيال الرجعية التي تقف حجر عثرة في طريقهن وهن يردن انبعاث المرأة العراقية ونشرها من مداخل الإهمال والعبودية، لأن الطغمة الرجعية جامدة متحجرة تكره الحركة... وإذا نحن استقصينا العلة في تأخرنا الاجتماعي برغم شوقنا الشديد إلى الحضارة والتجديد، وجدناها في الحكومة. فإن حكومتنا مقصرة في هذا الباب تقصيراً كبيراً، فهي قساعة عن تعزيد الحركة التجديدية ومن جعلتها الحركة النسوية، وهي تظهر عدم الاكتراث أو الحياد في هذا الأمر، بينما نرى الحكومات في الأقطار الشرقية الأخرى هي التي تقوم بأعباء التجديد والحركة الاجتماعية والأدبية<sup>(١٣٢)</sup>."

والمعروف عن رشيد عالي الكيلاني، عندما كان أستاذاً للعقوبات، انحيازه إلى الحجابيين نظير يوسف العطار أستاذ الأحوال الشخصية. نقيض رؤوف الجادرجي. أستاذ القانون الدولي. وحكمت سليمان أستاذ المالية، وتوفيق السويدي أستاذ القانون الروماني الذين انحازوا إلى السفوريين<sup>(١٣٣)</sup>.

أما موقف الأحزاب من الاتجاهين، فمع أن موضوعهما (حرية المرأة - الدعوة إلى السفور - منحها حقوقها السياسية) برز مشكلاً اجتماعياً في تركيا وإيران ومصر آنذاك، فالأحزاب العراقية آنئذ: "حزب التقدم برئاسة محسن السعدون، وحزب

الامة برئاسة الشيخ أحمد الداوود، وحزب الشعب برئاسة ياسين الهاشمي. وحزب النهضة برئاسة الحاج أمين الجرججي، والحزب الوطني برئاسة جعفر أبو التمن، وغيرها وقفت حيال التطورات الاجتماعية موقفاً سلبياً، متجاهلة الاتجاهين المتضاربين المتناحرين.

كما أن البلاط أيام فيصل الأول لم يتخذ موقفاً حيال موضوع سفور المرأة وحريرتها، فقد أبدى أحياناً الدعم، وأخرى التراجع عند بروز نقمة الرأي العام وسخطه، وقد يكون لهذا التذبذب في الموقف عامل التأثير ببعض القربين من البلاط - فالملك (علي) كان يحمل شقيقه على مناهضة السفوريين بينما رستم حيدر وساطع الحصري شجعا على دعمهم. أما دار الاعتماد البريطاني، فكان من سياساتها عدم التعرض إلى ما يمس التقاليد والقيم والمعتقدات السائدة في البلد، لكنها شجعت ظاهرياً تعليم المرأة تشجيعاً محدوداً، كما أن موقف الإنكليز المناهض للحركة الكمالية في تركيا - التي كانت آنئذ قبلة أنظار السفوريين - تم على عدم تشجيع النهضة النسائية، وتحريرها من الجهل والتخلف والحجاب. ولعل تصريح وكيل المعتمد السامي في خطاب القاه في إحدى المناسبات، ناعته تركيا. منبت الحركة الإصلاحية الكمالية - بأنها "قد سقطت في تلك الغواية الغربية"<sup>(١٣٤)</sup>. متناسياً أنه أحد أولئك الغربيين من أصحاب الغواية! وهذا الكلام كان متوقفاً آنذاك من ممثل دولة استعمارية كبرى كان من شأنها الإبقاء على أحوال التخلف والجمود والاستبعاد في البلاد التي تروم استغلالها، وكان خير مخذر للرجعيين والمحافظين ومثبط للتقدميين والمتحررين في البلدان الخاضعة لنفوذها.

ومن الجدير بالذكر أن الأصوات النسائية التي ارتفعت في مجال تحرير المرأة، كانت أصوات الأنسة رفيعة الخطيب التي ناقشت إذا كانت الشريعة الإسلامية تمنع السفور، والأنسة أمينة الرخال التي نادت بوجوب استقلال المرأة اقتصادياً، وجميلة الجبوري التي شاركت في المؤتمر النسائي الشرقي الأول في دمشق في تموز ١٩٢٠، وقبلها أصوات أسماء الزهاوي،

ونعيمة السعيد، وماري عبد المسيح وزير وفخرية العسكري من هيئة نادي النهضة النسائية<sup>(١)</sup>.

لقد اعتري مفهوم السفور تطور تدريجي. ففي أوائل الدعوة له كان مفهومه لا يتعدى إزاحة النقاب عن الوجه، فكانت المرأة تعد سافرة إذا تجرنت من البرقع، بينما أضحي مفهومه فيما بعد وحتى الآن بروزها للعيان بلا عباءة وبرقع، وهذا المفهوم يواكب تطور المجتمع المتجه صوباً تقصير الشقة بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء. فالهوة بين المجتمعين كانت عميقة أيام كانت الدور مشطورة إلى شطرين: (الحرم) والديوخانة، والحدائق تخصص إياماً معينة لدخول الإناث، وإياماً أخرى لدخول الذكور. ودور الخيالة، فعلت نظير ذلك، والنوادي كانت حتى أعوام خلت مقصورة على الرجال، خلاف ماهي عليه الآن. مفتوحة للجنسين في آن معا. ولم تكن الجرائد قبلاً تحسن التمييز بين كلمتي (كريمة) و (عقيلة)، بل حتى بعض الوزراء في ذلك الحين، التبس عليهم هذا المدلول<sup>(٢)</sup>!

أما من هي العراقية الأولى التي طرحت النقاب وبرزت سافرة، فقد اعتذر الأستاذ خيري العمري عن التصريح بذلك، وعذره أنه لا يروم "التورط كما تورط غيره في حكم قاطع بهذه المسألة" لانعدام الدليل على ذلك، لكنه يستدرك بأن بغداد قبل عام ١٩٣٢ ربما لم تخل ممن أزحنت النقاب عن أوجههن، وأن قرينة حكمت سليمان قد تكون من بينهن، في حين كانت أكثر الريفيات سافرات الوجوه<sup>(٣)</sup>.

وما كاد العقد الثالث من هذا القرن ينتصف، حتى كانت صيحة عبد الرحمن البناء القائلة:

أيها القوم أصلحوا أنفسكم

خاب من رام سفور الوجه خاباً

قد تبددت سدى كصرخة في فندق، نظير صيحة حسين ظريف الأعظمي في أبياته:

لئن زعموا أن السفور تجندا

فإني لأبى في الحسبية التجندا

إذا كان تحجيب النساء تقيداً

فإني لأهوى للنساء التقيداً

وإن كان تمهيد السفور من الهدى

لعمر الهوى إني لأبشراً للهدى<sup>(٤)</sup>

وغدا نقس المعركة التي نشبت بين السفور والحجاب أثراً بعدعين، غب ارتفاع راية الأول وانخفاض رواية الثاني، وبات ما رافقها من ضجيج واصطخاب في ذمة التاريخ.

وكمثل على حسن الاستقراء والاستشفاف، أورد ما يأتي من مقال عنوانه (المرأة - ماضيها - حاضرها - مستقبلها) بقلم حسين محمود، نشرته مجلة (العصور) المصرية في عددها الثالث من مجلداتها الأول، الصادر في كانون الأول من عام ١٩٢٧ أي قبل نصف قرن ونصف:

"فالتطور لا بد منه، والانقلاب لا محالة واقع. لهذا كان الواجب علينا أن نوجه خطى هذا الانقلاب في وجهة يستفيد منها الجموع... ولقد أخذت فكرة السفور في الانتشار، ولم يفد الجدل في القضاء عليها. وبدأ الجامدون يقللون من غلوائهم ضد تعليم المرأة تعليماً رافقياً..." (ص ٢٧٤).

### حجاب الرجال في عصر سفور النساء!

لا جدال أن المرأة في غالب أقطار العالم المتحضر، في العصر الراهن، تظهر للملا سافرة الوجه، خلا أقطاراً أو أصقاعاً نائية عن زخوف الحضارة ووسائل المنية الحديثة، لا يعتقد بها من حيث عدد السكان والرقعة الجغرافية. لكن من أغرب الغرائب في هذا العصر هو تحجب الرجال. فكيف وأين ذلك؟!

إنهم رجال قبيلة "الطوارق" الذين يحيون ويقضون نحبهم بدون إزاحة الحجاب الأسود عن وجوههم، حتى في أثناء تناولهم الطعام، بينما نساؤهم يستخدمون الحجاب! يقطنون منطقة "الهوجار" جنوبي الجزائر في الشمال الأفريقي، ويحيون كما عاش أسلافهم قبل قرون.

رجال الطوارق ذاتهم يجهلون البشاعة على تغطية وجوههم بالثام، ولا يعرفون له تعليلاً غير العادة المتوارثة من



قرون خلت. وإذا حاول فرد نزع اللثام عن الطوارقي المثلث، فمصيره القتل! وتعلل الأساطير ارتداء الحجاب أو اللثام بأن أصل الطوارق يعود إلى "جن" كبير إقترن بأنسية، فنسلا أولاداً مشوهين السحنة، فستروا أوجههم باللثام. واستناداً إلى أستاذ في مدرسة ابتدائية من أبناء الطوارق، م الهدف من اللثام إخفاء الضم، لاعتقادهم أنه مدخل رمق الحياة، فعليهم حمايته من

الأرواح الشريرة! لكن أليس فم النساء مدخل أروامهن كذلك؟! وأكبر عيب، بل خطيئة لا تغتفر في "الهو حار" أن ترى امرأة تغر رجل. لذا فهم يتنازلون طعامهم وشرابهم من تحت اللثام بدون أن يخلعوه، وطوله (١٥) متراً، ويستر كل الوجه خلا العينين<sup>(١٣)</sup>!

## الهوامش

- (١) قاسم أمين. الأعمال الكاملة. ص ٦٣. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ١٩٧٦
- (٢) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٥٢
- (٣) المصدر السابق ص ٥٤
- (٤) ديوان مجنون ليلي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٢٩.
- والأغاني للأصفهاني ج ١
- (٥) الأغاني. للأصفهاني ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٠٩
- (٦) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٥٦
- (٧) الأغاني / ج ١٤ ص ١٧٢
- (٨) الأغاني / ج ١٤ ص ١٧٢
- (٩) الأغاني للأصفهاني ج ٦ ص ٥٢. ٦٧
- (١٠) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ج ٥ ص ٦٠. ٦١
- (١١) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٦٠ استناداً إلى الأغاني ج ١ ص ١٨٣ و ج ١٨٤
- (١٢) المصدر السابق نفسه ص ٦١ استناداً إلى الأغاني للأصفهاني والمسعودي ج ٢ ص ١٢٢ و ١١٦
- (١٣) المصدر السابق نفسه ص ٦٢ (تاريخ زيدان)
- (١٤) جرجي زيدان. المصدر المذكور سابقاً. ج ٥ ص ٦٤
- (١٥) المصدر السابق نفسه. ص ٦٥ بالاستناد إلى (الأغاني) و (الفرج بعد الشدة) و (ترزين الأسواق) و (ألف باء) ج ٢ ص ٧٧

- (١٦) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي. ج ٥ ص ٦٦ و (رسائل الخوارزمي) ص ٢٠
- (١٧) أسى طوبي. عبير ومجد ص ١٦. ١٧، مطبعة قلفاط، بيروت ١٩٦٦
- (١٨) محمد البنداري. المرأة ومركزها الاجتماعي في الدولة. ص ٥٢. ٥٤، دار عرّت خطاب، القاهرة.
- (١٩) نورد قاسم أمين هذا النص في كتابه (تحرير المرأة) ص ٤٥ مشيراً في الهامش (النور: ٢٠ وما بعدها).
- (٢٠) قاسم أمين. تحرير المرأة. الأعمال الكاملة (مذكور في هامش (١) ج ٢ ص ٤٦
- (٢١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٧
- (٢٢) محمد البنداري (مذكور في هامش ١٨) ص ١٠٢. ١٠٣
- (٢٣) قاسم أمين (تحرير المرأة) ص ٤٥ (٢٢ ب) تحرير المرأة ص ٨٦ و ٨٧.
- (٢٤) مجلة (العصور) المصرية، عدد أكتوبر ١٩٢٧، ص ١٢٠. فنظر كذلك ص ٧٩ من تحرير المرأة
- (٢٥) حنا الفاخوري (تاريخ الأدب العربي) ص ١٠٣٦. المطبعة البوليسية. بيروت، بدون تاريخ
- (٢٦) المصدر السابق، ص ١٠٣٧
- (٢٧) ميخائيل صوايا. أحمد فارس الشدياق. ص ١٦١. ١٦٢، دار الشرق الجديد. بيروت ١٩٦٢
- (٢٨) عيسى فتوح. أديب إسحق باعت النهضة العربية. ص ١٨٢. ١٨٦.

- مطبعة كرم، دمشق، ١٩٧٦
- (٢٨) ولي الدين يكن، مناهل الأدب العربي، مختارات رقم ٤، مكتبة صابر، بيروت، بدون تاريخ.
- (٢٩) مي زيادة، باحثة البادية، دراسة نقدية، ص ١٤٨ - ١٥٠، مؤسسة نوفل، بيروت ١٩٧٥
- (٣٠) المصدر السابق، ص ١١٣
- (٣١) المصدر السابق، ص ١١٤
- (٣٢) المصدر السابق، ص ١١٥
- (٣٣) المصدر السابق، ص ١١٦
- (٣٤) المصدر السابق، ص ١١٦ - ١١٨
- (٣٥) المصدر السابق، ص ٦٩، مقتبس من نص باحثة البادية الموسوم (النسائيات)
- (٣٦) المصدر السابق، ص ٥٦
- (٣٧) المصدر السابق، ص ١٢٤
- (٣٨) المصدر السابق، ص ٥٤ / ٥٥
- (٣٩) محمد البنداري (مذكور في الهامش ١٨) ص ٦٥ - ٦٦
- (٤٠) قاسم أمين (مذكور في الهامش رقم ١) تحرير المرأة، ص ٥٤
- (٤١) المصدر السابق، ص ٥٧
- (٤٢) المصدر السابق، ص ٥٨
- (٤٣) المصدر السابق، ص ٥٩ - ٦٠
- (٤٤) المصدر السابق، ص ٦٠
- (٤٥) المصدر السابق، ص ٦٢
- (٤٦) المصدر السابق، ص ٦٧
- (٤٧) المصدر السابق، ص ١٥٢
- (٤٨) المصدر السابق، ص ١٣ - ١٤
- (٤٩) محمد البنداري (مذكور في هامش ١٨) ص ٥٥
- (٥٠) المصدر السابق، ص ٥٦ - ٦٩
- (٥١) المصدر السابق، أنظر الصفحات ٧٠ - ٨٦
- (٥٢) أنظر مقال خيرى العمري (معركة السقور في العراق) في كتابه (حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث) ص ٩٢ - ١٤٥، دار الهلال ١٩٦٩.

## مصادر البحث

١. الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دراسة وتحقيق الدكتور، محمد عمارة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٦
٢. المرأة ومركزها الاجتماعي في الدولة، محمد البنداري، دار عرت خطاب - القاهرة
٣. تاريخ التمدن الإسلامي - جرجي زيدان
٤. بناء النهضة العربية - جرجي زيدان، دار الهلال
٥. الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني - دار مكتبة الحياة - بيروت ج ٢، ٦٠٥
٦. عائشة تيمور - مي زيادة - مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٧٥
٧. باحثة البادية - مي زيادة - مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٧٥
٨. أدب إسحق - لعيسى فتوح - مطبعة كرم، دمشق ١٩٧٦
٩. حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، لخيري العمري - دار الهلال ١٩٦٩
١٠. تاريخ الأدب العربي - لحن الفخوري - الطبعة السادسة - المكتبة البوليسية - بيروت - لبنان - مجهولة التاريخ
١١. أحمد فارس الشدياق - ليخائيل صوايا - دار الشرق الجديد - بيروت - ١٩٦٢
١٢. أسى طوبى - عبير ومجد - الطبعة الأولى - مطبعة قلفاط - بيروت ١٩٦٦
١٣. مجلة (العصور) المصرية - العدد (٢) المجلد (١) تشرين الأول ١٩٣٧ والعدد الذي يليه.
١٤. دهبان المتنبي - شرح الشيخ ناصيف اليازجي - مجهول المطبعة والتاريخ
١٥. تاريخ اليعقوبي - دار صابر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٠

# الجاحظ والدرس الصوتي ((اللغات))

احمد ابراهيم صاعد

الصوت جوهر لا عرض، قال في ذلك: ((والصوت آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوحد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً، ولا منثوراً، إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون، مع الإشارة، من الدال والشكل، والتقتل والتثني))<sup>(١)</sup>.

ومن يمعن النظر في المضمونات اللغوية في الفقرة السابقة يجدها، لا تنأى عما ألفه البحث اللغوي الحديث إن لم يكن قد سبق إليها الجاحظ. ولا أريد التوسع في هذا لأن له حلقة في غير هذا البحث. سواء ما يتصل بالهدف أو الاتجاه أو الفكر.

بل كان سباقاً إلى مجالات تطبيق علم اللغة، وحقوقه مثل ((علاج عيوب الكلام، والترجمة، وعلم اللهجات، وعلم المعاني، وعلم الخط وتعليم اللغات، وعلم اللغة التقابلي...))<sup>(٢)</sup>.

كان له حظ وافر في المجالين النظري والتطبيقي؛ فقد وقف على كثير، من الظواهر اللغوية، فأقبل عليها بالشرح والتحليل والشاهد والمثال حتى جعلنا نسمع الجاحظ، وكأنه أحد علماء اللغة المعاصرين الذين يتكلمون في أنظمة اللغة الحية، وقوانينها، وظواهرها. وأصولها، وفروعها.

ولما كان الميدان اللغوي الذي سلكه الجاحظ واسعاً في أبوابه ارتأيت أن أقصر بحثي هذا على جانب واحد هو ((اللغات في الدرس الصوتي لدى الجاحظ)).

اللغات : مفرد لها لغة، بضم اللام، وهي ذات خطر في الوحدات الصوتية: لأنها تؤدي، إلى فقدان بعض تلك الوحدات، ومن ثم

عرفت الاوساط الأدبية، والفكرية، الجاحظ أديباً ومفكراً متميزاً بثقافة واسعة، متعددة الآفاق والشارب، كما عرف بظابعه الأدبي، والبلاغي، وفنه الكتابي، فهو صاحب مدرسة في الكتابة والأدب والفكر، لها أسلوبها المتميز، بالاسهاب والتكرار، والأصالة، والعمق.

هو تلميذ البصرة التي تمتد بجذورها الأدبية إلى أبعد من سوق المربد، وتمتد بجذورها الفكرية إلى أبعد من حلقة واصل بن عطاء. تتلمذ على يد النظام "المفكر المعتزلي".

فهو عالم بالادب، فصيخ، بليغ، صاحب التصانيف المشهورة. وإمام من أئمة المعتزلة، صاحب الفرقة التي عرفت باسمه ((الفرقة الجاحظية)).

توسع الباحثون في أبحاثهم في حياته الأدبية، والفكرية، ووضعوا في تلك الحياة الخصبة توالييف عظيمة النفع، حمة الفوائد، ولم يقتصر ذلك الأمر على البحث في ادب الجاحظ وفكره على العقلية العربية، بل شغل العقل الاستشراقي<sup>(٣)</sup>.

أما الأوساط اللغوية فكانت في نظرها، في فكر الجاحظ اللغوي ضئيلة؛ إذ جاءت كتابات متناثرة في أفق الجاحظ اللغوي الرحيب ولا لرى سبباً، في ذلك، غير أن أفكاره في اللغة، كانت عقوداً موزعة في كتبه، ورسائله، ونظراته هنا وهناك، فلم يضع كتاباً في اللغة مثل كتابات أقرانه، ومعاصريه.

لقد سبق أبا الفتح<sup>(٤)</sup> في نظرية نشوء اللغة<sup>(٥)</sup>، كما كان من السباقين إلى الفصل والتمييز بين صنفين من الدراسات النحوية، وإلى الدعوة إلى تيسير الدرس النحوي، وإلى القول: بأن

تعود الى تغير المعنى نتيجة حلول وحدة صوتية، محل أخرى. هذا من حيث أثر الوحدة في البنية الصوتية، والدلالة المعنوية. والان ينقلنا البحث الى تعريف اللثة وحدها فنقول: اللثة: هي (( خبسة في اللسان أو ثقل فيه ))<sup>١٢</sup> أو هي (( عذول المرء بحرف الى آخر )) وهذا القول الأخير للزهري. والجاحظ يحدد اللثة بالثقل في الكلام، يقول: (( ويقال: في لسانه خبسة، إذا كان الكلام يثقل عليه ))<sup>١٣</sup>.

إذا الخبسة ناشئة عن ثقل في الكلام، ونسبوا الخبسة الى اللسان، لأنه من الأعضاء المهمة في صنع الكلام ويكون ذلك، بتدويره ومده، وارتفاعه، وانخفاضه، وتقدمه، وتأخره. هذا بالإضافة الى صلته بالأعضاء الأخرى كالطبق واللثة، والالسان، واللهاة.

واشار الجاحظ الى خطر اللثة في البيان، واضطراب الكلم فقال: والذي يغتري اللسان، مما يمنع البيان أمور: منها اللثة))<sup>١٤</sup>.

فاللثة لا يقتصر خطرها على كونها مجالا لإثارة الضحك أو فقدان وحدة صوتية يصحبها تغير المعنى بل هي ذات خطر في البيان، والفصاحة التي تعد إحدى مكونات البيان، والإفهام.

### اقسام اللغات:

يرى الجاحظ أن اللغات بحسب الخصائص المميزة لها تقسم قسمين. وهذا التقسيم ناشئ عن ملاحظة دقيقة، لما تتصف به اللثة من مجال صوتي يعود الى تحقيق معنى، أو لا يمكن أن يكون حرفا في بنية خاصة، وإنما يكون صوتا مجردا، أو وشوشة.

### القسم الأول

وهي اللثة التي لا يمكن تصويرها بالخط، أي، ليس بالامكان تحويلها الى حروف مسموعة أو مكتوبة، إنما هي أصوات لا يمكن تمثيلها بالحروف. قال الجاحظ بشأن هذا النوع من اللغات: (( فأما التي على الشين المعجمة، فذلك شيء لا يصور بالخط؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مخرج من الخارج والمخرج لا تحصي، ولا يوقف عليها ))<sup>١٥</sup>.

ويثير الجاحظ في تفسيره للثة هذه عدة قضايا صوتية هامة هي:

١. إن تلك اللثة ليس باستطاعة الألف أن يمثلها في وحدة

صوتية (فونيم)، فهي صوت مجرد أو وشوشة، كما قلت، لا ينتج عنها أثر في المعنى أو البنية الصرفية (مورفيوم).

٢. وإن تعدد المخارج الذي أشار اليه الجاحظ، هو تعدد الصفات لأن الصفات الصوتية، من جهر، الى همس أو شدة، أو رخاوة أو استعلاء... هي التي تتعدد، أما المخارج فعدها ثابت.

هذا ما يتصل بالاصول المتمثلة بحروف: أي، رموز، أما إذا كان ما يعنيه الجاحظ أصواتا مجردة. وأظن ذلك الذي كان يريده. فهي لا تحد بمخرج.

ولم يقف الأمر لدى الجاحظ عند اللثة في الوحدات الصوتية في اللغة العربية، بل كان قد امتد بملاحظاته الثاقبة الى ما يتصل بخصائص علم اللغة التقابلي، كما نبهت سابقا، فراح يكشف عن تلك اللثة التي يمكن أن نسميها صوتية مجردة في السنة الأمم الأخرى، وحياتهم اللغوية.

فهو يبين تلك اللثة في لغة العجم، بل يراها أكثر خصوصية في لغة (( الخوز )) يقول: وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم، وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة (( الخوز ))، وفي سواحل البحر، من أسياف فارس، ناس كثير، كلامهم يشبه الصغير))<sup>١٦</sup>.

ورأى ذلك أصواتا مجردة، ليس للقلم عليها حيلة في تصويرها، فقال: فمن يستطيع أن يصور كثيرا، من حروف الرزمة والحروف التي تظهر في فم الجوسسي، إذا ترك الإفصاح، عن معانيه وأخذ في باب الكناية، وهو على الطعام))<sup>١٧</sup>.

والمعاني التي يقصدها الجاحظ من رزمة، وعدم إفصاح تلحق الفارسي، وهو على الطعام هي (( الرطانة، والاصوات المبهمة التي يديرها في خيشومه، وحلقه، غير مصحوبة بحركة لسان أو شفة ))<sup>١٨</sup>.

### القسم الثاني

وهي اللثة التي يمكن تسميتها بالصورة استنادا الى قول الجاحظ فيها، وتحديددها إياها.

وهذا القسم ذو خطر في الوحدات الصوتية، وفي نفس صاحب اللثة؛ لأنها تؤدي الى إبدال وحدة صوتية، مكان أخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى، تكون ذات عيب مثير للضحك أو للسخرية

ممن ظهرت فيه اللتغة.

وهذا النوع هو الذي جعله الجاحظ ممكنا تصويره بالحرف. وخصه بأربعة أحرف هي<sup>(١)</sup>:

١. السين.

٢. القاف.

٣. اللام.

٤. الراء.

وذكر الجاحظ لهذه الأحرف على هذا النحو غير مرتبط بناحية صوتية، أو قاعدة صوتية. ولكن يظهر لي أنه آخر الحرف الذي يتعرض للغة ثنائية أو أكثر، وهو صوت ((الراء)). ولم يكن الإبدال بين الحرف الذي فقده الألتغ من معجمه الصوتي والحروف الأخرى، التي حلت محله، على قدر واحد، ولا درجة صوتية واحدة، وإنما يختلف من حرف إلى آخر من حيث القدر والدرجة.

ولشارة الجاحظ إلى هذه الأحرف وتخصيصها باللتغة، لم يكن على سبيل الحصر.

### الحرف الأول [[السين]] واللتغة العارضة له

السين في الوصف الصوتي: صوت مهموس رخو، يستحيل في حالة الوقف دون حالة الوصل<sup>(٢)</sup> وهو من المجموعة الأسلية وهي ((السين، والصاد، والزاي)) وتسفى أحرف الصفير وهي المصاحب إنتاجها صفير.

وينبدل هذا الحرف بحرف هو ((الثاء)) عند الألتغ، كما أشار إليه الجاحظ<sup>(٣)</sup>. فالثاء وحدة صوتية موجودة في المعجم الصوتي لدى الألتغ، في حين نجده فاقداً للوحدة الصوتية التي هي ((السين)).

وكلا الحرفين ((السين)) و ((الثاء)) يشترك في الخصائص الصوتية، كالههمس، والرخاوة. ولهذا السبب. كما اظن نشأ التبادل بين الصوتين، لكنه تبادل مقيد، لا يخضع لإرادة الألتغ.

ويزودنا الجاحظ بأمثلة نطقية من الواقع الاجتماعي الذي ظهرت فيه مراقبته، بدقة. وموضع التطبيق يظهر في أسماء شخصيات، كشخصية أبي يكسوم، وأبو يكسوم هذا، كنية إبرهة

الحبشي.

يقول الجاحظ مستعرضاً موضع اللتغة: كقولهم لأبي يكسوم: (أبي يكثوم)، وكما يقولون: بثرة، إذا أرادوا: بشرة، وبثم الله، إذا أرادوا: بسم الله<sup>(٤)</sup>.

ومما سمعته في تجربتي قولهم: التلاخ عليكم، إذا أرادوا: السلام عليكم. وقولهم: فلان ما ثاء، إذا أرادوا: فلان ما ساء.

### الحرف الثاني [القاف] واللتغة العارضة له

القاف صوت موضع اختلاف بين الأقدمين والمحدثين، من حيث الخصائص الصوتية، فيصفة الأقدمون، بالجهر، ووصفة المحدثون بالهمس<sup>(٥)</sup>. وهو كذلك ينطق به مجيدو القراءات الآن في مصر، على الرغم من أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها إحدى الأصوات المجهورة<sup>(٦)</sup>. وهو من الأصوات الشديدة.

وما يحدث لهذا الصوت في الختجرة بات أمراً غير معلوم، على الرغم من تطور الدرس الصوتي، واعتماد علماء الأصوات التجارب الحديثة في المختبرات الصوتية. فالأجهزة غير قادرة على وصف ما يحدث له في هذا الموضع<sup>(٧)</sup>.

أما الحرف الذي ينبدل منه فهو حرف ((الطاء)). والطاء: حرف مجهوز شديد، طبعي. فهو يشاكل حرف ((القاف)) لدى الأقدمين في صفة الجهر، ويشاكله لدى المحدثين، في صفة الشدة. فهل هذه المشاكلة الصوتية بين الحرفين هي التي سمحت بهذا التبادل. ولكنه يبقى تبادلاً مفروضاً، له نتائج غير المحمودة في الدلالة المعنوية، ويبقى يحمل صفة من صفات العيوب النطقية. ولا يغفل الجاحظ عن الأمثلة التطبيقية في عرضه للغة التي تعرض لهذا الحرف فيقول: فإن صاحبها، يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: طلت له، وإذا أراد أن يقول: قال لي، قال: طال لي<sup>(٨)</sup>.

### الحرف الثالث [[اللام]] واللتغة العارضة له

اللام صوت يتميز بالجهر والرخاوة، وهو صوت منحرف، وهو من الأصوات التي توصف بأنها مائعة.

واللتغة العارضة له ثنائية. فهو يبسدل عند الألتغ إما ((ياء))

وإما (كافا)).

والصوت الاول ((الياء)) يتحسس مع اللام، في صفتي الجهر والرخاوة، فكل منهما رخوٌ مجهور، يشكل وحدة صوتية أساسية في اللغة العربية.

ومثل الجاحظ لهذه اللغته لفظتان هما: ((اعتينيت، والجمل)) قال: فإن من اهلها، من يجعل ((اللام)) ((ياء)) فيقول بدل قوله: ((اعتلت)) ((اعتينيت))، وبدل ((جمل)) ((جمي))<sup>(٣١)</sup>.

والصوت الثاني هو ((الكاف)). وهو صوت شديد مهموس لا تجمع صفة صوتية أو مخرجة، مع صوت اللام، فليس بينهما قرابة صوتية يمكن بها أن يفسر هذا الابدال، وإن كان قسرياً.

والتعامل مع الاصوات المهموسة يتطلب جهداً عضلياً أكثر من التعامل مع الاصوات المجهورة، وإنتاجها، فكيف انتقل اللسان من وحدة صوتية في إنتاجها بسهولة إلى وحدة في إنتاجها جهد عضلي؟

ومثل هذه اللغته رجل اسمه عمر أخو هلال، ولا يهتما من هو عمر، إنما الذي يهتما الوسط الحامل لهذه اللغته فيقول الجاحظ: كالذي عرض لعمر أخي هلال، فإنة إذا أراد أن يقول: (ما العلة في هذا)، قال: مكعبة في هذا؟<sup>(٣٢)</sup>.

### الحرف الرابع [[الراء]]. واللغته التي تعرض له.

واللغته التي تعرض لهذا الحرف رباعية، كما يراها الجاحظ، لذلك يعد هذا الحرف أكثر الحروف عرضة للغات.

والراء صوت مجهور، رخو، ذلق، لأن ذلق اللسان يطرق اللثة عدة طرقات لكي يتكون هذا الصوت.

وبحكم الموازنة التي أجراها الجاحظ بين هذا الحرف، وحرف اللام وجد أن اللغته المتحققة فيه، تضعف على عدد لغته ((اللام)) فاللام يعرض له لغتان، في حين أن حرف ((الراء)) تعرض له أربع لغات.

وهذا الحكم الذي قال به الجاحظ، لا بد من أنه متأب عن استقرار ودقة في الملاحظات الصوتية، لما يجري في الوسط الذي كان يشغل الجاحظ، من ظواهر صوتية.

ويميز بين اللغات العارضة لهذا الحرف، فبعضها أقبح من بعض، فاللغته، بالغين أقل قبحاً يقول: ((وأما اللغته في الراء

فتكون بالياء والطاء والذال والغين، وهي أقلها قبحاً وأوجدها في ذوي الشرف وكبار السن وعلمائهم وبلغائهم))<sup>(٣٣)</sup>. ولم يفسر لنا سبب القبح أكثر أو أقله، فعلى الرغم من أن مخرج الغين أبعد من مخرج صوت ((الذال))، وكل منهما يحتاج إلى جهد عضلي متقارب لانهما من الحروف المجهورة، فالغين أقل قبحاً في رأيه. وربما التفسير في ذلك يكون بإمكان معالجة اللغته؛ لذلك وصف اللغته بصوت ((الغين)) بالضح القليل.

والوسط الذي يتعرض لهذه اللغته، ويكون أكثر قبحاً وشناعة في ظهور اللغته عليه، هو وسط كبار السن، وبلغائهم، وأشرفهم وعلمائهم.

وأول الحروف التي تعرض لحرف ((الراء)) هو حرف ((الياء)) والياء حرف مجهور رخو، فهو مشابه لحرف ((الراء)) في صفاته الصوتية فلا غرابة في حلوله محل حرف ((الراء)) الذي فقدته لجديفة اللغص الصوتية.

وموضع المثال الذي اختاره الجاحظ لأظهار اللغته لفظة ((عمر)) فقال: فمنهم من إذا أراد أن يقول: ((عمر))، قال: ((عني)) فيجعل ((الراء)) ((ياء))<sup>(٣٤)</sup>.

وثاني الحروف هو حرف ((الغين)). والغين من حروف الاستعلاء وهو صوت مجهور رخو، ولعل هذه الصفة الصوتية المشتركة بين الحرفين: أي، بين ((الغين)) و ((الراء)) هي التي جعلت الاستعارة الصوتية بينهما ممكنة لدى الألف، وإن كان الإبدال خارجاً عن الترحيح الصوتي: أي: الاختيار.

واتخذ الجاحظ المثال السابق لأجراء اللغته عليه وهو لفظة ((عمر)) إذ قال: ((ومنهم من إذا أراد أن يقول ((عمر)) قال: ((عني))، فيجعل ((الراء)) ((عينا))<sup>(٣٥)</sup>.

وثالث الحروف في هذا الموضع هو حرف ((الذال)) والذال كافي وحدة صوتية أساسية، في اللغة العربية، انتقل إليها الألف بعد فقدانها الوحدة الصوتية ((الراء)).

والذال صوت مجهور، رخو، ذلق، فهو من المجموعة الصوتية للراء التي تسمى (المجموعة الذلقية).

والمثال في هذا الموضع لهذه اللغته هو نفسه الوارد، في الموضعين السابقين، وهي لفظة ((عمر)) يقول الجاحظ: ((ومنهم من إذا



أراد أن يقول ((عمرؤ)) قال: ((عمرؤ))، فيجعل ((الراء)) ذالاً.

ويمثل الجاحظ لهذه اللغة بجنس آخر من الكلام هو الشعر وتكثفه يجعله مداداً لللغات الأربع، التي تعرض لهذا الحرف ((الراء)):

قال: ((واذا أنشد قول الشاعر:

واستبدت مرة واحدة

إنما العاجز من لا يستبد

ورابع الحروف في هذه اللغة هو حرف ((الظاء))، والظاء صوت رخو منجهوز، لثوي، فهو يشترك في الصفات الصوتية القائمة في صوت ((الراء))، لذلك يمكن تفسير انتقال لسان الألف إلى هذه الوحدة الصوتية، وإن كان انتقالاً مقيداً.

وشاهد الجاحظ لهذا الصوت هو النص الشعري السابق يقول<sup>(١٣)</sup>: ومنهم من يجعل الراء ظاءً منعجماً، فإذا أراد أن يقول: واستبدت مرة واحدة

إنما العاجز من لا يستبد

قال: واستبدت مظلة واحدة

إنما العاجز من لا يستبد

### صفات اللغات من حيث القبح

يميز الجاحظ بحسه وذوقه اللغوي، بين لغة وأخرى، فيما يتبين من قبح، فيرى لغة قبيحة، وأظنها استحققت هذا الوصف من الجاحظ؛ لأنها موضع للسخرية، والضحك أو لأنها تعرض لكبار السن والعجم، كما مر سابقاً من رأي له.

فهو يعرض اللغات في معرض التفاوت، ويصفهن على النحو الآتي:

١. اللغة الحفيرة يقول فيها ((واللغة التي في الراء، إذا كانت بالياء، فهي أحقرهن، وأوضعهن لذي المروءة))<sup>(١٤)</sup>.

٢. اللغة الثانية التي تكون أقل أثراً من الأولى هي ((التي على الياء))<sup>(١٥)</sup>.

٣. اللغة الثالثة التي تكون أقل قبحاً من الثانية هي ((التي على الذال))<sup>(١٦)</sup>.

٤. اللغة الرابعة وهي التي وصفها الجاحظ بأنها أنسرهن

هي ((التي على الغين))<sup>(١٧)</sup>: والسبب في كونها أنسرهن، أنها لم تكن عصية بل يمكن تجنبها بالمران وطول التهذيب فصاحبها لو ((تكلف مخرج الراء على حقها، والإفصاح بها لم يك بعيداً من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً))<sup>(١٨)</sup>.

وما وجده الجاحظ من الفوارق بين اللغات في صفة القبح يكمن في أن الجهاز الصوتي لا يستطيع بعض أعضائه إنتاج بعض الوحدات الصوتية، مهما تكلف صاحب اللغة، وأتى من جهد.

وشاهد الجاحظ في ذلك الواقع اللغوي لبعض الأفراد ومنهم محمد بن شبيب المتكلم وهو من وسط الجاحظ الفكري فكان هذا الرجل إذا أراد يقول: ((عمرؤ، على الصحة، قاله))<sup>(١٩)</sup>.

### تعدد اللغات

ربما تتعدد اللغات في الوسط الحامل لها. أعني بالوسط: الشخص. وذكر الجاحظ، لنا، وسطاً حاملاً غير لغة، وسمى ذلك الوسط بأنه هو ((شوشى)) وأراد أن يقربه لنا فنسب صخبته إلى عبد الله بن خالد الأموي، فقال: ((وزيما اجتمعت في الواحد لثقتان، في حرفين، كلغة ((شوشى))، صاحب عبد الله ابن خالد الأموي، فإنه كان يجعل ((اللام)) ياء، و((الراء)) ياء. قال مرة: مؤياي ويى ايني، يريف: مولاي ولي الري))<sup>(٢٠)</sup>.

ونرى الجاحظ أن المصاب بلثغتين، لا يمكنه الإصلاح منهما يقول: ((فأما من تعثر به اللغة في ((الضاد)) وربما اعترأ أيضاً في ((الضاد)) و((الراء))، حتى إذا أراد أن يقول: ((مضر)) قال: ((ميني)) فهذا وأشباهه لا حقون بـ((شوشى))<sup>(٢١)</sup>.

وشوشى اعترته لثقتان.

### ما هو أقل من اللغة.

لم يكتف الجاحظ بوصف اللغات، التي تكون مسببة عن فقدان وحدات صوتية في المعجم الصوتي للألف، بل وصف بعض الأمراض الكلامية التي تكون أقل خطراً وأثراً في حياة أصحاب تلك الأمراض، فتتبعها، ووصفها كما ظهرت له.

[١] الخبسة: يوصف بها الشخص ((إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حد الفأفاء، والتمتمام))<sup>(٢٢)</sup>.

قال الأصمعي في حد التتمام، والفأفاء: ((إذا تتعق اللسان في

التاء، فهو متمم، وإذا تتعتع، في الفاء، فهو فافاء.))<sup>(١)</sup>

وقال الفيومي: ((تمتم الرجل، متممة، إذا تردد في التاء فهو متمم<sup>(٢)</sup> وقال أبو زيد في تعريف التمام ((هو الذي يعجل في الكلام، ولا يفهمك))<sup>(٣)</sup>

أما الفافأة: فهي التردد في الفاء، كما قسالة الفيومي، والرجل فافاء<sup>(٤)</sup>. وقال السرقسطي: الفافأة: حُبْسَة، في اللسان<sup>(٥)</sup>.

فكل من الحُبْسَة، والفافأة، والتمتمة، ثقل في اللسان ولكن الحُبْسَة أقل أثراً منهما، في النطق.

وقال أبو الزحف في ذم الفافأة، والتمتمة<sup>(٦)</sup>.

لست بفافاء ولا متمم

ولا كثير الهجر في الكلام

٢. العقلة: ويوصف بها الشخص ((إذا انعقل عليه الكلام))<sup>(٧)</sup>

بمعنى: ((خبس لسانه عن الكلام: أي منع فلم يقدر عليه))<sup>(٨)</sup>.

٣. اللكنة: وهي خاصة بالعجم الذين يتعلمون العربية

فتعاورهم عند الكلام، بالعربية الطبيعة الأولى، أي طبيعة الاصوات الأعجمية. وعرفها الجاحظ بقوله: ((إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب))<sup>(٩)</sup>. وقال في بيان أثر الاصوات الأعجمية في إخراجها للاصوات العربية. و((جذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول))<sup>(١٠)</sup>.

ويقول الفيومي في حتمه للألكن: ((والألكن الذي لا يفصح بالعربية))<sup>(١١)</sup>.

واللكنة خاصة بالأعاجم، كما قلت، والأدلة على ذلك: قول الفيومي السابق، وقولا الجاحظ، وقد سبق أحدهما في حذم اللكنة، أما القول الآخر فهو ((وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من الأعاجم))<sup>(١٢)</sup> وقوله في ما يعتري اللسان مما يمنع من البيان: (... وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم، ومن ينشأ من العرب مع العجم/٦) البيان والتبيين ٧/ ط هرون عام ١٩٤٨م.

ويمكن أن يضاف إلى ما تقدم من أدلة على أن اللكنة صفة خاصة بالأعاجم، ما قدمه الجاحظ من شواهد وأمثلة، كانت قد وقعت له في أوساط أعجمية، زنجية، ورومية، وصقلبية.

ويرى الجاحظ أن الاصوات إذا تمكنت من الخارج كان لها الحكم الخاص، ومعنى ذلك الحكم: أن الرومي إذا تكلم بالعربية

عرف من مخارجة للاصوات العربية أنه رومي فهو يقول: وقد يتكلم المغلاق، الذي نشأ في سواد الكوفة، بالعربية المعروفة، ويكون لفظة متخيراً فآخرأ، ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي، وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم إعرابه، وتخبر الفاضل، في مخرج كلامه، أنه خراساني<sup>(١٣)</sup> ويقسول في موضع آخر عن السندي، ((ألا ترى أن السندي، إذا جلب كبيراً، فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل ((الجيم)) ((زاي))، ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس، وبين عجز هوازن خمسين عاماً. وكذلك النبطي الفخ، خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي الفخ، يجعل ((الزاي)) ((سينا)) فإذا أراد أن يقول: ((زورق)) قال: ((سورق))، ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول: ((مشعل)) قال: ((مشمل))<sup>(١٤)</sup>.

وقدم لنا تجربة صوتية كان يجريها النخاسون في عصره يكشفون، بها، عن الجنس الرومي الأصيل، والجنس الرومي المولد.

وملخص التجربة أن تأمر الجارية بأن تلفظ إحدى اللفظتين الآتيتين أو كليهما وهما ((ناعمة، وشمس)) فإن نطقت بحرفي العين، والسين، فهي جارية مولدة، وإن لم تجبها طليعتها إلى ذلك، فهي جارية غير مولدة.

ولكن من شرط النطق بتينك الكلمتين أن يكون ثلاث مرات متواليات<sup>(١٥)</sup>. لكي يحقق الامتحان وتصدق التجربة.

ويتخذ نماذج بشرية تتمثل فيهم اللكنة، وربما كانت تلك النماذج عربية، لكنّها نشأت منذ طفولتها في أرض ومجتمع غير عربيين أو نشأت في مجتمع غير عربي ولكن الأرض التي أفلتها عربية.

ومن بين تلك النماذج زياد الأعجم الذي كان يجعل السين ((شيناً)) ((والطاء)) ((تاء)) فيقول ((فتى زاده الشلتان)) يريد: ((فتى زاده السلطان)).

ومن بينها: سخيم عبد بني الحساس الذي وقعت له اللكنة بعصرة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو ينشد قصيدته التي أولها:

عميرة وذع إن تجهزت غاديا

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا  
فقال له عمر رضي الله عنه: لو قد امت الإسلام على الشيب  
لأجرتك، فقال له: ما سعرت؛ يريد ((ما سعرت)) جعل الشيب  
المعجمة سينا غير معجمة<sup>(١٢٧)</sup>.

وهذا مثال من شخصيات الجاحظ التي تمثلت اللفظة فيها  
لكنه شخصية عربية تعود بأصلها إلى قبيلة نمر العربية، أسره  
الروم وهو صغير فتسب إلى الروم فقبل فيه: صهيب الرومي.

كان صهيب يقول: ((إنك لهائن)) يريد ((إنك لعائن)). وهذه  
لفظة رومية، ارتضخها صهيب، لأنه عاش في بلاد الروم أسيرا.

وعبد الله بن زياد يرتضخ لفظة فارسية، لأنه نشأ في  
الأساورة، ويؤيد هذم النشأة أنه كان في آل زياد غير واحد يسمى  
شيوخه.

وهذه علامة على الصلة الاجتماعية بين آل زياد والفرس  
التي تتبعها صلات لغوية بالضرورة.

ومن أنماط اللفظ التي رواها الجاحظ ما وقع بين تاجر  
وكاتبه، والمشهد الذي عرضه يمكن أن يوظف لغرض مسرحي،  
وهذا ما يسعى إليه المسرحيون من الاستفادة من إمكانات علم اللفظ  
وطاقتة في خدمة المسرح.

أما المشهد الذي نقله الجاحظ: ((وبعضهم يروي أنه أملى على  
كاتب له فقال: اكتب: ((الهاصل الف كز)) فكتبها الكاتب، بالهاء،  
كاللفظ بـ...ها، فأعاد عليه الكلام، فأعاد الكاتب، فلما فطن  
لاجتماعهما على الجهل، قال أنت لا تهسن أن تكتب، وأنا لا أهسن  
أن أملى، فاكتب ((الهاصل الف كز)) فكتبها بالميم معجمة<sup>(١٢٨)</sup>.

ومن أصحاب اللفظ أبو مسلم الخراساني وهو فارسي وكان إذا  
أراد أن يقول: قلت لك، قال: قلت لك.

والصقـلبي يجعل الذال المعجمة دالا في الحروف)) فله لفظة  
الخاصة التي تميزه من الرومي والفارسي في لفظاتهم.

## ٤. الحُكْلَة:

يقول فيها الجاحظ: ((هي نقصان آلة المنطق)) وعجز أداة  
اللفظ: حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال<sup>(١٢٩)</sup>. ومعنى ذلك:  
هو التثاقيل والتباطؤ في الكلام يقال: ((احتكل فلان، تعلم

العجمية بعد العربية))<sup>(١٣٠)</sup>. والحُكْلَة في اللسان، كالقُجْمَة<sup>(١٣١)</sup>.

والحُكْلَة خاصة بالعربي الذي تعلم العجمية بعد العربية  
وهي على خلاف اللفظة.

## ٥. الإله:

وهي حبسة في اللسان، قال المبرد (ت٢٨٥هـ): هي الريح تمنع  
الكلام، فإذا جاء شيء منه، اتصل<sup>(١٣٢)</sup>. وقيل فيها: إنها غريزة.  
وقيل: إذا عرضت للشخص تردد كلمته، ويسبقه نفسه، وقيل:  
إنها إدغام في غير موضع الإدغام<sup>(١٣٣)</sup>.

فمنع الكلام أو التردد في إخراجها إذا عرضت الريح للشخص.  
شيء واحد.. وربما يكون تفسير ذلك: أن كمية الهواء تعارض  
إنتاج الصوت اللازم.

أما ما عبروا عنه فيها بـ...إنها إدغام في غير موضع الإدغام  
فمعناه على ما يحتمله اللفظ: عدم تطابق ما تفرضه السواكن  
والمحركات، التماثلات أو المتقاربات.

ويمكن أن يقال فيها: بأنها عدم القدرة القامة على إخراج  
الاصوات أو بعضها من مخارجها، بحيث يشوب ذلك عجمة، وربما  
يكون ذلك متأتيا من العجلة.

## ٦. اللف:

الاعياء في الكلام المصحوب بالبطء لذلك يقال: لف فلان  
وعني فلان، وبتؤ في الكلام: إذا تكلم ملا لسانه فمته.

وقال أبو عبيدة في بيان اللف: ((ادخال الرجل كلامه بعضه  
في بعض))<sup>(١٣٤)</sup> وأنشد قول الشاعر:

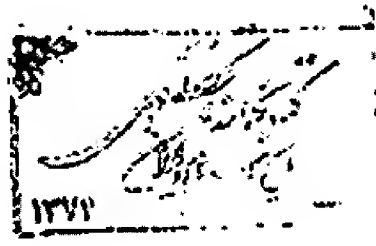
كأن فيه لفا إذا تطلق

من طول تحبـسـيس وهن وأرق  
ويظهر لي أن اللف ناشئ عن عدم ممارسة الكلام: لأن  
الجاحظ قال: ((كأنه لما جلس وحده، ولم يكن له من يكلمه  
وطال عليه ذلك، أصابه لف في لسانه))<sup>(١٣٥)</sup>.

فاللف من أمراض الكلام الخاصة باللسان ناشئ من عدم  
ممارسة الكلام.

## علاج اللسان:

ما الطرائق التي يراها الجاحظ مجدية ومفيدة في علاج



اللغة، وما اللغات التي يمكن علاجها، كما تبيننت له؟ وما اللغة المستعصية؟

يمكن الإجابة عن الأسئلة السابقة بتحديد بعض الطرائق، إما بالتخلص من الصوت الذي وقعت عليه اللغة أو عن طريق المران والتدريب حتى تستجيب الطبيعة لذلك الصوت . وقبل التفصيل لهاتين المسألتين، لابد من الامعان في أهمية الكلام، واثره في النفوس، وإثارة الانتباه الى التكلم فقد ذكر تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان، فقال: ((الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) وقال تعالى: ((هذا بيان للناس)).

ونذكر سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ((مال قريش في بلاغة النطق، ورجاحة الاحلام)).<sup>(١)</sup>

ويسعى الانسان في حياته الى غاية الافصاح بالحجة ووضوح الدلالة ((لتكون الاعناق اليه اميل، والعقول عنه أفهم والنفوس اليه أسرع)).<sup>(٢)</sup>

والفصاحة والبيان من مسالك الحجة على الخصم ((وليس اللجلج، والتعنتام، والألتع، والفافاء، وذو الخبسسسة، والخكلة، والرتة، وذو اللفف، والعجلة، في سبيل الخصر في خطبته والغني في مناضلة خصومه، كما أن سبيل المفخم عند الشعراء، والبكيء عند الخطباء، خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار)).<sup>(٣)</sup>

والآن نقفل القول فيما أشرنا اليه من التخلص من اللغات.

**الطريقة الأولى:** وهي طريقة ذات صلة قوية بمفردات

اللغة، وهي لا تتأني إلا لارباب الكلام، وذوي البيان، والفصاحة؛ فإذا أردنا أن نتجنب اللغة فعلياً أن نحمل ثروة لغوية تمكننا من احلال لفظة مرادفة لا تقع عليها لغة، محل اللفظة التي تصحبها اللغة، وهنا يظهر الجانب اللغوي، وأهميته، في علاج اللغة، ولا سيما المترادف اللفظي، وهذا ما يجب على المعنيين بأمر اللغات وعلاجها، الأخذ به.

ومن فصحاء العرب، وأبينائهم من كان بفصاحته يتخلص من اللغة، وخير مثل على ذلك واصل بن عطاء ((فإنه كان فيبيع اللغة، شنيعها ولثغته في حرف الراء)) فعلى الرغم من قباحة تلك اللغة كان يتجنبها بإبدال كلمة محل أخرى.

يروى الجاحظ أن بشاراً هجا واصلأ، فرذ عليه واصل بأبين كلام، لم ترد فيه لفظة في بنيتها حرف الراء، قال: ((أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله. أما والله لولا أن الغيلة سحبة من سجايا الغالية، لبعثت اليه من يبيع بطنه على مضجعه، ويقتله، في جوف منزله، وفي يوم حقله، ثم كان لا يتولى ذلك، منه إلا عقيلي أو سدوسي)).<sup>(٤)</sup>

هذا التمكن من البيان ومن المفردة اللغوية جعل أبا حفص عمر بن ابي عثمان الشمري، يقول: ((ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا، وأنتما للذي تريان من سلامته، وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف، مع امتناعه من حشره كثير الدوران في الكلام. ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار، وابن برد، والمرعث، جعل المشنف بدلاً من المرعث، والملحد بدلاً من الكافر، وقال: لولا أن الغيلة سحبة من سجايا الغالية، ولم يذكر المنصورية، ولا الغيرية، لكان الراء، وقال: لبعثت اليه من يبيع بطنه ولم يقل: لأرسلت إليه. وقال: على مضجعه، ولم يقل: على فراشه)).<sup>(٥)</sup>

فأنت ترى أن الجاحظ ذكر الفاظاً عنداً من المترادفات اللفظية، وإن كان حاكياً لغيره، لكنه كان يحكم المنبه على هذا الأسلوب والمقر له، وسأكرر المترادفات منفصلة عن النص لكي تكون في موقع النظر، والى التمييز أقرب.

المرعث: المشنف

الكافر: الملحد

أرسلت اليه: بعثت اليه

فراشه: مضجعه

وذكر عبارة هي: الغيلة سحبة من سجايا الغالية، ولم يقل المنصورية والغيرية.

ومثل ما تقدم ما أورده الجاحظ مثلاً على القدرة اللغوية في امتلاك واصل للمفردة المرادفة أنه إذا أراد أن يقول: البر قال القمح أو الحنطة)).<sup>(٦)</sup> على الرغم من معرفته بالفرق بين البر والقمح من حيث الفصاحة. فالبر لغة حجازية والقمح لغة كوفية، وقد تكلمت عائشة رضي الله عنها بالبر إذ قالت: (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه البرة السمراء حتى فارق

(الدنيا)).

ويثير بيان واصل بن عطاء اعجاب قطرب النحوي (ت ٢٠٦هـ)،  
اذ يجمال الاعجاب هذا النحوي على سؤال عثمان البري فيقول:  
(وسألت عثمان البري: كيف كان واصل يصنع في العدد، وكيف  
كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بالقمر  
والبدر، ويوم الأربعاء، وشهر رمضان، وكيف كان يصنع بالحرم،  
وصفر وربيع الأول، وربيع الآخر، وخمادى الآخرة ورجب،  
فقال: مالي فيه قول إلا ما قال صفوان<sup>(١)</sup> :

ملقن منهم فيما يحاوله

جئ خواطـطـرـد جواب أفـاق

ماذا يكشف لنا سؤال قطرب، وهو سؤال يثير العجب من تمكن  
واصل من المفردة اللغوية. فواصل إن تمكن أن يدير الكلام على  
الترادف اللفظي، فكيف يمكنه أن يتجنب فرض اللغّة مما ليس  
فيه ترادف؟

إذا النشاط اللغوي له أثر كبير في اتقاء خطر اللغّة.

### الطريقة الثانية:

كثرة التتبع، والمران على الصوت الذي تعرض للغة يمكن  
صاحب اللغة من معالجتها، قال الجاحظ في هذا النوع من  
اللغات: ((إن صاحبها، لو جهد نفسه جهداً، وأحد لسانه، وتكلف  
مخرج الرء على حقها والافصاح بها، لم يك بعيداً من أن تجيبه  
الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً))<sup>(٢)</sup>. وقال في موضع  
آخر مما يكشف عن أثر التدريب في إزالة اللغّة وهو يتحدث عن  
اللغّة التي كانت تعترى محمد بن شبيب المتكلم أحد رجال  
المعتزلة: ((كان إذا شاء أن يقول: عمرو، ولعمري، وما أشبه ذلك  
على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيو لذلك،  
فقلت له: إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فليست أشك أنك لو  
احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان  
يستقيم))<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما تدعو إليه أرقى المعاهد العلمية في معالجة اصحاب  
الأمراض اللسانية.

### الطريقة الثالثة تجنب الصمت:

استطاعت اللغة العربية بسياقاتها المتعددة أن تتخلص من

الصمت وأثره في بلاغة المتكلم وحسن بيانه أو في بنية الكلمة.  
فإذا ما التقى الصمت والسكون الذي يولد التقاء ساكنين، توجهت  
اللغة العربية بأحدى سياقاتها الى معالجة هذه الظاهرة  
بطريق المجيء بهمزة الوصل.

ومرافقة الصمت له خطره وأثره في اللسان والتوائه فقاضي  
الازارقة يزيد بن جابر يقال له الصموت؛ لأنه لما طال صمته،  
ثقل عليه الكلام، فكان لسانه يلتوي، ولا يكاد يبين (( وهذا  
محمد بن الجهم الهرمكي اعتراه مثل ذلك ((ايام محاربة الرط من  
طول التفكير ولزوم الصمت))<sup>(٤)</sup>.

## الهوامش

١. انظر نزهة الالباء في طبقات الادباء لعبد الرحمن بن محمد  
الانباري ص ١٢٢ تحقيق د. ابراهيم السامرائي مطبعة المعارف  
بغداد ١٩٥٩

٢. انظر الجاحظ لشارل بلات ترجمة الدكتور ابراهيم  
الكيلاني دار البقعة دمشق ١٩٦١  
٣. ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٢٩٢هـ).

٤. المراد بهذا: نشوء اللغة الصوتي. فهناك نظرية ترى أن اصل  
نشوء اللغة هو الاصوات كخبرير الماء، وصرير الباز، وعواء الذئب.  
٥. البيان والتبيين ١/ ٧٩ ط ٢ تحقيق عبد السلام هارون  
مؤسسة الخانجي، مصر.

٦. دراسات في علم اللغة د. فاطمة محمد محجوب (المقدمة هـ)  
دار النهضة العربية، مصر.

٧. المصباح المنير للقيومي ٢/ ٢١٦ تحقيق مصطفى السقا، البابي  
الحلبي.

٨. المصباح المنير للقيومي ٢/ ٢١٦.

٩. البيان والتبيين ١/ ٢٩.

١٠. المصدر السابق ١/ ٧١.

١١. البيان والتبيين ١/ ٢٤.

١٢. البيان والتبيين ١/ ٢٤.

١٣. البيان والتبيين ١/ ٢٤.

١٤. المعجم الوسيط ٤١٤/١ بتصرف. مجمع اللغة القاهري.
١٥. البيان والتبيين ٢٤/١
١٦. الخصائص لابن جني ٢٢٨/٢ ط ٢ دار الكتب القاهرة ١٩٥٥.
١٧. البيان والتبيين ٢٤/١
١٨. الاصوات اللغوية الدكتور ابراهيم أنيس ص ٨٤ ط ٥ / ١٩٧٥ مكتبة الأنكلو المصرية.
١٩. الاصوات اللغوية الدكتور ابراهيم أنيس ص ٨٤ ط ٥ / ١٩٧٥. الأنكلو المصرية والصوت اللغوي الدكتور احمد مختار عمر. والاصوات الدكتور كمال محمد بشر.
٢٠. الكلام انتاجه وتحليله الدكتور عبد الرحمن ايوب ص ٢٥٥ طبعة الكويت.
٢١. البيان والتبيين ٢٤/١
٢٢. هكذا وردت في النسخة المطبوعة من كتاب الحيوان. واللغة التي كانت موضع كلام الجاحظ هي ابدال اللام ياء فقط، فلماذا جاء التاء بدل الكاف؟
٢٣. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٤. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٥. البيان والتبيين ٢٧/١
٢٦. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٧. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٨. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٩. البيان والتبيين ٢٥/١
٣٠. م. ن
٣١. البيان والتبيين ٣١/١
٣٢. البيان والتبيين ٢٦/١
٣٣. البيان والتبيين ٢٦/١
٣٤. البيان والتبيين ٢٦/١
٣٥. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٦. البيان والتبيين ٢٦/١
٣٧. البيان والتبيين ٢٦/١
٣٨. البيان والتبيين ٢٧/١
٣٩. م. ن
٤٠. المصباح المنير ٨٥/١
٤١. المصباح المنير ٨٥/١
٤٢. المصباح المنير ١٤٠/٢
٤٣. المصباح المنير ١٤٠/٢
٤٤. البيان والتبيين ٢٨/١
٤٥. البيان والتبيين ٢٩/١
٤٦. المصباح المنير ٧٤/٢، والمعجم الوسيط ٦٢٩/٢ ط ٢ / ١٩٨٥
٤٧. البيان والتبيين ٤٠/١
٤٨. البيان والتبيين ٤٠/١
٤٩. المصباح المنير ٢٢١/٢ والبيان والتبيين ٧١/١
٥٠. البيان والتبيين ٦٩/١
٥١. البيان والتبيين ٧١-٧٠/١
٥٢. ينظر البيان والتبيين ٧٢/١
٥٣. البيان والتبيين ٧٢/١
- \* وهذا ما يسميه الأوروبيون ((الفريزون)) أنظر دراسة الصوت اللغوي د. احمد مختار عمر ص ٢٢٤
٥٤. البيان والتبيين ٧٢/١
٥٥. ينظر / البيان والتبيين ٤٠/١
٥٦. المعجم الوسيط ١٩٦/١
٥٧. المصباح المنير للفيومي ٢٢٢/١
٥٨. المصباح المنير للفيومي ٢٢٢/١، والمعجم الوسيط ٣٢٩/١
٥٩. المصباح المنير للفيومي ٢٢٢/١
٦٠. البيان والتبيين ٢٨/١
٦١. البيان والتبيين ٢٨/١
٦٢. البيان والتبيين ٨/١
٦٣. البيان والتبيين ٧/١
٦٤. البيان والتبيين ١٢/١
٦٥. البيان والتبيين ١٦/١
٦٦. البيان والتبيين ١٧-١٦/١
٦٧. البيان والتبيين ٢٢/١
٦٨. البيان والتبيين ٢٢/١
٦٩. البيان والتبيين ٣٦/١
٧٠. البيان والتبيين ٢٧، ٢٦/١
٧١. البيان والتبيين ٢٨/١





# النثر وأساليب بناء الخبر في كتاب [طوق الحمامة] لابن حزم الاندلسي

د. لؤي حمزة عباس

كلية الآداب . جامعة البصرة

## الطوق والخبرة: مقدمة

يغتنى كتاب (طوق الحمامة) بتجربة لا تقف عند نوع أدبي معين، على الرغم من اندراجها ضمن تأليف الحب والعشق، ولا تنفلق على زمن بعينه، على الرغم من شبه انقطاعها على زمن مؤلفه أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (٢٨٢-٤٥٦هـ / ٩٩٢-١٠٦٤م) بما تنهاه إليه وما وقع له من صنوف الحوادث وهي تعدد لكثرتها واختلافها وغزارة مروياتها مادة الكتاب الأولى، مثلما لا يركن إلى كيفية محددة للكتابة تتكرر في كل باب، فثمة تنوع بين يقتضيه اعتماد الكاتب على تجربته الشخصية، وهي تتسع مرة وتضيق أخرى، وما حدث به أصحاب له ثقات، رجال ونساء، وما أدركه من أخبار الأمم وهي قليلة نادرة، كل ذلك جاء مشفوعاً بالشعر المؤلف في معظمه من قبل صاحب الكتاب في مراحل سابقة له قريبة من أزمنة وقوع الأخبار أو بعيدة عنها، بما يؤكد الصلة بين تجربتين: حياتية وابداعية، حتى عدلت الأخبار في أحيان كثيرة مسوغاً لإدراج الشعر الذي لم تبق منه أيدي الناسخين وذوائقهم غير (العيون)<sup>١</sup>، بما لا يدع مجالاً للشك بأن كتاب (طوق الحمامة) ينهل من حياة صاحبه بغير حدود، ساعياً إلى تدوين العديد من وقائعها العاطفية، والسياسية، والاجتماعية، ليكون، بذلك، سفرًا نلمح من خلاله سيرة صاحبه فهو "من بعض

نواحيه" ترجمة ذاتية" تصور شجاعة صاحبها في الحديث عن نفسه وعن مجتمعه، كما تدل على نوع دقيق من الاستبطان النفسي، ومن دراسة عارضة لنفسيات الآخرين<sup>٢</sup>. كما نلمح من خلال هذه السيرة حياة طبقة اجتماعية بعينها، عاش ابن حزم في كنفها وخبر دواخلها واطلع على أسرارها، منذ أول تربيته في حجور النساء اللاتي علمنه القرآن، ورويته كثيراً من الأشعار ودرّبته على الخط، فلأزمهن زمناً طويلاً مستمعاً منهن الأخبار بما هيا له معرفة واسعة بعالمهن، وهي المعرفة التي شكلت مادة أساساً من مواد الكتاب، مثلما نرصد تقلب الزمان على صاحبه مع تبدل السياسة وتغير أحوالها في اندلس القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث تبدو أحوال ابن حزم مرآة لانعكاس الحياة السياسية، كما يبدو كتابه سجلاً لبعض منعطفاتها، وربما كان للسياسي دور مؤثر في صياغة كل من العاطفي والاجتماعي وتوجيه حضورهما داخل الكتاب، فالطبيعة الموسرة لنشأة ابن حزم ابننا لوزير الحاجب الأول المنصور تيسر أبي عامر، ومن بعده وزير الحاجب الثاني المظفر عبد الملك بن أبي عامر، هيات له تربية خاصة ونعت فيه ذوقاً ترك أثره ملحوظاً في الكتاب، لا بطبسيته الموضوعية فحسب، بل بالطبقة الاجتماعية التي عمل على رصدها وتدوين بعض تفاصيل حياتها<sup>٣</sup>، ومنحته فرصة الاقتراب من مصدر

الحدث ومعاينة ظلاله الاجتماعية، وقد عمل ذلك على توجيه سرد (طوق الحمامة) لاستدعاء قيمه الخاصة والاحتكام إلى قوانينه في ظل ستراتيجية (سرد السيرة)، على الرغم من كونه لا يقدم سيرة تنشغل بال (أنا) وتنصرف على نحو كلي لاستعادة تجاربها، وإن كان "ينهض من حيث المرجعية على أنا بعينها، لها وجودها المشخص وكيانها الحي، وهويتها المميزة ومنجزها المعروف"<sup>11</sup>، لكنها ترصد ضمن منظور عام من دون أن يفقدها ذلك حضورها ويؤثر في رغبتها بالانشغال بتجاربها "في خضم تاريخ جمعي تتحرك في إطاره وتتشكل ضمن إيقاعه ونبضه"<sup>12</sup>، مثلما يعمل على توجيهها توجيهها نزاعيا بين ما يسعى إلى قوله وما قاله السرد العربي من قبل مشكلا قيمه ومحتكما إلى قوانينه، فإذا كان السرد قد ارتبط في الذهنية العربية بأدب السوقه والأباطيل، بما يجيب عن عدم اعتناء العرب به وعدم إيلائه درجة من الاهتمام تقابل مركزية الشعر في الثقافة الكلاسيكية"<sup>13</sup>، فإننا نلاحظ المسلك الخاص الذي يعتمد عليه كتاب (طوق الحمامة) في تنظيم وحداته وإنتاج قيمه من خلال مقتربات تلتقي في فضاء الاسناد وتتفرق عنه، بما ينقل أخبار الكتاب من سرد العوام الذي يفتقر "إلى مدلول ثقافي يسند مدلوله اللغوي"<sup>14</sup>، وهو يشكل المادة الأولى للسرد العربي، إلى سرد الخصائص من خلال لركانه الثلاثة: الراوي والمروي له، فالراوي هو ابن حزم نفسه، العالم الفقيه صاحب المكانة المعروفة، يستغرق حضوره الشخصي الكتاب تبعا لما يكون بينه وبين المروي له من مكاتبة وطلب واستجابة. إن تقارب الرتبة بين الراوي والمروي والمروي له يحرك السرد ضمن دائرة شبه مغلقة ينبعث فيها من الذات إلى خدينها، حيث يشكل الآخر بعضاً من تاريخ الذات، وهو يتحرك ضمن مساحتها، ويشهد على تحولاتها، بما يرفع عنها الشعور بالكلفة أو الخشية أو التصنع الذي يمكن أن يخالجها في حال مخاطبتها من هو أعلى منها، لتمنع، عندئذ، مجالاً متسعاً للحركة والاختيار، وتؤمن لسردها مدلولاً ثقافياً يحافظ فيه على امتياز الطبقية وسلوكه الأخلاقي ونظريته الحكمية بما يسند مدلوله اللغوي، فلم يجد ابن حزم حاجة لابتكار أبي الفتح آخر أو شهرزاد أخرى ينوب أو تنوب عنه في

توجيه القول ورواية الأخبار، فالأخبار تستند إلى صاحبها مكتفية بما عاش وعرف وشاهد وسمع وتستمد من علته ومما عرف عنه مصداقيتها، مثلما تستمد من شهرة من تروي عنهم خصوصية عالمها، فلا مكذب ولا لحوص ولا محتالين ولا سحرة ولا منجان، بل عالم من رياش أسدل عليه ستار الراحة والرخاء وازدانت مقاصيره بالجواري والرياحسين، يتحول مع تحول السياسة وتبدل أزمانها، الأمر الذي يحرك المروي له في الفضاء الشخصي للراوي، فالروي يدون ما عاشه ابن حزم على نحو مباشر، وما سمعه من أصحاب له ثقات، نافضا عن كاهله مسؤولية أن يؤسس "فضاء غريباً له جانبية وحجمه وفتيته"<sup>15</sup> بهدف إيقاع القارئ في غواية السرد، إن صدقية مروي (طوق الحمامة) أهم مما يمكن أن ينطوي عليه من عجائبية تنفع أخباره من الرئي والعيش إلى التخيل مما يقلل من واقعية ما يروي ويغيب سمة التجربة الانسانية عنه، مثلما يحرم الكتاب من أحد تطلعاته المؤثرة في نشدان حياة صاحبه التي تعد محاولة إحيائها واستعادة بعض من فصولها، ولو عبر عالم من الكلمات هففة وغايتها.

إن شعوراً واضحاً بالفقد والاعترا ب يخطو جنباً إلى جنب مع أخبار الكتاب وحكاياته حتى ليصبح ظللاً لها، وقد يتواسج معها فيبدو، عندئذ، مسوغاً من مسوغات التفات المؤلف لموضوعه وسبباً في الاستجابة لطلب تأليفه، ليدون ابن حزم في (طوق الحمامة) سيرة اعترا به عن مكانه وزمانه مصرحاً بهذا الاعترا ب مرة ولمنحاً مرة أخرى، وهو في اعترا به يحقق لكتابه اعترا باً نوعياً يمكننا أن نحدد بالنظر لفاعلية العلاقة بين أركان العملية السردية بعضاً من سماته ونؤشر تطلعه لإنجاز جانب من حياة صاحبه وسيرة اعترا به وهو يؤدي دور الراوي وينمي علاقة مؤثرة بين كل من المروي والمروي له، ضمن رصد عام لحياة الأندلس ومتغيراتها، يعنى به على نحو تفصيلي ويؤسس من خلاله معارفه وتجاربـه وأنماط خبرته مما يتعدى ثبات النوع وسجن خصائصه لا جترأع نوع غير مفصيح عنه، يظل مغيباً تحت حيزة النوع الأول، فالنوع حيز يوضع بداخله الكتاب، كما لو كان يرتب بين كثير من الكتب، وفي ترتيبه هذا

نسيان له وتغيب من دون أن يغير هذا الترتيب من طبيعته أو يعمل على إعادة تنظيم وحسدهاته، وهو ما منح كتاب (طوق الحمامة) خصوصيته بين كتب الحب، ففي الوقت الذي يشير أبو بكر محمد بن داود الاصبهاني (٢٥٥/٢٩٧هـ - ٨٦٨ - ٩١٠م) في مقدمة كتابه (الزهرة) إلى أنه "اقتصر على القليل من الاخبار، لأنها قد كثرت في أيدي الناس، فقل من يستفيدها"<sup>(١)</sup>، يشير ابن حزم إلى التزامه "الوقوف عند حدك، والاقتصار على ما رأيت، أو صح عندي بنقل الثقات، ودعني من اخبار الاعراب والمتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا"<sup>(٢)</sup>، والفرق واسع بين النهجين، على ما بينهما من تقارب واتفاق في عدم اعتماد الاخبار السابقة عليهما، فأبو بكر يقتصر في كتابه على القليل من الاخبار لشيوعها بين الناس، مما يسوغ كون كتابه (الزهرة) لنموذجاً في الاختيارات الشعرية التي تنشغل بموضوع معين ينقسم على ابواب، ويدون ابن حزم في كل باب من ابواب كتابه طيفاً واسعاً من الاخبار لتحديد خصوصيتها بتجربته الشخصية التي تعد مركزاً لانتظام الاخبار وتواليها وغايته في ذلك "رسم صورة واقعية من حياته هو ومن حياة الناس ببلده حول موضوع واحد هو "الحب"<sup>(٣)</sup>.

فخير أبي بكر مستبعد ومتروك لعمومه وذيوعه، خير يتقدم فيه الموضوعي على الذاتي فيتناقله (الآخر) على اختلاف طبقاته جزءاً من مروياته وأسماره وبعضاً من ثقافته، وخير ابن حزم مقرب ومذكور لخصوصيته وارتباطه بسيرة صاحبه، خير يتقدم فيه الذاتي على الموضوعي فتستحضر (الذات) بعضاً من طبيعته وجزءاً من سيرتها، وهي انما تسعى بتوثيقه وإعلانه والاحتفاء به لتوثيق حياتها واستعادة وجد عزيز من تجاربها.

### التجربة بين النثر والشعر:

يعمل التصور السابق على خلخلة هوية الكتاب، مثلما يؤثر في إمكانية تجنيسه تبعاً لفاعلية وحداته وهي تنقسم انقساماً شكلياً بين نثر وشعر، ليخرجه من مؤلفات (الاغراض الشعرية) التي حددها الدكتور أحمد جاسم النجدي في كتابه (منهج البحث الادبي عند العرب)، فلم يكن الغرض الشعري لدى ابن حزم "أساساً من أسس التحديد"<sup>(٤)</sup> إذ تأخر الشعر عبر محاولة

الكتاب رصد التجربة الشخصية لصاحبه والانشغال بحياة الاندلس والاندلسيين والاحاطة بجانب مؤثر من جوانبها، حتى غداً تابعا لتبوع. دافعاً النثر، متمثلاً بوحدهاته الخيرية، إلى مقدمة الاهتمام، ومرد ذلك إلى علاقة كل منهما بالمعنى، إذ يظل جلاء المعنى ووضوحه هماً من اهداف الكتاب، ولكل من النثر والشعر طريق مخالف للآخر للوصول إلى المعنى، كما يؤكد أبو اسحق الصابي في معانيته طريق الاحسان في منثور الكلام ومنظومه "لأن أفخر الترسل هو ما وضع معناه وأفخر الشعر ما غمض قلم يعطك عرضه الا بعد مماطلة منه لك، وعرض منك عليه"<sup>(٥)</sup>. فالشعر يخضع بناءً على ذلك لإرادة النثر في توجههما لإنجاز هدف الكتاب وتحقيق غايته في تقديم صورة (واقعية) عن حياة صاحبه، تسهم كفاية النثر ووثائقيته بإنجاز هذه الصورة أكثر مما يكون بمقدور استعارية الشعر ومجازيته ان تحققها، بما لا يلقي دور الشعر، على الرغم مما يحدد له من موقع ثانوي، ولا يقصر من مهمته في "تحويل التجربة النثرية إلى حقيقة شعرية، حيث يخوض القارئ الآفاق المتعددة للتجربة الواحدة"<sup>(٦)</sup>، مما يلاحظ على نحو خاص في سعي الخبر إلى تأكيد العلاقة بين تجربتين الواقعية والإبداعية، والعمل على تقديم الثانية بوصفها لنموذجاً قادراً على استعادة الاولى وتنظيم حضورها داخل الكتاب، فتكون، بذلك، باباً للدخول إلى تفاصيل التجربة الواقعية والتقاط سماتها والوقوف على خصائصها من خلال العناية بأركان الخبر والاهتمام بمقوماته البنائية، لتظل (الآفاق متعددة للتجربة الواحدة) غاية من غايات العناية بالشعر، فمن الممكن ان يقول النثر كلمة الكتاب ويضيء اهدافه المعلنة منها وغير المعلنة، لكن ذلك لن يؤدي إلى اكتمال تجربته الجمالية في سعيها لخوض غمار الشعر والتفوق فيه إلى جانب النثر، كما سينقص من قدرة صاحبه ويقلل من أهميته في إحدى (الصناعتين)، بما يقارب بين التجربتين ويكشف عن قوة العلاقة بينهما وهما يتوجهان لتنظيم الصلة بين (التأريخي)، خصوصاً تاريخ دولة الاندلس، فيبدو ابن حزم مشغولاً بوقائعها وتحولاتها، وأثر هذه الوقائع والتحولات في نفسه وبيئته، وبين (الإبداعي)، ليمثل الكتاب، في إحدى خلاصاته المؤثرة، وجهاً من

وجود السيرة الشخصية لمؤلفه ووجهها من وجود اغترابه، مثلما يمثل شهادة ناصعة لجانب من علاقة المثقف بالسلطة في حالي قربه منها وإقصائه عنها، فهل يبدو الحب، بعد ذلك، غاية الكتاب وهدفه الاثير...؟

يعلن ابن حزم في تمهيد الكتاب سبب التأليف، وهو إجابته طلب صديق عزيز عليه وفي له كلفه أن يصنف له رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه، وهو مع موافقته يعلن تحفظه على الخوض في مثل هذا الموضوع عادةً إياه من اللغو "والأول بسنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رجب القلب"<sup>(٣)</sup>، لكنه يواصل على الرغم من تحفظه تقليب وجوه الموضوع في ثلاثين باباً، مبتدئاً ببعض من اقوال الصالحين تدعو لحسن التفتي في سبيل حسن التوقي، مثلما تدعو لإراحة النفوس "فإنها تصداً كما يصدا الحديد"<sup>(٤)</sup>، فهل تكفي مثل هاتين الدعوتين، إضافة إلى إجابة طلب الصديق، لتعيل إنشغاله بموضوع الحب وهو الفقيه الورع والعالم المعروف...؟

يمكن أن نعد ما تقدم أسبانياً (موضوعية) يقدمها ابن حزم في أول كتابه مراعياً أصول التأليف وأخلاقياته التي تتوجه لتنظيم العلاقة بين المؤلف والقارئ في ميثاق معلوم، إذ يتطلب وجود التمهيد إجابة عن أسئلة عدة من بينها سبب التأليف، أو أسبابه، من دون أن تكون الأسباب المذكورة أسباباً نهائية، ليس من سواها في تسويغ تأليف الكتاب، وهو ما يدعو للبحث في الأسباب التي يمكن أن يشير إليها الكتاب على نحو مباشر، إشارة صريحة معلنة خارج حدود التمهيد وأصوله وأخلاقياته، مثلما يمكن أن يكشفها على نحو غير مباشر عبر منهجية التأليف، وطريقته، وأسلوب تنظيم وحداته، وهي تعمل على تدوين أسبابها في كلمة لا تقل فصاحة عن سابقاتها وإن كانت أقل وضوحاً منها.

ويمكن ملاحظة ارتفاع نبرة العنبن إلى ما كان وظهورها على صوت المؤلف، والعمل على استعادة حياة منقضية عبر أكثر عواطفها رقة وأقربها إلى التمتع والرخاء استعادة جمالية تنحو نحو المكاشفة والتوثيق، ولا سيما أن الكتاب ينجز بعد زمان من (نبسو الديار، والجلء عن الاوطان، وتغول الزمان، ونكبات

السلطان، وتغير الاخوان، وفساد الاحوال، وتبدل الأيام، وذهاب الوفر، والخروج عن الطارف والتالد، واقتطاع مكاسب الآباء، والأجداد، والغربة في البلاد، وذهاب المال والجاء، والفكر في صيانة الاهل، والولد، واليأس عن الرجوع إلى موضع الاهل، ومدافعة الدهر، وانتظار الاقدار)<sup>(٥)</sup>، الأمر الذي يدفع إلى تميز الأخبصار الخاصة بابن حزم تميزاً بنائياً من سواها من اخبار الاندلس والاندلسيين أو الأخبار العامة كما سندرسها على نحو تفصيلي، إلى جانب تقديم الأخبار نفسها، في نزاع النثر والشعر، لتشغل موقعاً مركزياً في منهجية الكتاب، ولتعد الوحدة الأساس التي يستند إليها بناؤه وتتشكل من خلالها رؤياه. فهل يمكن أن تكشف هيمنة الخبر فضلاً عن علاقته بالشعر، أو علاقة الشعر به، عن أسباب آخر تعلن مسؤوليتها عن تأليف الكتاب والانشغال بموضوعه...؟

### مهمتنا الشعر:

لقد انيطت بالشعر، في عملية تأليف الكتاب وتنظيم عمل وحداته، مهمتان أساسان تستمدان فاعليتهما من وضوح الصلة بين النثري والشعري أولاً، ومن السياسة التي توجه حضورهما داخل الكتاب ثانياً، وهما:

١. إعادة إنتاج التجارب النثرية.

(أو)

٢. التعليق عليها.

ولا يؤدي النص الشعري داخل (طوق الحمامة) سوى مهمة واحدة، إعادة إنتاج (أو) تعليق، وتغيب المهمة الثانية حال توجه النص الشعري لإحداهما، فالشعر بطبيعته لا يراهن على لغة الموضوع ولا يلتصق به في محاولة إنتاجه نصاً أدبياً قادراً على كشف أبعاد الواقعة الحياتية وإضاءة أعماقها ولما يعمل على إنتاج معناه الخاص بما يمثل إعادة إنتاج للتجارب النثرية أو مناسبة للتعليق عليها، وهو يقترح في المهمتين مسافة فاصلة تبعده عن الواقعة وتقلل من إنشغاله بالتجربة وتفصيلاتها، على العكس من النثر الذي يكون قريباً إلى درجة كبيرة منها، ويمكن الإشارة إلى الفرق في تلقي الواقعة وإعادة إنتاجها بين كل من النثر والشعر تبعاً لعلاقة الواقعة بالتاريخ أو موقعها منه،

فالخبر يتوجه للواقعة بوصفها حدثاً ضمن تاريخ معلوم، يعمل ابن حزم في أحيان كثيرة على كشف موقعه في تاريخ الأندلس، لا على سبيل تأكيد مصداقية ما يروي من أخبار فذلك أمر محكوم بشخصية المؤلف وتميزه بالصدق والأمانة في ما عرّف من تأليفه، بل لتحديد بعض من فصول سيرته والربط بين تحولاته الشخصية وتغير الأحوال السياسية في البلاد، بما يعلل اعتماد التاريخ بشكله التفصيلي عبر ذكر السنة والشهر وأحياناً اليوم داخل بعض الأخبار الخاصة بالمؤلف وغيابه عن سواها، مثلما يُشار إلى توجه النص الشعري إلى التجربة الخيرية بهدف معاينة الواقعة، فالخبر يتميز بتوجهه توجهاً مباشراً للواقعة، أما الشعر فيتأكد في توجهه لتجربة الخبر في سبيل التقاط الواقعة والوقوف على بعض تفاصيلها، كما في المثالين الآتيين:

يقدم ابن حزم في (باب الرقيب) خبراً يعمل على التقاط تفاصيل الواقعة ابتداءً من علاقته الشخصية المباشرة بالموضوع، فهو لا يكتفي بكونه راوياً مجرداً، بل يعمل على ذكر وسيلة إحاطته بالواقعة ومعرفة لها من خلال المشاهدة، بما يعزز موقعه منها، لينتقل إلى (المكان) الذي يرتبط ارتباطاً عضوياً بموضوع الباب، فالرقيب والمراقبة لا يكونان إلا بالتسلل إلى عزلة العاشقين وخلخلة توحيدهما وانفرادهما لتستحيل الخلوة إلى مكان عام يصعب فيه البوح وبث الشكوى، لنلاحظ من جديد حيوية موقع الراوي الذي ينتقل من دور المشاهد السلبي إلى مشارك يعدل الرقيب إليه ويطليل الجلوس معه، وهي مناسبة لمعاينة حال العاشق، رصده والتطلع إليه، بعد الانتقال بالخطاب إلى (المخاطب) الذي توجه نحوه رسالة الخبر:

"ولقد شاهدت يوماً محبين، في مكان قد ظننا أنهما انفردا فيه، وتأهباً للشكوى، فاستحليا ما هما فيه من الخلوة، ولم يكن الموضع حمى، فلم يلبثا أن طلع عليهما من كانا يستثقلا منه فرآني، فعدل إلي، وأطال الجلوس معي، فلو رأيت الفتى الحب، وقد تمازج الأسف البادي على وجهه مع الغضب، لرأيت عجباً"<sup>١٣٤</sup>.

يعمل الشعر على إعادة إنتاج ما تقدم بعد عتبة نثرية تنظم العلاقة فيها بين الشعر والنثر، وتوطد الصلة بين محمول كل منهما، على الرغم من عدم ذكر القطعة الشعرية كاملة، بحسب

تصريح المؤلف، والاكتفاء ببيتين منها ينشغلان بالرقيب وحاله من وجهة نظر العاشق الذي يروي البيتين على لسانه وهما يسعيان لترجمة مشاعره وكشف عواطفه:

"وفي ذلك أقول قطعة، منها:

يطيل جلوساً وهو أثقل جالس

ويبدي حديثاً لست أرى فنونه

شمام ورضوى والمكام ويدبل

ولبنان والصنمان والحرب دونه"<sup>١٣٥</sup>.

يمكن ملاحظة العلاقة بين الخبر والنص الشعري في النقاط الآتية:

١. تطابق التجربة بين الخبر والنص الشعري.
٢. تطابق الشخصيات بين الخبر والنص الشعري، على الرغم من اكتفاء النص الشعري بشخصيتي العاشق والرقيب من بين شخصيات الخبر الأربع: العاشق، والمعشوق، والراوي، والرقيب، بما يؤكد اهتمامه بإعادة إنتاج الموقف والانشغال بمعنى الحدث عبر ما يؤديه الشعر من تمثيل يركز على الجانب الشعوري الذي تنطوي عليه الواقعة.
٣. تباين الضمير بين الخبر والنص الشعري، بما يمنح كلا منهما شخصيته الموضوعية على الرغم من انشغالهما بواقعة واحدة.
٤. تباين الزمن بين الخبر والنص الشعري، على الرغم من اقتراب حاضر الشعر من ماضي النشر ليلتقيا عند نقطة دلالية واحدة.

ويقدم ابن حزم في (باب السفر) خبراً يعتمد إيصال معلومة مباشرة إلى القارئ، والأمر يتطلب افتتاح الخبر بفعل المعرفة من دون تحديد صريح للزمن حيث يتقارب الفعل المضارع (أعرف) مع الماضي الناقص (كانت)، لتتضح المعلومة وتضاء الكيفية التي تعتمد الحمامة من خلالها رسولا بين عاشقين:

((وإني لأعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة، يعقد الكتاب في جناحها))<sup>١٣٦</sup> ليتوجه الشعر للتعليق على الخبر منفصلاً عنه مسافة ملحوظة، بعد عتبة نثرية شبيهة بسابقتها، يلتفت في البيت الأول عن المعنى المباشر للخبر مستذكراً النبي نوحاً (ع) وتخيره للحمامة، ليعلق على تجربة الخبر في البيت الثاني عبر وجهة نظر العاشق الذي لم يرد ذكره

## ثرائية المواقف النصية

تنتظم وحدات الكتاب النثرية والشعرية في علاقات تركيبية تحقق لكل باب من الابواب فاعلية شكلية أو سياقية خاصة به، بحسب كمية الأخبار ونوعية اشتغالها ضمن محاور الوقائع الشخصية لابن حزم، أو الوقائع الاندلسية، حيث يكون ابن حزم في غالب الاحيان مرويًا له، أو الوقائع العامة التي تتباين معها طرائق وأساليب رواية الخبر بحكم تباين طرائق وأساليب وصولها لابن حزم. ويمكن لهذه الفاعلية أن تغيب عن بعض الابواب بغياب الأخبار نفسها مثل (باب الإشارة بالعين) أو (باب المخالفة)، فتغيب عن الباب الاول وحدتا النثر والشعر على السواء، وتغيب الوحدة النثرية عن الثاني ويحضر النص الشعري. تقترح، هذه الفاعلية، ترتيبها الخاص ضمن النظام الكلي للكتاب من دون أن تخرج على هذا النظام في تشكيل أولوياتها، إذ يظل الشعر دائراً في فلك النثر على امتداد الكتاب، مع تغير ترتيب الوحدات النثرية والشعرية لكل باب من أبوابه، أي أن النثر يحقق دعامة يتأسس عليها القول الشعري في مضمار يتغير تغيراً جزئياً عبر تحريك الوحدات الشعرية في ظل مركزية الوحدات النثرية وفاعلية حضورها، إن النثر وهو يشكل علة حضور الشعر وسبب وجوده يقدم في كل مرة جانباً من التجربة ينهض الشعر على استلهاها والحركة ضمن مجالها الزمني، فالقول الشعري يحتكم إلى ما ضوية التجربة التي صيغت في خبر يقوم بالأساس على استعادة واقعة معلومة، لذلك تكون تراكيب لغوية مثل:

- وفي ذلك أقول

- فقلت في ذلك

- وفيه لقول قطعة، منها

- وفيه لقول من قصيدة طويلة

- وفي مثله أقول من كلمة طويلة

إننا بالتحوّل من النثر إلى الشعر، وعتبة لاستعادة التجربة النثرية أو التعليق عليها شعراً، ويمكننا أن نجعل تراتبية المواقف التي تشغلها النصوص الشعرية في الساحة النصية للأخبار في ثلاث نقاط هي:

في الخبر، مزاجاً بين الحماسة والرسائل التي تعقد في قوادمها:  
"وفي ذلك أقول قطعة، منها:

تخيرها نوح، فما خاب ظنه

لديها وجاءت نحوود بالبشائر

سأودعها كتبتي إليك فهاكها

رسائل تهدي في قسودم طائر"<sup>١٧٦</sup>

ويمكن ملاحظة العلاقة بين الخبر والنص الشعري في النقاط الآتية:

١. التباين النسبي للتجربة بين الخبر والنص الشعري.

٢. تباين الشخصيات بين الخبر والنص الشعري.

٣. تباين الضمير بين الخبر والنص الشعري.

٤. تباين الزمان بين الخبر والنص الشعري.

تحدد العلاقة بين الخبر والنص الشعري في كل من المثالين مستويين من مستويات الترابط والاتصال يعتمدان بالأساس على المشاكلة النصية بين كل منهما، وهي تحقق في المثال الاول، إعادة انتاج الوقائع النثرية شعراً، أكثر من تحققها في المثال الثاني، التعليق عليها، ولا سيما ما يتعلق منها بالواقعة نفسها وملاحظة انشغال كل من الخبر والنص الشعري بالتقاطها والوقوف على تفاصيلها، من دون أن ننسى أن المسؤول الاول عن إنتاج الواقعة داخل الكتاب هو الخبر، بتحويلها إلى تجربة نثرية تشير عبر الكيفية التي تصاغ بها، والكمية التي تحملها من المعلومات إلى فاعلية الخبر وقدرته على إنتاج الواقعة في تجربة تغدو حال دخولها الباب وانتظامها في منظومته الخيرية مسؤولة عن إسهام الواقعة في بلورة معنى الباب ومنحه المصادقية التي تؤكد لها الواقعة بوصفها حدثاً تاريخياً، لتتحدد المشاكلة النصية، بعدئذ، بمقدار ما يحقق النص الشعري من تقارب مع الخبر نفسه، ولا سيما ما يتعلق منه بالعناصر السردية من شخصيات، وحدث، وزمان، ومكان، ومن حوار ووصف بدرجة أقل، وهو ما لا يحققه النص الشعري على نحو تفصيلي مع تطلعه لإنتاج تصور الخاص للتجربة من دون اهتمام بالمسافة التي تنشأ بينه وبين الواقعة لينتج، في الغالب، مقارنة غير ملائمة مع الحكايات المروية"<sup>١٧٧</sup>.



١. الموقع الأول: يستحضر الشعر بعد إحدى العتبات النصية المذكورة فور الانتهاء من ذكر الخبر، وهو الموقع الذي تقدم من خلاله جل النصوص الشعرية في استجابتها لإرادة الخير وهو يبدأ وينتهي عند نقطتين معلومتين، وفي محاولتها لتوسيع لفظه وفتح مداه النصي، بما يمثل مناسبة يستعيد فيها ابن حزم الكثير من نصوصه الشعرية مؤكداً إمكانيته في إعادة إنتاج الأخبار، ومن قبلها الوقائع الحياتية، شعراً على اختلاف تجاربها "فالشعر لديه يستطيع أن يستوعب كل شيء، حتى مذهبه الفقهي، وتعاليمه الخلقية"<sup>(١)</sup>، وهو الموقع الأضعف للشعر داخل الكتاب، فليس ثمة وشائج قوية تنظم العلاقة بين الخبر والشعر غير الوشائج الدلالية، بما يمنح الشعر مسوغاً للاشتغال على التجارب الخبرية والانشغال بها، أو بأحد جوانبها، بعد أن ينجز النثر مهمته ويقول كلمته، كما في المثال الآتي:

"واني لأعلم فتى وجارية، كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه، فكانا يضطجعان إذا حضرها أحد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش، ويلتقي رأساهما وراء المسند، ويقبل كل واحد منهما صاحبه ولا يريان، وكأنهما إنما يتمددان من الكلل، ولقد كانا بلافا من تكافئهما في المودة، أمراً عظيماً، إلى أن كان الفتى المحب ربما استطال عليها. وفي ذلك أقول:

ومن أعاجيب الزمان التي

طلعت على السامع والمُـسـاـئـل

رغبة مسركوب إلى راكب

وذلة المسؤل للسائل

وطول مأسور إلى أسير

وصولة المقتول للقاتل

ما إن سمعنا في الوري قبلها

خضوع مأمول إلى أمسل

هل هاهنا وجه تراه سوى

وتواضع المفعول للفاعل...؟"<sup>(٢)</sup>

فالشعر يكتفي بجانب من جوانب التجربة النثرية التي توافرت على عدد من العناصر السردية في إنتاج واقعها وبناء

خبرها من شخصيات، وإن كانت غير معلومة أو مسماة، ومن زمان، وإن كان مؤطرا بالفعل الماضي الناقص، ومن مكان، يبدو واضحاً بحكم وضوح أحد لوازمه (المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش)، ومن حدث يوحد العناصر السردية ويؤمن تواسجها للإبلاغ عن محتوى الخبر الذي يتعدى بمحاولته التعبير عن قوة الرغبة وقدرتها على دفع صاحبها إلى تجاوز الموانع واختراق المحظورات الدلالة المباشرة لـ (باب الوصل) وقد انتظم ضمن أخباره، ليوجه الشعر عنايته إلى جانب واحد من جوانب الحدث عاداً إياه (من أعاجيب الزمان) وهو (رغبة مسركوب إلى راكب) و (ذلة المسؤل للسائل) و (طول مأسور إلى أسير) و (صولة المقتول للقاتل) و (خضوع مأمول إلى أمسل) و (تواضع المفعول للفاعل)، وهي جميعها كنايات عن تسليم الجارية للفتى الذي (ربما استطال عليها)، بما يحدد من فاعلية حضور الشعر ويقلل من قدرته على الارتفاع إلى مستوى الخبر عبر النظر إليه من زاوية واحدة يختارها النص الشعري ليبني تجربته من خلالها، الأمر الذي يتغير مع الموقع الثاني تغيراً شكلياً.

٢. الموقع الثاني: يقطع الشعر، بعد إحدى العتبات المذكورة، مجرى الخبر، ثم تتواصل الحركة السردية للخبر بسعد انتهاء النص الشعري ويستمر تصاعد حدثه، فعلى الرغم مما ينشئه هذا الموقع من تواسج بين الشعر والنثر، يظل تأثير الأول محدوداً لا يحال مجرى الخبر ولا يغير من أهدافه ومقاصده، بل ينتقل بموقعه النصي من آخر الخبر كما في الموقع الأول إلى نقطة مختارة في متحنى حركته لينشغل بالتعليق على تفصيل محدد من تفصيلاته، وقد يكتفي بتفصيل واحد فيقطع انسياب الخبر في نقطة معينة، أو يمتد لأكثر من تفصيل فيتكرر عندئذ قطع الخبر في أكثر من نقطة، يبدو هذا الموقع أكثر رقياً من سابقه فهو فضلاً عن مواشجته بين النثر والشعر يعمل على تقطيع الخبر للحد من امتداد مساحته النصية، مثلما يعمل على التنويع بين الشعراء إلى جانب النصوص الشعرية لصاحب الكتاب، كما في أبيات عبد الرحمن بن سليمان البلوي في أحد أخبار (باب الهجر)<sup>(٣)</sup>، أو في أبيات العباس بن الأحنف في خبر

(تعم) ضمن (باب السلو) <sup>(١١)</sup>، ويمكن معاينة أحد نماذج هذا الموقع كما في المثال الآتي:

"وإني لأعرف جارية اشتد وجدها بفتى من أبناء الرؤساء، وهو لا علم عنده، وكثر غمها وطال أسفها، إلى أن ضنيت بحبه، وهو بفرارة الصبي لا يشعر، ويمنعها من إبداء أمرها إليه الحياء منه، لأنها كانت بكرًا بخاتمها، مع الإجلال له عن الهجوم عليه بما لا تدري لعله لا يوافق. فلما تمادى الأمر، وكانا الفين في النشأة، شكت ذلك إلى امرأة جزلة الرأي، كانت تثق بها لتوليها تربيته، فقالت لها:

عرضي له بالشعر، ففعلت المرة بعد المرة وهو لا يأبه في كل هذا. ولقد كان لقنا ذكيا لم يظن ذلك فيميل إلى تنقيش الكلام بوهمه. إلى أن عيل صبرها، وضاق صدرها، ولم تمسك نفسها في فعدة كانت لها معه في بعض الليالي منفردين، ولقد كان يعلم الله عفيفا متصاونا بعيدا عن المعاصي، فلما حان قيامها عنه بدرت إليه فقبلته في فمه، ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه بكلمة، وهي تتهادى في مشيها، كما أقول في أبيات لي:

كأنها حين تخطو في تأودها

قضيبت ترجسة في الروض مناس

كأنما خللها في قلب عاشقها

ففيه من وقسها خطر ووسواس

كأنما مشيتها مشي الحمامة لا

كأن يعاب ولا يبطء به بسان

فنبهت وسقط في يده، وفت في عضده، ووجد في كبده وعلته وجمة، فما هو إلا أن غابت عنه، ووقع شرك الردى، واشتعلت في قلبه النار وتصغنت أنفاسه، وترادفت أوجاله وكثر قلقه، وطال أرقه، فما غمض نأث الليلة عينا، وكان هذا بسوء الحب بينهما دهرًا، إلى أن جذت جملة هذا النوى، وإن هذا لمن مصائد إبليس، ودواعي الهوى التي لا يقف لها أحد، إلا من عصمه الله عز وجل. <sup>(١٢)</sup>

ينجز الخبر مهمته في إضاءة الواقعة ومتابعة مختلف تفاصيلها، ما يتعلق منها بالشخصيتين الرئيسيتين، غير المذكورتين الاسمين، والمعرفتين بحسب وظيفتهما وموقعيهما

الاجتماعيين: جارية وفتى من أبناء الرؤساء، وبحسب ما يتطلبه انجاز الواقعة من صفات خاصة بكل منهما يقدمها السرد عبر ما يدلي به من تعالق سببي: الجارية حيية (لأنها) كانت بكرًا بخاتمها، تجل الفتى، والفتى لا يشعر (لأنه) بفرارة الصبي، وهما (معًا) كانا الفين في النشأة، ليقدّم الخبر في إشارة من إشارات تفوقه السردى إرصاداً لما سيقع من حدث لاحق عبر جملة توجه توجيها فكريا فتبدو، أول وهلة، غريبة على السياق، نابية عنه، وهو يصرح بعدم رغبة الجارية ب (الهجوم) على الفتى، لكنه الفعل الذي سيقع بعد مسافة سردية معلومة فيحقق الإرصاد إشارته وينجز السرد تقدمه باعتماد تقنية تطور أسلوب رواية الخبر وتزيد من تركيبه، حتى دخول المساعد: امرأة جزلة الرأي، ذات علاقة خاصة بالجارية، تثق بها لتوليها تربيته، ووقوع المساعدة عبر اقتراح التعريض بالشعر الذي لم يؤد نتيجة تذكر بسبب عدم ذهاب الظن بالفتى، ليتحول الحدث بإقدام الجارية على تقبيل الفتى، ولينشغل السرد، بعدها، بحال الفتى ومعاينة أوصافه بتأثير من اشتغال النار في قلبه، ولتؤدي الوحدات الزمنية، من جانب آخر، دورها في كشف الواقعة وملاحظة منتهى، فلم يستغرق سريان الحب في صدر الفتى سوى (ليلة)، وهي الليلة التي كانت بداية لعلاقة امتدت بينهما (دهراً)، لينتهي الخبر نهايتين:

الاولى: داخلية، تنبع من الخبر نفسه وتنظم علاقته بالباب الذي يكون فيه، وهي نهاية عضوية يكتمل بها السرد وتغلق بالوصول إليها دائرته، فافتراق المحبين بعد (أن جذت جملة هذا النوى) فعل ينجز مهمة الخبر ويصل به إلى نقطة لا يتحرك بعدها.

الثانية: خارجية، ترتبط بالمؤلف نفسه وتشير لخلق وثقافته ومعتقداته (وإن هذا لمن مصائد إبليس، ودواعي الهوى التي لا يقف لها أحد إلا من عصمه الله عز وجل)، وهي نهاية وعظمية ينتقل من خلالها المؤلف من موقع الراوي إلى موقع الموجه، مستعيداً صوت العليم صاحب الخبرة الذي يفتتح بعلمه وخبرته أبواب الكتاب، وهذه النهاية، بحكم خارجيتها، لا تتدخل بمجرى السرد ولا تنبثق عنه ولا تؤثر فيه.

من خلال المعايينة السردية للخبر وملاحظة اكتماله بذاته، يمكن الإشارة إلى الدور الوظيفي الثانوي الذي يؤديه الشعر وهو يقطع مجرى السرد بعقبة تعمل على تشبيه وجه واحد من وجوه الخبر، تهادي الجارية في مشيها بعد أن قبلت الفتى، والمقطع لا يكتفي بـ (كاف) التشبيه في عتبه (كما أقول في أبيات لي)، بل يتكرر على امتداد القول الشعري فاتحة لكل بيت من أبياته الثلاثة: كأنها حين تخطو، كأنها خلدها، كأنما مشيها، بما يشير لاعتباطية النقطة التي يوقف السرد عندها، وهو إيقاف ربما دعا إليه حضور النص الشعري وتطابقه مع أحد أوجه الخبر.

إن ما ينتج من تنويع جراء التجسُّول من النثر إلى الشعر والعودة إلى النثر مرة أخرى، هو تنويع شكلي يوسع المساحة الجمالية للخبر في تشكُّله النصي من غير أن يضيف ما يخدم حركة وحداته ويسهم بتلاحم عناصره أو تطور مجرى حدثه وينتقل به من حال إلى حال، بعكس الموقع الثالث الذي يحقق الشعر فيه تقدماً على الصعيدين الشكلي والوظيفي.

٢. الموقع الثالث: يقترح الشعر، بعد إحدى العتبات المذكورة، صلة أكثر قوة بالخبر وتشد وضوحاً، وهو الموقع الذي تغيب المسافة فيه بين النثر والشعر، أو تكاد، لينشأ نوع من التقارب الوظيفي بين كل منهما، إذ ينشد الشعر وظيفة تقترب من وظيفة النثر نفسه وهو ينقل خبراً معيناً ويضيء واقعة معلومة، وهو بالنتيجة أرقى المواقع الثلاثة وأكثرها تلاحماً بين جانبي النص الشعري الشكلي والوظيفي، وذلك متأت من وضوح دور المؤلف الذي يكون حاضراً داخل الخبر، بما يفسر هيمنة هذا الموقع على الأخبار الخاصة بأبن حزم، كما ستدرس لاحقاً، فيصعب انفصال ابن حزم الشاعر عن ابن حزم الناثر، وإن عمل الأخير على رصد وتوجيه طيف واسع من الأخبار على اختلاف آفاقها، خاصة وعامة، أندلسية وغير أندلسية، معاصرة لمؤلفها وغير معاصرة، وقد يتعلق الخبر بالتجربة الشعرية نفسها فينشغل النثر عندئذ باستعادة هذه التجربة بوصفها خبراً شخصياً يتطابق بمنتهجه الشعري مع هدف الباب وغايته، كما في المثال الآتي من (باب فضل التعطف):

"وإني أذكر أنني دُعيت إلى مجلس، فيه بعض من تستحسن الأبصار صورته، وتألف القلوب أخلاقه، للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه، فسارعت إليه وكان هذا سحراً، فبعد أن صليت الصبح، وأخذت زيني، طرقتني فكر، فسنحت لي أبيات، ومعني رجل من إخواني فقال لي: ما هذا الإطراق...؟ فلم أجبه حتى أكملتها، ثم كتبتها ودفعتها إليه، وأمسكت عن السير حيث كنت نويت. ومن الأبيات:

أراقك حسن غيبه لك تأريق

وتريد وصل سره فيك تحريق

وقرب مزار يقتضي لك فرقه

وشيكا ولولا القرب لم يك تفريق

ولذ طعم معقب لك علقما

وصابا، وفسخ في تضاعيفه ضيق"<sup>(١)</sup>

يتجلى ما بين النثر والشعر من رابط موسوعي لا يقف عند حدود الباب وما يفترضه من تقارب وتمثيل في كل منهما، بل بما يقارب بين التجربتين ويعمل على توحيدهما حتى ليشكلا تجربة واحدة تتحرك من النثري إلى الشعري في مواجهة موضوعها والتعبير عن أبعادها الشعورية، فيكون فعل إنجاز النص الشعري بديلاً عن فعل الخبر الذي اقتطع نتيجة لما طرقت من فكر، مثلاً يكون مكملًا لمعناه، إن مناسبة المقام تتعدى مناسبة القصيدة لتخلق نوعاً من التلاحم بين النثري والشعري، الوجه الذي يمكن أن نجد له صورة أخرى عبر (تكليف) ابن حزم أن يقول شيئاً في مناسبة الخبر كما في (باب قبح المعصية)<sup>(٢)</sup>، بما يقارب بين تجربتي الخبر والنص الشعري وهما ينظران إلى جهة واحدة، والمؤلف، على العموم، شاهد من شهد الواقعة مثلاً هو راويها نثراً ومعيد إنتاجها شعراً. ومما يذكر في هذا الموقع سعي المؤلف للتدخل شعراً بين عاشقين، كما في الخبر الآتي:

"وإني لأعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد، وقد بلغ بها حب فتى من إخواني جداً من أبناء الكتاب، مبلغ هيجان المرار الأسود وكادت تختلط، واشتهر الأمر وشاع جداً حتى علمناه وعلمه الأباعد، إلى أن تدوركت بالعلاج. وهذا لما يتولد عن إدمان الفكر، فإذا غلبت الفكرة، وتمكن

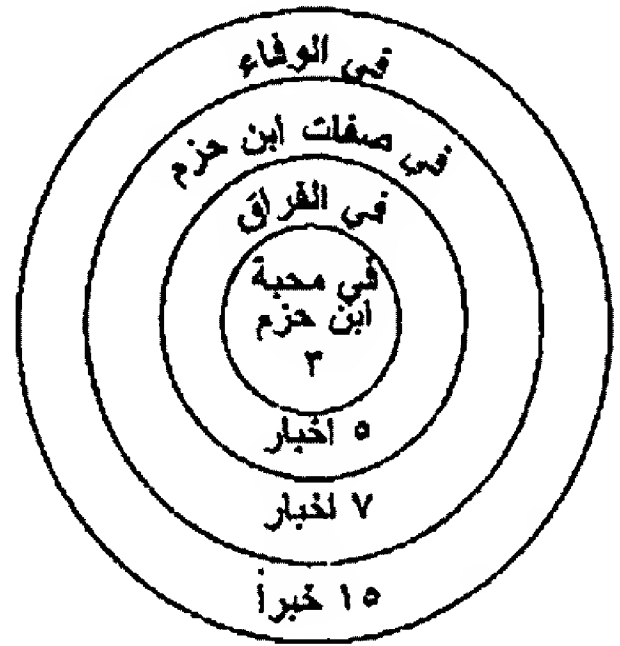
১.০.১ - পূর্ণিমা

لتبدو السيرة في مرآة أخبارها وبحكم انتظام هذه الأخبار داخل المنظومة الخبرية للكتاب أسيرة موقفين متضادين: موقف الكشف والإعلان وموقف السر والإخفاء، وهما يتنازعان تاريخ صاحب الكتاب مثلما يتنازعان سيرته وهي ترتدي (الحب والعشق) نوعاً أدبياً تتكشف من خلاله أوتتخفي فيه، الأمر الذي يؤثر في آلية بناء أخبار ابن حزم على نحو خاص ويجسد على نحو ما علاقة الأخبار بالوقائع المنتقاة ولها طابع صياغتها أولاً، وعلاقتها بتاريخ صاحبها ثانياً، لأن "التاريخ الفردي لا يعود إلا الوقع التمثيلي للسرد أو الحكاية، وليس بعد أصله ومرجعه الأخير"<sup>١</sup>، فابن حزم يدون بعضاً من وقائع ابن حزم ملتفتاً من نفسه إلى سيرته، من حضوره إلى غيابه، من حاضره إلى ماضيه، معلناً انتزاعه، ومؤكداً انقسامه (أو تمرقه) بين صورتين تؤدي أخبار الأندلس والأخبار العامة وظيفته مهمة في المقاربة بينهما وفي التهيئة لتداخلهما.

إن الالتفات من الحاضر إلى الماضي لا يشكل انفصالاً عن الزمن الراهن وهجاء له، أو رثاء للذات عبر رثاء حاضرها فحسب بل إن الالتفات مسؤول عن المقارنة بين لحظتين تاريخيتين عبر المؤلف والمجاورة بينهما للوصول إلى لحظة ثالثة عميقة التأثير هي لحظة التفكير والتأمل والمراجعة، مثلما يكون هذا الالتفات عبر الكتابة فعل تعلقة للزمن في سبيل الذهاب إلى هدف لا يتحقق إلا بكسر الحدود الزمنية والخروج عليها، فمن لحظة القيمة راهنة يستعيد ابن حزم لحظات الذروة في حياة منفلتة ناشداً المستقبل بحيث يمكن لكتابته أن تتحقق بأفعال قراءة ناجزة لا يكون فيها ظلاً متماهياً مع ظلال عسرات الكتاب العرب الذين انجزوا مدوناتهم في (الحب والعشق)، ولا صوتاً ذاتياً بين أصواتهم، بل يمكن أن ينجز بالتفاتته إنصاتها للذات، وإقامة مجازية لها في زمانها الخاص. إنه يكتب ذاته، بمعنى ما، معيداً تشكيلها بما ينتج من معايير كتابية ونظم خبرية لا تنفلت عن مرجعها ولا تمحو صلتها مع وقائع حياة صاحبها فهي تعمل بهما، بالرجع والوقائع، ومن خلالهما على نقض الحاضر والحد من قدرته على إعادة ترتيب العالم، حيث يكون مركز الأمس، بفعل تحولات الحدث السياسي، هامشاً مقصياً من هوامش اليوم.

وحاشية ممحوة على متن الحياة الأندلسية. إن ابن حزم يخوض عبر إنجاز (طوق الحمامة) حربه الخاصة على ميدانه الخاص، مؤمناً لوجوده إمكانية التواصل والاستمرار بما تحققه الكتابة من تعديل على تراثية زمنية فاهرة يكون فيها الماضي، حلم الذات وفردوسها، حاضراً لا يزول، بما يمكن أن تنجزه هذه الكتابة من استعادة لزمن غائب وتعزيز الإحساس به، فيبدو توزيع الأخبار، خصوصاً الشخصية منها، على النحو الذي يرد في الكتاب محملاً بالدلالة ومشحوناً بالرغبة في استعادة أزمنة الذات المعبرة عن رخائها وفتوتها وسعة ملكها وهو ما لا يتحقق بالتركيز على جانب واحد من المشهد بل بتقديم المشهد كاملاً بما فيه من تضادات وتحولات، من علو إلى انخفاض، ومن قدرة إلى عجز، ومن لقاء إلى فراق، ليواجه المادي بالموضوعي، وتبذل القيم في الميدانين السياسي والتاريخي بثباتها ورفعتها في الميدان الشخصي للمؤلف ورصيد وقائعه مثلما يشفق عنها التوزيع الموضوعي لأخباره، كما في الجدول رقم (٢)، وهو يقدم أخبار الوفاء، ووقائعه على أخبار نشأة المؤلف وصفاته الشخصية، وأخبار الفراق على أخبار وقائع محبته، وفي سلم من القيم التي تكون الذات مركزاً لها، فإذا كان (الحب والعشق) موضوعاً للكتاب، ومسوغاً لاستعادة وقائعه، ومحوراً لأخباره، فإن ابن حزم يعمل على إثبات قيم محبته وما يقاربها وما يدور في فلكها لإنتاج مواقف وتنظيم علاقاته وصولاً لأعلى تطابق ممكن بين موضوع الخبر وموضوع الكتاب، حيث يقف ابن حزم إلى جانب من تنقل عنهم وقائع المحبة وتوصف تجارب عشقهم، وهو يتقدمهم لا بعدد الأخبار بل بأنواعها بما يمنحها مساحة مميزة بالمقارنة بمساحة سواها من الأخبار لما تحظى به من عناية تفصيلية، كأن ابن حزم لا يسعى من خلال هذه العناية إلى تذكر وقائع محبته وإعادة إنتاجها في وحدات خبرية فحسب، بل إلى إعادة خلقها وبعث الروح فيها، وهو يؤمن لها موقعاً مركزياً في التوزيع الموضوعي لأخبار محبته، فإذا كانت أخبار الشخصية قد اتخذت منطقة وسطى في التسلسل العددي لأخبار الكتاب، فإن أخبار محبته تقع موقع النواة التي تغلفها موضوعات أخباره الخاصة، وهي موضوعات لا تنتظم انتظاماً تصاعدياً أو تنازلياً

بحسب ما يقدمه الجدول التقريبي المرفق، بل إن تداخل هذه الأخبار وتجاورها داخل أبواب الكتاب يجعل مهمة تقسيمها تقسيماً موضوعياً ليست سهلة أو نهائية، لكنها بتداخلها وتواشج وقائعها تهنّ لنفسها شكلاً تتألى حلقاته بحسب أعدادها وصولاً لنواتها الممثلة بأخبار محبة ابن حزم:



### معلومات وخبران:

تتصل أخبار محبة ابن حزم فيما بينها اتصالاً موضوعياً تنتظم فيه ضمن تسلسل كمي، بمقدار ما يحمل كل منها من معلومات تخص صاحب الخير وتعنى بكشف بعض من جوانب سيرته، متتابعة في إدلائها بمعلوماتها بالطريقة التي تنظم عمل العلوم بين الخبرين السابق واللاحق، فما يذكر في الخبر الأول، وهو ينطوي على معلومة واحدة مفادها أن ابن حزم أحب في صباه جارية له شقراء الشعر، فما استحسن من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولوانه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه<sup>(١)</sup>، يتضمن بوصفه معلومة ناجزة وإبلاغاً مسبقاً في كل من الخبرين الثاني والثالث وهما يتوسعان بما يفضيان به من معلومات على المستويين الكمي والنوعي، كما انهما يقتربان من الواقعة التاريخية التي تظل في الخبر الثاني شخصية إلى حد، وتنفذ مع الخبر الثالث على الحدث العام سماعية لتأرخته وتدوين تحولاته، من غير أن يؤدي ابن حزم وهو ينشغل بالواقعة وما حولها دور المؤرخ الذي يجعل منتهى غايته تدوين الأحداث، كما يعني، من جانب آخر، الرغبة في تأدية دور القاص

ووظيفته في تطويع أحداث التاريخ وتوجيهها لما يطمح إليه قصه من أهداف وغايات، فعلى الرغم من اعتماده التتابع نسقاً تتلاحق عبره الوقائع وتنتظم الأحداث بما يقارب بينه وبين التسجيل التاريخي في تسلسل سرد مروياته يظل بعيداً عن هذا الشكل من التسجيل لتمرکز سرد (طوق الحمامة) حول شخصية الراوي/المؤلف الذي يعمل بوعيه الخاص وبرؤيته للأشياء على إعادة تقديم العالم، عالمه، بوقائعه المتباينة في درجة اتصالها به، لكنه يظل على نحو عام، على تماس واضح بها، من دون أن ينتقل بسرده إلى مشارف التخيل الذي يضطره، في سبيل إتيان دور القاص، إلى خلخلة واقعية وقائع والإخلال بمصداقيتها، لكن رابطاً بناتياً مهما يظل قائماً بين سرد (طوق الحمامة) من جهة والسرد التاريخي والقصصي من جهة أخرى وهو الوصف، وصف العالم من خلال وصف تفاصيله لإعادة خلقها وبعث الروح فيها لمواصلة الاحساس بها، بما يتطلب من انتباهات خبرية يسهم الخيال بنسب متفاوتة بإنتاجها من خلال تأنيث الأخبار، أخبار ابن حزم الشخصية منها على وجه التحديد، وإثراء عوالمها، كما أن ثمة رابطاً آخر سبقت الإشارة إليه يجمع بين سرد أخبار ابن حزم والسرد التاريخي دون السرد القصصي وهو تأكيد معظم هذه الأخبار، على اختلاف توزيعها الموضوعي، تأرخة وقائعها بما يشكل مفتاحاً للدخول من النصي إلى التاريخي، ويمنح الوقائع الخاصة فرصة الإطلال على الوقائع العامة وتثبيت تحولاتها، مثلما يسهم بتنظيم الحركة السردية، ويؤسس تحولات أحداثها بناء على المتغير التاريخي الذي يعد فاصلة ينحرف بعدها حث ويتغير مجرى، إلى الدرجة التي يمكن ملاحظة عناية الأخبار الخاصة بتاريخ وقائعها بوصفها وسيلة من وسائل استمرار السرد وتنامي، لتتسع السيرة باتساع الحدث وتتعدد منظوراتها لذاتها وللعالم، كما في الخبر الثالث من أخبار محبة ابن حزم<sup>(٢)</sup>، مثلما يسعى السرد لإنجاز ما يمكن من التوازن بين وظيفتيه الإبلاغية والإمتاعية إذ تنطوي الأخيرة على مجمل فعاليات الكتاب بوصفها شرطاً أول من شروط السرد، ابتداءً من العنوان بشقيه الجمالي والتفسيري وهو يختار تفصيلاً شكلياً من بين تفصيلات طائر الحمام، وربما كان التفصيل



الأقرب إلى النظر والسمة الأحب إلى القلب، بما يميز الحمامة من سواها من الطيور فليل لها: ذات طوق، وهي الحلية التي أعطاها الله إياها، والزينة التي منحها إياها بدعاء نوح عليه السلام لحسن دلائها وطاعتها<sup>(١)</sup>، فضلاً عما تحمله الحمامة نفسها من معان ودلالات في موضوع الحب، وما يتضمنه ذكرها من إحياءات، وما تؤديه من وظائف لم يفت ابن حزم الحديث عنها في كتابه، ثم يأتي العنوان التفسيري لينفتح الكتاب على وعد من الإمتاع يتقوى في ذهن القارئ عبر معطين من الخبرة: نمط عاطفي وآخر ثقافي، فالقراء على اختلاف مشاربهم ومعارفهم تجاربهم في المحبة ورغباتهم في اللفة والائتلاف، بما يشكل الإمتاع هاجساً في أذهانهم ورغبة تتحقق وتكون بتحقيق القراءة وتواصلها مقترنة بأفعال تجديد الرغبة والاكتشاف البنية على النمط الثاني من الخبرة، خبرة الثقافة التي تنظم حركة الكتاب في فلك النوع مهينة أفق انتظار القارئ لوعد من الإمتاع يظل مفتوحاً بلا حواجز أو قيود، ليتحرك مؤشر الإمتاع داخل الكتاب بما يقترحه من أساليب وتقنيات متنقلاً بين النثر والشعر وهما يعملان معاً على تجسيد هذه الوظيفة وبلورة حضورها، جنباً إلى جنب مع الوظيفة الإبلاغية التي تحقق من خلال هيمنة الخبر حضوراً لا يقل عن سابقتها، إذا ما نظرنا إلى الخبر بوصفه فاعلية إبلاغ تنهض بالدرجة الأساس على مقدار وكيفية ما تنقله من معلومات من مرسل إلى مستقبل، وهي الفاعلية التي تتعدد منابع معرفتها بتعدد انماطها وتختلف باختلاف تجاربها، من المرجعيات العامة كالآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، والأعلام، ومرجعيات الحياة الأندلسية المتضمنة سلوك المجتمع الأندلسي وأساليب حياته، والمرجعيات السياسية والتاريخية بما تنطوي عليه وما تؤذن به من تحولات، إلى المرجعيات الخاصة التي تتكشف من خلالها تجارب ابن حزم وثقافته وانماط خبرته، وهو يعمل على الإفادة منها في حركته بين العام والخاص متنقلاً من سلوك المجتمع الأندلسي إلى نشأته الشخصية، ومن أساليب حياة هذا المجتمع إلى نظراته لحياة وسلوك المجتمع الإنساني، مثلما تسهم معلوماته وخبراته الفقهية والطبية والتاريخية بتعزيز هذه الوظيفة كما يوضحها الجدول رقم (٢).

### الركيب:

١. تتضح خصوصية كتاب (طوق الحمامة) من خلال فاعلية حضوره في موقعين: فني وتاريخي، وعبرهما يمكن النظر إلى خصائصه التي تمكنه من تجلية غير اللساني في اللساني، إعلانه والإفصاح عنه، بما يهيئ له العمل داخل وخارج النوع الأدبي في آن، فهو يحافظ على وجوده بين مؤلفات (الحب والعشق) عبر حفاظه على حد أدنى من العناصر والسمات التي تترك هذه المجموعة من النصوص في إبرازها<sup>(٢)</sup>، لكنه ينحرف حال دخوله في النوع لينظر إلى نفسه، مشتقاً من بين العناصر المشتركة خاصة، ومن بين السمات العامة سمات تمكنه من الالتفات إلى تاريخه، تاريخ صاحبه، مؤلفه وراوي.

٢. وإذا كان تاريخ الكتاب يتحدد عبر تاريخ النوع الذي يكون فيه، مواصلاً دائرة تأليفه ومعيداً تنظيم وحداته التي سبق ظهورها في مؤلفات النوع، فإن كتاب (طوق الحمامة) ينشغل، إلى حد كبير، بتاريخه معتمداً لحظته الزمنية نقطة شروع لا للذهاب إلى تاريخ النوع وإعادة تنظيم وحداته، بل لإضافة وحدات جديدة لم تدخل من قبل في مؤلفات النوع، ولم ينظر لها بوصفها وحدات مشتركة.

٣. في (طوق الحمامة) لا يكون النوع هو هو، مثلما لا يكون مؤلفه/راوي بين حاضرات الرواية وماضي المروي هو هو، إنه ينتج في اغترابه نصاً مغرباً لا يتحدد بالنوع ولا يستجيب لإرادته على نحو كامل، مثلما لا يهجره ولا يتفصل عنه، بما يؤثر في وحدته تأليفه ويغير من ترتيب أولوياتها، كما يؤثر في أركانه السردية بما يتعلق منها بمسألة (الإسناد)<sup>(٣)</sup> إسناد الخطاب إلى متكلم، وهي تتحرك بين الخاص والعام، بسين الذاتي والموضوعي، منتجة خطاباً مزدوجاً شخصياً غيرياً في أن:

• الراوي: يعد (طوق الحمامة) خطاباً شخصياً:

الراوي يتحدث باسمه.

• المروي: يعد (طوق الحمامة) خطاباً مزدوجاً:

• شخصياً: الراوي يروي وقائعه الخاصة في أخبار تفتتح ب:

إني لأخبرك عني

ولقد أذكرني هنا

المخاطبة بقصد تنظيم الاتصال واستمرار السرد، يتحدد  
ظهور المروي له في جمل مثل:

اعزك الله

وانك لتجد

اخبرك

اعلم ان

فان ظفرت به يدك

٤. ترتب فاعلية الأركان السردية على الكتاب مهمتين: خاصة  
يقترّب من حدود السيرة وهو يلتفت إلى حياة صاحبه ملتقطاً  
بعض وقائعها وهي تصب على نحو مباشر في النوع، أو  
تبتعد عنه لتصل اليه بعد مرورها بالسياسي ووقوفها  
عند تحولاته، ومهمة عامة ينظر فيها إلى التجريبية  
الاندلسية بتواشع حديثها التاريخي والسياسي  
فضلاً عما يعتمد الكتاب من وقائع واخبار إنسانية وهي،  
على قسيتها، تسهم بإضاءة هدف الكتاب وتأمين مجاله  
النوعي.

أدركت

كان لي في بعض الزمن

غير يا: الراوي يروي وقائع غيره بما يتطلب أن يكون:

مروياً له: بما روي له من وقائع يعيد روايتها في كتابه

مفتتحاً أخبارها ب:

حدثني

أخبرني

سمعت

- راوياً: يروي وقائع وقعت لغيره وأحاط بها مباشرة

مفتتحاً أخبارها ب:

إني لأعرف

ولقد رأيت

شاهدت

لعهدي

المروي له: يساوي الراوي بالرتبة أو يقاربه فيها بما يمنحه

موقعا داخل الكتاب ينقسم إلى:

المخاطبة بقصد تعليل التأليف

## الجدول

### جدول رقم [١]

#### ١. أخبار الأندلس

ت	الصفحة	الباب	استهلال الخبر
١	٤٩	الكلام في ماهية الحب	واحدث ذلك ما شاهدناه بالأمس
٢	٥٥	الكلام في ماهية الحب	ولقد علمت فتى من بعض معاري
٣	٥٦	الكلام في ماهية الحب	وهذه الصفات مخالفة لما أخبرني به
٤	٦٧	باب علامات الحب	ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً
٥	٦٨	باب من أحب في النوم	وذلك اني دخلت يوماً على لبي السراي
٦	٧٥	باب من أحب من نظرة واحدة	حدثني صاحبنا أبو بكر محمد بن أحمد بن اسحاق
٧	٧٨	باب من أحب من نظرة واحدة	إني لأعلم فتى من أبناء الكتاب
٨	٨٢	باب من لا يحب إلا مع المظالمة	إني لأعرف فتى من أهل الجد
٩	٨٥	باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها	وأما جماعة خلفاء بني روان

وَأَنَا أَعْرِفُ فَتَى وَجَارِيَةَ	باب التعريض بالقول	٩٠	١٠
وَلَعَهْدِي بِبَعْضِ أَهْلِ الْحُبِّ	باب المراسلة	٩٥	١١
وَلَقَدْ حَبِرْتُ عَنْ بَعْضِ السَّقَاطِ	باب المراسلة	٩٥	١٢
وَلَقَدْ رَأَيْتُ كِتَابَ الْحُبِّ إِلَى مُحَبُّوبِهِ	باب المراسلة	٩٥	١٣
وَإِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَتْ الرُّسُولُ بَيْنَهُمَا حِمَامَةً	باب السفير	٩٨	١٤
وَإِنِّي لَأَعْرِفُ بَعْضَ مَنْ أَمْتَحَنَ	باب طلي السر	١٠٠	١٥
وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِقِرْطَبَةٍ	باب طلي السر	١٠٢	١٦
وَعَلَى مِثْلِ هَذَا	باب طلي السير	١٠٢	١٧
فَإِنِّي لَأَدْرِي مَنْ كَانَ مُحَبُّوبِهِ	باب طلي السر	١٠٣	١٨
وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَاصِمٍ بْنُ عَمْرِو	باب الإذاعة	١٠٥	١٩
وَحَدَّثَنِي أَبُو دَلْفِ الْوَزَائِقِ	باب الطاعة	١١٠	٢٠
وَاشْفَعُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ كَانَتْ لِسَعِيدِ بْنِ مَنْذَرٍ	باب الطاعة	١١٢	٢١
وَمَنْ عَجِيبُ طَاعَةِ الْحُبِّ لِمُحَبُّوبِهِ	باب الطاعة	١١٣	٢٢
وَلَقَدْ سَأَلَنِي يَوْمًا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ كَلِيبٍ	باب الطاعة	١١٤	٢٣
وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَمْرًا مُوسِرًا	باب المساعد من الاخوان	١٢٠	٢٤
وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَمْرًا جَلِيلًا	باب المساعد من الاخوان	١٢٠	٢٥
وَلَقَدْ شَاهَدْتُ يَوْمًا مُحَبِّينَ	باب الرقيب	١٢٢	٢٦
وَإِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ هُمْ أَنْ يَبَاطِشَ رَقِيبًا	باب الرقيب	١٢٣	٢٧
وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مَنْ تَلَحَّفَ فِي اسْتِرْضَاءِ رَقِيبٍ	باب الرقيب	١٢٣	٢٨
وَإِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ رَقِبَ عَلَى بَعْضٍ	باب الرقيب	١٢٤	٢٩
إِنِّي نَعْرِفُ مُحَبِّينَ	باب الرقيب	١٢٥	٣٠
وَلَقَدْ شَاهَدْتُ هَذَا بَعِينَهُ	باب الواشي	١٢٧	٣١
وَأَقُولُ مُخَاطِبًا لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْجَزِيرِيِّ	باب الواشي	١٢٢	٣٢
وَإِنِّي لَأَعْرِفُ جَارِيَةَ	باب الوصل	١٢٧	٣٣
وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ اجْتَمَعَ لَهُ هَذَا كُلُّهُ	باب الوصل	١٢٩	٣٤
وَإِنِّي لَأَعْلَمُ فَتَى وَجَارِيَةَ	باب الوصل	١٤١	٣٥
وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَمْرًا أَثَقَ بِهَا	باب الوصل	١٤٢	٣٦
وَأَنَا لَأُذَكِّرُكَ بِنْتُ زَكْرِيَّا بْنِ يَحْيَى	باب الوصل	١٤٢	٣٧
وَلَقَدْ حَدَّثَنِي ثِقَّةٌ مِنْ إِخْوَانِي	باب الوصل	١٤٢	٣٨
وَمَنْ بِدِيعِ الْوَصْلِ، مَا حَدَّثَنِي بِهِ بَعْضُ إِخْوَانِي	باب الوصل	١٤٤	٣٩
وَمَا رَأَيْتُ قَطُّ هَذِهِ الصِّفَةَ أَشَدَّ تَغْلِبًا مِنْهَا	باب الهجر	١٥٤	٤٠
وَمَنْ عَجِيبٌ مَا يَكُونُ فِيهَا	باب الهجر	١٥٧	٤١

ومن أشنع ما شاهدته من الوفاء	باب الوفاء	١٦٢	٤٢
ولعهدي رجل من صفوة إخواني	باب الوفاء	١٦٢	٤٣
ولقد حدثتني امرأة أثق بها	باب الوفاء	١٦٤	٤٤
ولقد حدثتني القاضي يونس بن عبد الله	باب الغدر	١٦٩	٤٥
وأعرف من أتى ليودع محبوبه يوم الفراق	باب البين	١٧٧	٤٦
ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه	بابا البين	١٨١	٤٧
وأخبرني بعض إخواني	باب القنوع	١٨٧	٤٨
واني لأعرف جارية من ذوات المناصب	باب الضنى	١٩٨	٤٩
وحدثتني جعفر مولى أحمد بن محمد بن حدير	باب الضنى	١٩٨	٥٠
وأخبرني أبو العافية مولى محمد بن عباس	باب الضنى	١٩٩	٥١
ولقد حدثتني أبو السري	باب الموت	٢١٣	٥٢
وأنا أعلم جارية كانت لبعض الرؤساء	باب الموت	٢١٤	٥٣
ولقد أخبرني ثقة صديق من إخواني	باب فتح العصية	٢٢٦	٥٤
واني لأعلم فتى من أهل الصيانة	باب قبج العصية	٢٣١	٥٥
ولي كلمتان، قلتهما معرضاً	باب قبج العصية	٢٣٢	٥٦
ولقد رأيت امرأة كانت مودتها في غير ذات الله	باب قبج العصية	٢٣٨	٥٧
فهذا خلف مولى يوسف بن قمقام القائد المشهور	باب قبج العصية	٢٣٩	٥٨
ولقد أخبرني أبو بكر محمد ابن الوزير عبد الرحمن	باب قبج العصية	٢٤٠	٥٩
حدثتني أبو موسى هارون بن موسى الطبيب	باب فضل التعفف	٢٥٠	٦٠
ولقد حدثتني امرأة أثق بها	باب فضل التعفف	٢٥١	٦١
ولقد حدثتني ثقة من إخواني	باب فضل التعفف	٢٥١	٦٢
وحدثتني أبو عبد الله محمد بن عمرو	باب فضل التعفف	٢٥٢	٦٣

### جدول رقم [١]

#### ب - الأخبار الخاصة بابن حزم

ت	الصفحة	الباب	استهلال الخبر
١	٦٥	باب علامات الحب	ولقد أذكرني هذا الفصل لوماً
٢	٧٢	باب من أحب بالوصف	بيني وبين رجل من الأشراف
٣	٧٢	باب من أحب بالوصف	ووقع لي ضد هذا
٤	٨٥	باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها	دعني أخبرك، أنني أحببت في صباي
٥	١٠٥	باب الإذاعة	واني لأعرف من أهل قرطبة

ووقع لي مثل هذا، وإن لم يكن من جنس الكتاب	باب العاقل	١١٧	٦
ولقد شاهدت النساء	باب المساعد من الاخوان	١٢١	٧
ولي، إلى أبي اسحاق ابراهيم من عيسى	باب الواشي	١٢٢	٨
وكان لي صديق مرة	باب الواشي	١٢٢	٩
وعني، أخبرك، اني مارويت	باب الوصل	١٢٨	١٠
ولقد عرض لي في الصبا هجر	باب الهجر	١٤٩	١١
واذكرني مثل هذا اني كنت مجتازاً	باب الهجر	١٥١	١٢
وكان لي في بعض الزمن صديقان	باب الهجر	١٥٢	١٣
وكان لي مرة صديق	باب الوفاء	١٦٢	١٤
ومما يدخل في هذا الدرج، وإن كان ليس منه	باب الوفاء	١٦٢	١٥
بالوفاء أيضاً لفتخر	باب الوفاء	١٦٧	١٦
ولعهدي بصديق لي	باب البين	١٧١	١٧
واذكر اني دخلت قرطبة	باب البين	١٧٢	١٨
ولقد نعى إلي بعض من كنت أحب	باب البين	١٧٥	١٩
ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الأزمان	باب البين	١٧٨	٢٠
دعني أخبرك	باب البين	١٧٩	٢١
ولقد أخبرني بعض الوزراء من قرطبة	باب البين	١٨٢	٢٢
ومما يدخل في هذا الباب أبيات لي	باب القنوع	١٩١	٢٣
واني لأخبرك عني	باب السلو	٢٠٥	٢٤
دعني أخبرك	باب السلو	٢١٢	٢٥
ومما يشبه ما نحن فيه	باب السلو	٢١٢	٢٦
وانا أخبرك عن أبي بكر أخي	باب الموت	٢١٥	٢٧
واما خبر صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى	باب الموت	٢١٦	٢٨
وكان السبب فيما ذكرته	باب قبح المعصية	٢٢٩	٢٩
ولقد ضمنني البيت ليلة	باب قبح المعصية	٢٢٩	٣٠

## جدول رقم [١] ج . الأخبار العامة

ت	الصفحة	الباب	استهلال الخبر
١	٤٩	الكلام في ماهية الحب	ومما يشبه هذا أن أبا العيش
٢	٤٩	الكلام في ماهية الحب	وقد ورد من خبر عبد الله

ولهذا ما اعتمد بقراط	الكلام في ماهية الحب	٥٢	٢
وذكر افلاطون ان بعض الملوك	الكلام في ماهية الحب	٥٢	٤
وقرأت في السفر الاول من التوراة	الكلام في ماهية الحب	٥٢	٥
وذكر عن بعض القافة	الكلام في ماهية الحب	٥٤	٦
واني لأعلم بعض من كان محبوبه	باب علامات الحب	٦٢	٧
ويحكى عن الحسن بن هانئ	باب طي السر	١٠٢	٨
وقرأت في سير ملوك السودان	باب المساعد من الإخوان	١٢٠	٩
وقد قال بعض الحكماء	باب الواشي	١٢٩	١٠
وروي عن زياد بن ابي سفيان	باب الوصل	١٤٠	١١
وحدثني أبو بكر محمد بن بقي الحجري	باب الغنى	١٩٧	١٢
وحدثني أبو القاسم الهمداني رحمه الله	باب الموت	٢٢٠	١٢
حكاية لم أزل أسمعها من بعض ملوك البربر	باب الموت	٢٢١	١٤
ولقد ذكر أبو الحسين أحمد بن يحيى	باب قبح المعصية	٢٢٤	١٥
وحدثني ثعلب بن موسى الكلاذاني	باب قبح المعصية	٢٢٦	١٦

## جدول رقم [٢]

### النورانية الموضوعية للأخبار الخاصة بابن حزم

الموضوع	استهلال الخبر	الباب	الصفحة	ت
ولقد اذكرني هذا الفصل يوماً..	ولقد اذكرني هذا الفصل يوماً..	باب علامات الحب	٦٥	١
بين وبين رجل من الأشراف..	بين وبين رجل من الأشراف..	باب من أحب بالوصف	٧٢	٢
ووقع لي ضد هنا..	ووقع لي ضد هنا..	باب من أحب بالوصف	٧٢	٣
واني لأعرف من أهل قرطبة	واني لأعرف من أهل قرطبة	باب الاذاعة	١٠٥	٤
ووقع لي مثل هذا، وان لم يكن من جنس الكتاب..	ووقع لي مثل هذا، وان لم يكن من جنس الكتاب..	باب العاذل	١١٧	٥
ولي، الى أبي اسحاق ابراهيم بن عيسى..	ولي، الى أبي اسحاق ابراهيم بن عيسى..	باب الواشي	١٢٢	٦
وكان لي صديق مرة..	وكان لي صديق مرة..	باب الواشي	١٢٢	٧
ولقد عرض لي في الصبا هجر..	ولقد عرض لي في الصبا هجر..	باب الهجر	١٤٩	٨
وكان لي في بعض الزمان صديقان..	وكان لي في بعض الزمان صديقان..	باب الهجر	١٥٢	٩
ومما يدخل هذا الدرج، وإن كان ليس منه..	ومما يدخل هذا الدرج، وإن كان ليس منه..	بابا الوفاء	١٦٢	١٠
بالوفاء أيضاً افتخر	بالوفاء أيضاً افتخر	باب الوفاء	١٦٧	١١
ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الأزمان..	ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الأزمان..	باب البين	١٧٨	١٢



١٣	٢١٢	باب السلو	ومما يشبه ما نحن فيه..
١٤	٢١٥	باب الموت	وأما أخبرك عن أبي بكر أخي..
١٥	٢١٦	باب الموت	وأما خير صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى..
١	١٢١	باب المساعد من الأخوان	ولقد شاهدت النساء..
٢	١٢٨	باب الوصل	وعني، أخبرك أنني ما رويت..
٢	١٥١	باب الهجر	وأذكر في مثل هذا أنني كنت سجتازاً..
٤	١٦٢	باب الوفاء	وكان لي مرة صديق..
٥	٢١٢	باب السلو	وعني أخبرك..
٦	٢٢٩	باب قبح المعصية	وكان السبب فيما ذكرته..
٧	٢٢٩	باب قبح المعصية	ولقد ضمنني المبيت ليلة..
١	١٧١	باب البين	ولعهدي بصديق لي..
٢	١٧٢	باب البين	وأذكر أنني دخلت قرطبة..
٣	١٧٥	باب البين	لقد نعى إلي بعض من كتب أحب..
٤	١٨٢	باب البين	ولقد أخبرني بعض الوراد من قرطبة..
٥	١٩١	باب القنوع	ومما يدخل في هذا الباب أبيات لي..
١	٨٥	باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها	وعني أخبرك، أنني أحببت في صباي..
٢	١٧٩	باب البين	وعني أخبرك..
٢	٢٠٥	باب الساو	وإني لأخبرك عني

### جدول رقم [٣] الوظيفة الإبداعية

ت	المعلومات	للمطالعة	أنواعها
١	مراجعيات	مرجعية (عامة)	الآيات القرآنية، التوراة الأحاديث النبوية المأثورات
		معلومات وخبرات (خاصة)	الفقهية الطبية حكومية

٢	العضدية	الحياة الأندلسية (عامة)	السلوك العادات الأساليب
		التجارب (خاصة)	نشأة ابن حزم نظريته سلوكه
٢	السياسة والتاريخ	تحولات (عامة)	سياسية تاريخية
		تحولات (خاصة)	سياسية تاريخية

## الهوامش والاحالات

- (١) يشير احد نسخ مخطوطة (طوق الحمامة) في الخاتمة إلى (حذف أكثر أشعارها، وإبقاء العيون منها، تحسيناً لها، وإظهاراً لحاسنها، وتصغيراً لحجمها، وتسهيلاً لوجدان المعاني الغربية من لفظها).
- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، حققه وقدم له: صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، مشروع النشر المشترك ١٩٨٦: ٢٦٥.
- (٢) إحسان عباس، في الأدب الأندلسي: ٢٤١.
- (٣) يصرح ابن حزم باهتمامه بطبقة معينة من طبقات المجتمع الأندلسي لا يحدد في أخباره عنها ولا يأخذ من سواها (وأما من دون هذه الطبقة فقد رأينا منهم كثيراً، ولكن لم نسمعهم لخفائهم).
- ابن حزم الأندلسي، م، س، ١٩٩.
- (٤) خليل الشيخ، السيرة والمتخيل، دار (لزمنا) عمان ٢٠٠٥: ٩.
- (٥) م. ن.
- (٦) الطاهر روابني، شعرية الدال في بيئة الاستهلاك في السرد العرب القديم، عن كتاب: السيمبائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة عنابة، باجي مختار، الجزائر ١٩٩٥: ١٣٧.
- (٧) م. ن.
- (٨) عبد الفتاح كليطو، المقامات، ت. عبد الكبير الشرفاوي، توبقال، الدار البيضاء ١٩٩٢: ٤٢.
- (٩) أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، الزهرة، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمودي القيسي، مكتبة المنار، الأردن ط ٢ / ١٩٨٥: ٤٤.
- (١٠) ابن حزم الأندلسي، م. س: ٤٤.
- (١١) إحسان عباس، م. س: ٢٤١.
- (١٢) د. أحمد جاسم النجدي، منهج البحث الأدبي عند العرب، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨: ٧٥.
- (١٣) زياد الزعبي، رسالة أبي أسحق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر

دراسة توثيقية نقدية، مج (أبحاث المرموك) الأردنية، م ١١/١٩٩٢: ١٤٠.

(١٤) ماري تيريز عبد المسيح، قراءة الأدب عبر الثقافات، دار (أزمة)

عمان، ط ٢/٢٠٠٥/٢٦.

(١٥) ابن حزم الأندلسي، م. س: ٤٢.

(١٦) م. ن.

(١٧) م. ن: ٢٦٤.

(١٨) م. ن: ١٢٢.

(١٩) م. ن.

(٢٠) م. ن: ٩٨.

(٢١) م. ن.

(٢٢) إحسان عباس، م. س: ٢٤٢.

(٢٣) م. ن: ١٤٥.

(٢٤) ابن حزم الأندلسي، م. س: ١٤١.

(٢٥) م. ن: ١٥٢.

(٢٦) م. ن: ٢٠٦.

(٢٧) م. ن: ١٢٧.

(٢٨) م. ن: ٢٥٥.

(٢٩) م. ن: ٢٢١.

(٣٠) م. ن: ١٩٨.

(٣١) عبد الله الشيخ موسى: الكاتب والسلطة، ت بشير السباعي، مصر

العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٩، ٦٢.

(٣٢) م. ن.

(٣٣) ابن حزم الأندلسي، م. س: ٨٥.

(٣٤) م. ن: ٢٠٥.

(٣٥) ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق

ابراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت

٢٠٠٢، مج ١، ٤٩٢.

(٣٦) عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابية، دار (الطلیعة) بيروت، ط ٢/١٩٩٧:

٢١.

(٣٧) م. ن: ٢٥.

#### المصادر والمراجع:

##### \* الكتب:

(١) ابن حزم الأندلسي، حلو في الحمامة في الألف والالف، حققه وقدم له:

صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، مشروع النشر

المشترك ١٩٨٦.

(٢) أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، الزهرة، تحقيق د. ابراهيم

السامرائي و د. نوري حمودي القيسي، مكتبة المنار، الاردن ط ٢/١٩٨٥.

(٣) إحسان عباس، في الأدب الأندلسي.

(٤) د. أحمد جاسم النجدي/ منهج البحث الأدبي عند العرب، الجمهورية

العراقية، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨.

(٥) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق ابراهيم

شمس الدين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٢.

(٦) خليل الشيخ، السيرة والتخيل، دار (أزمة) عمان ٢٠٠٥.

(٧) الطاهر روابنيه، شعرية الدال في بيئة الاستهلال في السرد العربي

القديم، عن كتاب: السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة

العربية وآدابها، منشورات جامعة عنابة، يا جبي مختار، الجزائر ١٩٩٥.

(٨) عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابية، دار (الطلیعة) بيروت، ط ٢/

١٩٩٧.

(٩) عبد الفتاح كليطو، المقامات، ت عبد الكبير الشرفاوي، توبقال، الدار

البيضاء ١٩٩٢.

(١٠) عبد الله الشيخ موسى: الكاتب والسلطة، ت بشير السباعي، مصر

العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٩..

(١١) ماري تيريز عبد المسيح، قراءة الأدب عبر الثقافات، دار (أزمة)

عمان، ط ٢/٢٠٠٥.

##### \* المجلات:

(١) زياد الزعبي، رسالة أبي اسحق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر

دراسة توثيقية نقدية، مج (أبحاث المرموك) الأردنية، م ١١/١٩٩٢.

## انواع التفسير اللغوي في كتاب

(شرح قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام الأنصاري

(ت ٧٦١هـ)

الدكتور ماهر جاسم حسن الأحمري

مدرس في كلية الامام الاعظم

### مقدمة

ترجع صلتني بابن هشام وكتابه شرح (قطر الندى وبل الصدى) منذ كنت شاباً يافعاً أتردد الى العلماء متعلماً عليهم بعدد من العلوم الشرعية ومنها هذا الكتاب، فقد بدلت بحفظه متناً وشرحاً حتى كنت أكمله كله عن ظهر قلب، وأنا لم أتجاوز السادسة عشرة من عمري، عندها كانت بدايتي النحوية التأصيلية في هذا السفر المهم من كتب النحو، وفي أثناء ذلك بدلت احسن عمق ابن هشام في هذا العلم، ومنهجه العلمي الفريد في ذلك، الذي زاوج معه النهج القسري، فكان في الغالب منهجاً قرآنياً، وعند ذلك كنت أردد مقالة ابن خلدون - رحمه الله - الذي جعل فيها ابن هشام لنحى من سيبويه، وأنه كان على علم جم، وأنه من نجاة اهل الموصل طريقة فأتى من ذلك بشيء عجيب ملكة وإطلاعا، وكنت افعل ذلك خلال دراستي في هذا الكتاب، وتدرسه للطلاب فرأيت ساحة واسعة من تعامل ابن هشام مع القرآن ولا سيما تفسير آياته لغوياً تثبت جدارته في ذلك، فكانت هذه الدراسة، وهذا يقال ايضاً عن أغلب كتبه التي مزجت علم القرآن بالنحو، ولا سيما كتابه (مغني اللبيب) الذي وضعه ليقوم يحفظون القرآن خاصة والأمر مفتوح للباحثين والدارسين عاجلاً أم آجلاً ليدرسوا هذا الجانب القيم في كتبه ومؤلفاته.

### تمهيد

#### ١. ابن هشام الأنصاري: حياته الشخصية والعلمية:

هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن هشام الأنصاري الحنبلي النحوي، ولد سنة ثمان وسبع مئة، في ذي العقدة.

وأهم شيوخه الشهاب عبد اللطيف بن الرحل، وابن السراج، والفاكهاني، وابن جماعة، وغيرهم، وتعلم عليه جماعة من اهل مصر، وغيرهم، وتخرجوا به، وتفقه ابن هشام. رحمه الله. في بداية حياته على المذهب الحنفي، وفي رواية على المذهب الشافعي، ثم انتقل الى المذهب الحنبلي.

قرأ ابن هشام عدة علوم، ودرسها، وبرع فيها، ولا سيما علوم العربية التي كان علماً فيها، وفارس ميدانها، زد على ذلك علوماً أخرى كالتفسير، والفقه، وغير ذلك، وكان على علم جم، وإطلاع واسع، وصفات اخلاقية طيبة، وعقل نير، وغير ذلك من الصفات العلمية والشخصية والخلقية.

#### وأهم مؤلفاته:

١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

٢. قطر الندى وبل الصدى.

### ٣. شرح الجامعة الصغير للشيباني في الفقه الحنفي.

#### ٤. شرح بانث سعاد.

#### ٥. شرح الشافعية لابن الحاجب.

وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة، وتوفي - رحمه الله - في ذي العقدة سنة إحدى وستين وسبع مئة، ودفن بمقبرة الصوفية بمصر<sup>(١)</sup>.

### ٢. كتابه [شرح قطر الندى وبل الصدى] وأهميته في علم التفسير:

أما كتابه (شرح قطر الندى وبل الصدى) فهو من أجل كتبه النحوية، ومن أشهرها، ويتضح من عنوانه أنه شرح لكتاب آخر هو متن المقدمة التي سماها: (قطر الندى وبل الصدى)، إذ يقول: وبعد: فهذه نكت حررتها على مقدمتي المسماة بـ (قطر الندى وبل الصدى) رافعة لحجابها، كاشفة لنقابها، مكملة لشواهدا، متممة لفوائدها كافية لمن اقتصر عليها وافية ببغية من جنح من طلاب علم العربية إليها<sup>(٢)</sup>، وقد نال هذا الكتاب أطراء القدامى والمحدثين من ذوي الرأي والمكانة له، وثناءهم عليه، والإشادة بذكره<sup>(٣)</sup>.

أما منهج المؤلف في هذا الكتاب فقد قسمه على الموضوعات النحوية العامة مبتدئاً بتعريف الكلمة وبيان أقسامها وما يتعلق بها، مختتماً بموضوع همزة الوصل وما يتعلق بها، ومنهجه العام في ذلك أنه يأتي بسنخ المتن مصدراً إياه بحرف (ص)، ثم يأتي بالشرح له مصدراً له بحرف (ش)، وخلال الشرح يأتي بالمسائل الأساسية بالموضوع ذكراً الأمثلة والشواهد اللغوية المتنوعة أن وجدت مع ذكر أقوال اللغويين والنحويين وأحياناً المفسرين وغيرهم، إلى غير ذلك من الأمور الخاصة بمنهجه في التعامل مع المادة النحوية مما لا يتسع المجال لذكره في هذه الدراسة الخاصة بعلم التفسير اللغوي في هذا الكتاب.

أما منزلة هذا الكتاب في علم التفسير فإنها من الأهمية بمكان، ولا يخفى ذلك على دارسي هذا الكتاب، وقارئيه، فإنه قد فسر كثيراً من النصوص القرآنية تفسيراً لغوياً، وهو منهجه التفسيري

العام في هذا الكتاب، وذلك ليس غريباً على ابن هشام - رحمه الله - ذلك أنه اشتهر عالمًا لغوياً ونحويًا أكثر من اشتهاره بعلم التفسير، وسيرته العلمية وحياته الثقافية ومنهجه النحوي القرآني وكتبه القيمة في هذا الميدان، ولا سيما (مغني اللبيب) خير دليل على ذلك، ولذلك تعدد مباحث التفسير اللغوي وأنواعه في شرح القطر أكثر المباحث التفسيرية وقد اتضح لنا ذلك بعد إحصاء مواضع التفسير في الكتاب إذ وصل عددها إلى ما يقرب من (١٢٨) موضع عدا مواضع التفسير الأخرى المتنوعة، وقد بلغ عدد مواضع التفسير عموماً ما يقرب من (١٧٦) موضع، زد على ذلك ما ستكشفه هذه الدراسة لنا في هذا الميدان، وهو وحده كاف للشهادة على ما قلناه.

والتفسير اللغوي في شرح القطر يمثل بعدد من الأنواع والأقسام والمباحث الخاصة به التي تعدد أساساً لهذا المنهج الاصيل في التفسير كالتفسير النحوي والتفسير الدلالي، والتفسير الصوتي، وغير ذلك مما سنذكره في هذه الدراسة، وقد أثرنا تسمية كل نوع من هذه الأنواع بتسمية خاصة وإن لم ترد في كلام القدامى نصاً، ولكنها ورتت ضمناً في كلامهم ومباحثهم في علم التفسير وهي تسميات اجتهادية وليست قسرية، وهو ما يتعلق - أيضاً - بمصطلح (التفسير اللغوي) الذي له أصالة وعمق في دراسات القدامى - رحمهم الله - ولأن هذه التسميات توافقت ومصطلح (التفسير اللغوي) الذي يتنوع بهذه الأنواع، زد على ذلك ما ذكره عدد من الباحثين المعاصرين من هذه المصطلحات الحادثة في مباحثهم ودراساتهم ولا سيما مصطلح (التفسير النحوي)، و(التفسير الإشاري)، و(التفسير العلمي)<sup>(٤)</sup> و(التفسير البياني)<sup>(٥)</sup>، و(التفسير الموضوعي)<sup>(٦)</sup>، وغير ذلك.

وقد ذكرنا هذه الأنواع حسب كثرتها وقلتتها في شرح القطر، وهو منهجنا العام في البحث، مبتدئين بالتفسير النحوي الذي يعد أكثر الأنواع وروداً عند ابن هشام، لكننا قدمنا ذكر مصادره في التفسير اللغوي معتمدين على القول بتقديم المصادر على المباحث الخاصة بكل دراسة، لأن المصادر هي مفتاح كل دراسة، وباب كل ميدان يلجأ الباحث في عمله، زد على ذلك مباحث تفسيرية أخرى الحقناها بالتفسير اللغوي مما له صلة وثيقة به،

### ٣. معنى التفسير اللغوي وأصوله ومؤلفاته:

التفسير اللغوي هو تفسير القرآن بلغة العرب على وفق مدلولات الفاظها، وأصاليب كلامها، وأصولها وقواعدها، وغير ذلك مما يتعلق به. وهذا اللغة التي جعلها الله - لغة كتابه الكريم، فقد نقل ابن تيمية رحمه الله - (ت ٧٢٨هـ) عن ابن جرير الطبري رحمه الله - (ت ٢١٠هـ) أن ابن عباس (ت ٦٨هـ) رضي الله عنهما قال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالة، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، فقله: ((وجه تعرفه العرب)) هو تفسير القرآن بما يرجع إلى لسان العرب، والفاظها، وأصاليبها، وأصولها، وغير ذلك مما يتعلق بها<sup>١٢</sup>.

والتفسير اللغوي إما عام، وإما خاص، فأما التفسير اللغوي الخاص - وهو التفسير المشهور عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في بداية نشأته - فهو التفسير الذي يتعلق بتفسير غريب المفردات القرآنية، ولا يتناول القضايا اللغوية عامة، أما التفسير اللغوي العام فيتناول القضايا اللغوية عامة من النحو، والإعراب، والصرف، والبلاغة، والشاهد اللغوي من الشعر والنثر، والمذاهب النحوية، والقراءات القرآنية، وغير ذلك مما يدخل في علوم اللغة عامة<sup>١٣</sup> وقد توسع في الكلام على ذلك الزركشي<sup>١٤</sup> - رحمه الله - (ت ٧٩٤هـ) وهذا هو مفهوم التفسير اللغوي العام بعد توسعه، واتساع مفهومه عبر القرون.

أما تأصيل التفسير اللغوي، وبدايته فيمكن القول إن بدايته كانت في وقت مبكر من عصر الصحابة - رضي الله عنهم - ويعد ابن عباس - رضي الله عنهما - رائدا لهذا المنهج، ومؤسسا له<sup>١٥</sup> وهو أبرز ما في منهجه في التفسير<sup>١٦</sup> وبعد اتساع الإسلام، ودخول القبائل العربية ذات اللهجات المتباينة إليه، ودخول أقوام أصحاب لغات مختلفة فيه بدأت الحاجة إلى التفسير اللغوي تتسع شيئا فشيئا<sup>١٧</sup>. ثم يأتي عصر التابعين، وتابعيهم - رضي الله عنهم - الذين كان عندهم التفسير اللغوي منهجا لا يقل أهمية عن المناهج الأخرى، وإن كان مختلفا عما كان عند الصحابة إذ زادوا عليه، وتوسعوا فيه، وبقيت اللغة ضابطا من أهم ضوابط التفسير عندهم<sup>١٨</sup>. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة

التصنيف والتدوين في أوائل قيام الدولة العباسية، وفي هذه المدة توسع التفسير اللغوي<sup>١٩</sup>، وتشعبت طارقه، وتعمقت مباحثه، وبدأ يأخذ صفة العموم، وأصبح التفسير اللغوي العام هو المنهج السائد للتفسير اللغوي، وظهرت التفاسير اللغوية بأنواعها كافة وموضوعاتها من التفاسير النحوية، والبلاغية، والبيانية، وغيرها سواء أكان منهجها في التفسير اللغوي عاما أم خاصا<sup>٢٠</sup>.

وأما مؤلفات التفسير اللغوي، وكتبه فقد تعددت واختلفت اتجاهاتها ولا سيما ما كان في العصور التي تلت عصر التابعين، وتابعيهم، ويمكن ذكر أهمها، وأشهرها مع ذكر أمثلة لكل اتجاه وميدان بما يأتي:

١. كتب غريب القرآن وبيان مبهمه ومشككه، مثل (غريب القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وتفسير (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) وغيرهما.

٢. كتب معاني القرآن، مثل (معاني القرآن) للفراء (ت ٢٠٧هـ) و(معاني القرآن) للأخفش (ت ٢١٥هـ)، وغيرهما.

٣. كتب الوجود والنظائر، مثل (الأشياء والنظائر في القرآن الكريم) لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، و(الوجود والنظائر في القرآن الكريم) لهارون بن موسى (ت ١٧٠هـ)، وغيرهما.

٤. كتب إعراب القرآن، مثل (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج (ت ٢١١هـ)، و(إعراب القرآن) لأبي جعفر النحاس (ت ٢٢٨هـ) وغيرهما.

٥. كتب بلاغة القرآن، ونظمه، وبيانه، وأسلوبه، وإعجازه اللغوي والبياني، مثل (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، و(النكت في إعجاز القرآن) للرماني (ت ٢٨٤هـ) و(أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز) وكلاهما للجرجاني (ت ٤٧١هـ) وغيرهما.

٦. التفاسير اللغوية والنحوية، مثل (الكشاف) للزمخشري (ت ٥٢٨هـ)، و(البحر المحييط) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، و(الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون) للسبكي الحلبي (ت ٧٥٦هـ)<sup>٢١</sup>، وغيرهما.

٧. كتب التفسير، ولا سيما ذات المنهج النقلي، والعقلي، والفقهية، والإشارية، وغيرها من المناهج المختلفة، مثل (جامع



البسيان عن تأويل أي القسيران) للطبري (ت ٢١٠هـ)،  
(و) التفسير الكبير) للرازي (ت ٦٠٦هـ)، و(الجامع لأحكام القرآن)  
للقسري (ت ٦٧٨هـ)، و(روح المعاني) للآلوسي (ت ١٢٧هـ)  
(و) (محاسن التأويل) للقاسمي (١٩١٤م)، وغيرها.

ونجد التفسير اللغوي أيضاً في كتب العقائد، والفقه، والحديث  
النبوي، وأصول الفقه، ومشكل القرآن، والقراءات، والتجويد،  
ونجده أيضاً في المعجمات اللغوية، وكتب النحوي، والصرف،  
والبلاغة، والصوت، وكتب لغوية أخرى، ففي هذه الكتب نجد  
إشارات، أو لمحات تفسيرية تمثل جانباً مهماً في التفسير اللغوي<sup>(١)</sup>.

### ١. مصادر ابن هشام في التفسير اللغوي:

لابن هشام الأنصاري رحمه الله - مصادر عديدة في التفسير  
اللغوي للقرآن اعتمد عليها في مادته التفسيرية، وقد بلغ عدد  
المواضع التي تعد مصادر له في هذا الميدان ما يقرب من (٢١)  
موضعاً، وقد تنوعت هذه المصادر عنده، إذ ينقل عن المفسرين  
واللغويين والنحاة إلا أن نقله عن اللغويين وبخاصة النحاة كان  
أكثر من غيرهم ذلك أن كتاب (شرح قطر الندى) هو كتاب نحو  
بالدرجة الأساس، وليس كتاب تفسير، أو علم آخر، وهو ينقل  
عنهم قضايا متنوعة في التفسير اللغوي كالقضايا النحوية  
والدالية وغير ذلك.

إن ابن هشام في نقله عن أولئك العلماء باختلاف اتجاهاتهم لم  
يكن ناقلاً محضاً فحسب، وإنما كان عالماً بما ينقل، محققاً ومدققاً  
لذلك وهو يناقش المسائل، وربما ينقدها أو يردّها ولا يقبلها  
وغير ذلك من الأمور التي اتصف بها، فقد اتضحت شخصيته في  
هذا الميدان.

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى قسمين أساسيين هما:

### [أ] المصادر المأثورة:

ونعني بذلك أن ابن هشام يذكر اسم العالم، أو الشخص أو  
ناشر الذي ينقل عنه، ويمكن إجمال هذه المصادر بما يأتي:

١. ينقل ابن هشام عن اللغويين ولا سيما أهل المعاني، والنحاة،  
وكما يأتي:

### ٢. أهل المعاني:

وهم الذين ألفوا في معاني القسيران لبسيان مدلول الفاظه،  
ومعرفة غريبه، وشرح ما أبهم، وغمض منها. من ذلك ما نقله  
عن الكسائي (ت ١٨٩هـ) في إعراب (من) في قوله تعالى (ولله على  
الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)<sup>(٢)</sup>، بأنها: شرطية  
مبتدأ وجواب الشرط محذوف، والتقدير من استطاع فليحج<sup>(٣)</sup>.

وهناك علماء معان آخرون نقل عنهم ابن هشام قضايا لغوية  
في التفسير اللغوي مثل: الفراء<sup>(٤)</sup> (ت ٢٠٧هـ)، والأخفش<sup>(٥)</sup>  
(ت ٢١٥هـ)، وغيرهما.

### ٣. النحاة:

وقد نقل عنهم قضايا نحوية تتعلق بالتفسير اللغوي، مثل  
ذلك ما نقله عن سيبويه (ت ١٨٠هـ) رحمه الله - في تفسير قوله  
تعالى (وكلا منها رغداً)<sup>(٦)</sup>، فقد ذكر أن مذهب سيبويه في إعراب  
كلمة (رغداً) إنما هو: حَسَال من مصدر الفعل المفهوم منه وأن  
التفسير: فكلاً حالة كون الأكل رغداً<sup>(٧)</sup>. ويقصد بذلك - ابن  
هشام - أنه حال من مصدر الفعل (كلا)، وهو الأكل، وهذا المصدر  
يفهم من الفعل في الآية.

وهناك نحاة آخرون نقل عنهم ابن هشام، مثل: ابن السراج<sup>(٨)</sup>  
(ت ٢١٦هـ) - رحمه الله - وأبي علي الفارسي<sup>(٩)</sup> (ت ٢٧٧هـ) - رحمه الله  
وغيرهما.

### ٤. المفسرون:

٢. قد ينقل ابن هشام عن المفسرين المشهورين قضايا تخص  
التفسير اللغوي أيضاً ومن ذلك ما نقله عن الزمخشري (ت ٥٢٨هـ)  
في قوله سبحانه وتعالى: (ونادوا يا مالِك ليَقْضَ عَلَيْنَا رَبِّكَ)<sup>(١٠)</sup>، إذ  
قال: وروي أنه قيل لابن عباس - رضي الله عنهما - إن ابن مسعود  
- رضي الله - عنهما قرأ (ونادوا يا مال) فقال: ما كان أشغل أهل  
النار عن الترخيم!! ذكره الزمخشري وغيره<sup>(١١)</sup>، ويلاحظ أن  
ابن هشام قد نقل قول الزمخشري من تفسيره الكشاف<sup>(١٢)</sup> ليكون  
هذا التفسير من مصادره في التفسير اللغوي.

### [ب] المصادر المجهولة:

ونعني بذلك أن ابن هشام - رحمه الله - لم يذكر اسم العالم، أو

الشخص، أو المصدر الذي ينقل عنه، ولم يصرح باسمه، ويمكن إجمال الكلام على ذلك بما يأتي:

١. استعمل ابن هشام عدداً من الألفاظ التي تدل على المصادر المجهولة، والأسماء غير المعروفة مثل: (بعضهم)<sup>(١)</sup>، و(غيره)<sup>(٢)</sup>، و(مفسرون)<sup>(٣)</sup>، و(زعموا)<sup>(٤)</sup>، و(قالوا)<sup>(٥)</sup>، و(جاء في التفسير)<sup>(٦)</sup>، و(قيل)<sup>(٧)</sup>، و(اجيب)<sup>(٨)</sup>، وغير ذلك.

٢. قد ينقل ابن هشام عن مفسرين مجهولين لا يصرح بأسمائهم مثل ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (أفلم ينأس الذين آمنوا)<sup>(٩)</sup>، في تفسير الفعل (ينأس) (ينأس)، إذ قال: ومعناه. فيما قاله المفسرون. أفلم يعلم<sup>(١٠)</sup>.

٣. غالب ما ينقله ابن هشام عن هؤلاء المجهولين هو قضايا نحوية متعددة، وهذا ما يجعلنا نرجح أن هؤلاء هم من النحاة، وليسوا من المفسرين أو أصحاب المعاني، أو أصحاب الاختصاصات الأخرى. للسبب الذي ذكرناه آنفاً أن هذا الكتاب وضعه صاحبه ليكون كتاب نحو، وليس كتاباً في علم آخر.

٤. ربما يكون السبب في عدم ذكر أسماء هؤلاء الذين ينقل عنهم هو عدم معرفته إياها وجهله بها، أو نسيانه إياها، أو ربما نقلت له الأقوال ورويت له بلا أسماء، أو لأسباب أخرى لا نعرفها.

## أنواع التفسير اللغوي عند ابن هشام

### [١] التفسير النحوي:

يعد التفسير النحوي نوعاً أساساً من أنواع التفسير اللغوي للقرآن، وهذا راجع إلى كون النحو علماً أساساً من علوم اللغة، يقول السيوطي: رحمه الله - (ت٩١١هـ) مبيناً أهمية علم النحو في تفسير القرآن: إن المعنى يختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره<sup>(١)</sup>.

والتفسير النحوي كثير في شرح قطر الندى وهو أكثر الأنواع وروداً في الكتاب، وهذا أمر ليس بالغريب عند ابن هشام للسبب الذي ذكرناه آنفاً<sup>(٢)</sup> بأن كتاب (شرح قطر الندى وبل الصدى) هو كتاب نحوي بالدرجة الأساس كما هو معروف ومعلوم لدى أساتذة النحو وشيوخه وطلابه قديماً وحديثاً وقد وصل عدد هذه المباحث بعد الإحصاء إلى ما يقرب من (١٠٢) موضع في النحو، وهي مباحث متنوعة تدخل كلها في موضوعات علم

النحو أوردها ابن هشام في تفسير النصوص القرآنية كالإعراب والحذف والتقدير، وبيان معاني الأدوات النحوية، والمصدر وبيان نوع الفعل، وغير ذلك مما ينحصر في تفسير النصوص القرآنية الذي هو مجال هذا البحث وميدانه، وأهم مباحث التفسير النحوي عنده هي:

### ١. الإعراب:

وهو أهم مباحث التفسير النحوي المنتشرة في (شرح قطر الندى) وأكثرها من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون)<sup>(٣)</sup> أن إعراب كلمة (هؤلاء): مبتدأ وجملة (ينطقون) خبر المبتدأ وليساً مفعولاً أول وثانياً، وقد ذكر ذلك عند كلامه على موضوع (التعليق) الذي يدخل في مجموعة (ظن وأخواتها)، وهو عبارة عن (إسقاط عملها لفظاً، لا محلاً)، وهو يتكلم على الفعل (علم) الذي علق عمله لفظاً لا محلاً، وذلك لاعتراض ماله صدر الكلام، وهو (ما) النافية في الآية الكريمة بسينها وبين معموليها اللذين هما (هؤلاء) وجملة (ينطقون)<sup>(٤)</sup>. ويتضح أن ابن هشام هنا يجعل (ما) النافية تميمية لا عمل لها فيكون ما بعدها مبتدأ وخبراً وهناك رأي آخر يجعل (ما) نافية حجازية عاملة، فيكون (هؤلاء) اسمها، وجملة (ينطقون) خبرها في محل نصب<sup>(٥)</sup>.

ومن مسائل الإعراب عنده ما ذكره في قوله تعالى: (خشعا أبصارهم يخرجون)<sup>(٦)</sup> بأن إعراب كلمة (خشعا): حال من الضمير في قوله: (يخرجون)<sup>(٧)</sup>. ولم يذكر ابن هشام القراءة الأخرى الواردة في الآية الكريمة، وهي قراءة: (خاشعا) بصيغة اسم الفاعل وهي قراءة سبعة متواترة وإعرابها: حال أيضاً والقراءة الأولى سبعة متواترة أيضاً<sup>(٨)</sup>. ومن مسائل الإعراب أيضاً ما ذكره في قوله سبحانه وتعالى: (وأن تصوموا خير لكم)<sup>(٩)</sup>، بأن إعراب (أن تصوموا): مبتدأ، وأن خبره قوله (خير)، وقد ذكر ذلك وهو يتكلم على شروط المبتدأ بأنه يكون اسماً صريحاً أو مؤولاً بالصريح، واستشهد للثاني بالآية الكريمة<sup>(١٠)</sup>، إذ التقدير: صومكم خير لكم.

وهناك مسائل أخرى في الإعراب كثيرة ذكرها في مواضع أخرى من كتابه<sup>(١١)</sup>.

## ٢. الحذف والإضمار والتقدير:

هذا البحث من مباحث التفسير النحوي البارزة في (شرح قدس الندي). من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) <sup>(١)</sup> بأن المعنى: من قومه <sup>(٢)</sup> ويقصد بذلك أن في الآية محذوفاً وهو حشر الجبر (من)، لكنه لم يذكر سبب تقدير هذا المحذوف، وهو أن الفعل (اختار) يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر وقد حذف هنا وهو قوله (قومه) المفعول الثاني، والمفعول الأول هو (سبعين)، والتقدير: اختار موسى سبعين رجلاً من قومه، وهناك إعراب آخر لم يذكره ابن هشام وهو أن (قومه) مفعول به أول، و(سبعين) بدل منه، بدل بعض من كل، والضمير العائد إلى المبدل منه محذوف تقديره (منهم)، والفعول الثاني محذوف تقديره (المختار منه) فيكون تقدير الكلام جميعاً: اختار موسى قومه سبعين رجلاً منهم المختار منه، وهذا الوجه فيه تكلف لأن فيه حذف رابط البدل وهو الهاء من (منهم) والفعول الثاني وهو قوله (المختار منه) <sup>(٣)</sup>.

ومن مسائل الحذف والتقدير عند ما ذكره في قوله تعالى: (نزلناها) <sup>(٤)</sup> بأن في الآية محذوفاً والتقدير: هذه سورة أنزلناها <sup>(٥)</sup>. وهو يقصد بذلك أن (سورة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه). وقد ذكر المفسر أبو السعود - رحمه الله - (٩٥هـ) سبب تقدير اسم الإشارة (هذه) في الآية الذي يقتضي أن السورة قد جرى لها ذكر سابق قبل هذا الوقت، وهذا ما لم يحصل فكان سبب تقدير اسم الإشارة لكي تكون في شرف ذكرها، وعلو منزلتها أي السورة، في حكم الشيء الحاضر، والمشاهد أمام الأعين <sup>(٦)</sup>.

وهناك مواضع أخرى ذكرها في كتابه <sup>(٧)</sup>.

## ٣. التحليل والتعليل النحوي:

وهو من المباحث الأساسية للتفسير النحوي عند ابن هشام، إذ يتناول عدداً من النصوص القرآنية بالتحليل والتعليل والمناقشة الأمر الذي يدل على عقلية المستوعبة للمسائل، وتكرر الواسع في تعامله مع النصوص القرآنية وهذا أحد الأسباب التي جعلته نحويّاً قرآنياً مشتهراً في الأفاق العلمية والدراسات القرآنية اللغوية والنحوية، ومن يتتبع منهجه

القرآني وكتبه في النحو القرآني ومن ذلك كتابه الشهير: مغني اللبيب، ودراساته النحوية الأخرى يجد صحة ذلك ويقينه. ومن مسائله في هذا المجال ما ذكره في قوله تعالى: (قل تعالوا آتِل) <sup>(٨)</sup> بأن سبب جزم المضارع (آتل) وقوعه جواباً للطلب وهو قوله (تعالوا) وقصد به الجزاء، إذ يقول معللاً ذلك: تقدم الطلب وهو - تعالوا - وتأخر المضارع المجرد من الفاء هو - آتل - وقصد بـسبب الجزاء، إذ المعنى: تعالوا فإن تأتوا آتل عليكم، فالتلاوة عليهم منسوبة عن مجيئهم فلذلك جزم وعلامة جزمه حذف آخره. وهو الواو <sup>(٩)</sup>.

ومن تلك المسائل ما ذكره في قوله تعالى: (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض) <sup>(١٠)</sup>، فقد رد قول أبي علي الفارسي - رحمه الله - (٢٧٧هـ) وجماعة من النحويين حينما جعلوا (لما) ظرفاً بمعنى (حين) وهذا يقتضي كونها اسماً لا حرفاً وقد ذهب ابن هشام مذهب سيبويه - رحمه الله - (١٨٠هـ) في كونها: حرف وجود لوجود، وقال بهذا القول، فذكر سبب كونها حرفاً بهذا المعنى وليس اسماً بمعنى (حين) معللاً لذلك حتى يصل إلى اقناع السامع والقارئ برأيه وحجته بالأدلة الدامغة، إذ يقول: واختلف في هذه أي كلمة (لما) فقال سيبويه: إنها حرف وجود لوجود، وقال الفارسي وجماعة: إنها ظرف بمعنى (حين)، ورد بقوله تعالى: (فلما قضينا عليه الموت) الآية، وذلك أنها لو كانت ظرفاً لاحتاجت إلى عامل يعمل في محلها النصب، وذلك العامل إما ((قضينا)) أو ((دلهم)) إذ ليس معنا سواهما، وكون العامل ((قضينا)) مردود بأن القائلين بأنها اسم يزعمون أنها مضافة إلى ما يليها، والمضاف إليه لا يعمل بالمضاف، وكون العامل ((دلهم)) مردود بأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وإذا بطل أن يكون لها عامل تعين أن لا موضع لها من الإعراب، وذلك يقتضي الحرفية <sup>(١١)</sup>.

وهناك مسائل أخرى في هذا الميدان ذكرها في مواضع أخرى <sup>(١٢)</sup>.

هذه أهم مباحث التفسير النحوي الواردة في شرح القشطر، وهناك مباحث تفسيرية نحوية أخرى أوردها ابن هشام - رحمه الله - في كتابه وهي أقل من المباحث السابقة مثل نوع الفعل <sup>(١٣)</sup>.

والمصدر<sup>(١)</sup>، ومعاني الأدوات<sup>(٢)</sup>، والحكم النحوي<sup>(٣)</sup>، والتأويل النحوي<sup>(٤)</sup>، والإجماع والاختلاف في النحو<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك مما لم نذكره بتوسع، واكتفينا بالإشارة إليه بصفحات الكتاب.

## [ب] التفسير الدلالي:

ذكرنا فيما سبق أن التفسير اللغوي يكون عاما، وخاصا، وأن التفسير اللغوي الخاص هو الذي يتعلق بدلالة الألفاظ القرآنية، وتفسير غريبها، ولا يتناول القضايا اللغوية العامة<sup>(٦)</sup>، والمفردة القرآنية الغريبة هي: كل لفظة تحتاج إلى بيان وشرح وإيضاح، وهو ما ينطبق على تعريف دلالة اللفظة القرآنية أيضا، وهو موضوع كلامنا في هذا المبحث عند ابن هشام - رحمه الله -.

لقد غني ابن هشام في شرح القحطري قليلا بالتفسير الدلالي للألفاظ القرآنية في عدد من المواضع في أثناء تناوله النصوص القرآنية ضمن مادته النحوية. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (فانفروا ثبات)<sup>(٧)</sup> بأن معنى (ثبات): متفرقين<sup>(٨)</sup>، أي: انفروا متفرقين، سرية بعد سرية، و(ثبات) جمع (ثبة) وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة، وقيل: فوق الاثنين<sup>(٩)</sup>.

ومن المواضع الأخرى ما ذكره في قوله تعالى: (قل هلم شهداءكم)<sup>(١٠)</sup>، بأن معنى (هلم) أحضر. أي: أحضروا شهداءكم<sup>(١١)</sup>. وهو اسم فعل عامل، و(شهداءكم) مفعول به له<sup>(١٢)</sup>. وقد ذكر أبو السعود - رحمه الله - في تفسير هذه الآية دلالة (الشهداء) فيها، وسبب الأمر بإحضارهم بقوله: وهم. أي الشهداء - قدوتهم الذين ينصرون قسولهم، وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة، ويظهر بانقضاءهم ضلالتهم، وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم، ولذلك قيد الشهداء بالإضافة بوصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبمنصرة مذهبهم<sup>(١٣)</sup>. أي أن إحضار الشهداء سبب لقيام الحجة عليهم وظهور ضلالتهم، لأن هؤلاء الشهداء ينقطعون عن الشهادة لهم عند إحضارهم، لأنهم يشهدون لهم عن غير علم، ولا دليل، وإنما عن تقليد فحسب.

ومن تلك المواضع أيضا ما ذكره في قوله سبحانه وتعالى: (ويكأنه لا يفلح الكافرون)<sup>(١٤)</sup>، بأن معنى (وي) في الآية: أعجب، أي: أعجب لعدم فلاح الكافرين، وقد ذكر ذلك لدى كلامه على

(اسم الفعل) بأن (وي) اسم فعل مضارع بمعنى (أعجب)<sup>(١٥)</sup>. أي: يتعجب الذين تمتوا ما عند قارون من الملك والنعم الكثيرة بعد أن خسف الله به الأرض لعدم فلاح الكافرين ونجاحهم في حياتهم، وبعد مماتهم، وهم خاسرون في الدنيا والآخرة.

## [ج] التفسير الصوتي:

يعد التفسير الصوتي من أنواع التفسير اللغوي الأساسية أيضا. إذ إن علم الأصوات (phonetics) هو أحد علوم اللغة الأساسية وهو دراسة أصوات اللغة، فهو إذن فرع من علم اللغة العام، ولكنه يختلف عن الفروع الأخرى، إذ هو لا يعنى إلا باللغة المنطوقة، دون أشكال الاتصال الأخرى المنظمة كاللغة المكتوبة مثلا، والصوت الإنساني الحي هو موضوع علم الأصوات<sup>(١٦)</sup>. وهذا ما يتعلق بمفهوم التفسير الصوتي الذي يفسر القضايا الصوتية المتعلقة بالنص القرآني.

وقد تناول ابن هشام الانصاري شيئا من التفسير الصوتي في عدد من المواضع القرآنية في شرح القحطري، تناول فيها عددا من الخواهر الصوتية من ذلك ما يتعلق بظاهرة التخفيف الصوتي التي تعد من الخواهر الأساسية في علم الصوت، وهي تستند إلى نظرية السهولة التي تناولها القدماء والمحدثون في علم الصوت بالشرح والإيضاح والدراسة، وخلاصة معناها: أن الإنسان في نطقه لأصوات لغته يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي وتلمس أسهل السبل مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه<sup>(١٧)</sup> وهو ما يشير إلى ظاهرة التخفيف في النطق التي أشار إليها ابن هشام - رحمه الله - ومن تلك المواضع ما ذكره في قوله تعالى: (ولم أك بغيا)<sup>(١٨)</sup> في الفعل (أك)، قال: أصله: أكون، فحذفت الضمة للجازم، والواو للساكنين، والنون للتخفيف<sup>(١٩)</sup> أي أن حذف حرف النون من الفعل (أكون) هو نوع من التخفيف في النطق، وأن وجودها يسبب نوعا من الثقل في نطق الكلمة فيحتاج المتكلم إلى مجهود عضلي أكثر في ذلك فصار بحذفها تخفيف في اللفظ القرآني ليكون سهلا على ألسنة الناس في قراءته وتلاوته، وهذا من إعجاز القرآن الذي أعجز البشر عن الإتيان بمثله.

ومن الظواهر الصوتية التي ذكرها ابن هشام لدى تفسيره

التصوص القرآنية: ظاهرة الإتبساع الحركي (vowel assimilation) وهي ظاهرة صوتية أساسية في علم الصوت، وهي تدخل ضمن قانون المماثلة (Assimilation) وهي قانون يعالج تأثير الأصوات المتجاورة في الكلمات والجمل، وميلها إلى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعاً إلى الانسجام الصوتي، واقتصاداً في الجهد الذي يبذله المتكلم<sup>(١)</sup>. وهو ما ينطبق على مفهوم ظاهرة الاتباع الحركي التي أشار إليها ابن هشام - رحمه الله - من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ)<sup>(٢)</sup>، في قراءة الحسن البصري - رحمه الله - وهي قراءة شاذة<sup>(٣)</sup> فقد وصف هذه القراءة بأنها: بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام<sup>(٤)</sup>. أي إن الدال تأثرت باللام فأخذت حركتها أي الكسرة، فكسرت، وبذلك تكون الدال قد أتبع حركتها اللام فصار فيها اتباع حركي نتج منه هذه الصورة في اللفظ، لأن هناك تأثراً بين الدال واللام لتجاورهما، وحصل انسجام صوتي بينهما بهذا التأثير أدى إلى حدوث اقتصاد في الجهد العضلي الذي يبذله المتكلم والقارئ عند القراءة والتلاوة. وهذا - كما ذكرنا آنفاً - يعد من أسباب الإعجاز القرآني في كتاب الله عز وجل.

### [د] التفسير البلاغي:

يعد التفسير البلاغي - أيضاً - من أنواع التفسير اللفوي الأساسية ولا سيما التفسير اللفوي العام<sup>(٥)</sup>، ذلك أن علم البلاغة من العلوم اللغوية الأساسية، وهو علم ضروري في تفسير القرآن الكريم.

وقد تضمن شرح القحطري عدداً من المسائل البلاغية - وإن كانت يسيرة - أوردها ابن هشام في أثناء تفسير النصوص القرآنية تكاد تكون كلها داخلة في مسائل علم المعاني ومن موضوعاته الأساسية. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تَوَّابُونَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ وَيُؤْتُونَ زَكَاةً وَيَسْتَجِيبُونَ سُبُلَ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...) <sup>(٦)</sup> بلسان معنى الفعلين (تؤمنون)، و(تجاهدون) في الآية: آمنوا، وجاهدوا، وقد علل ذلك بأن كل واحد منهما (ليس جواباً للاستفهام، لأن غفران الذنوب لا يتسبب عن نفس الدلالة، بل عن الإيمان

والجهاد)<sup>(٧)</sup>. ويفهم من كلامه - رحمه الله - أن كلا من الفعلين (تؤمنون)، و(تجاهدون) خبر خرج عن مقتضى الظاهر، أي إلى معنى الأمر، وهو من الأغراض التي يخرج إليها الخبر، وهذا - كما هو معلوم - موضوع أساس من موضوعات علم المعاني الذي هو أحد العلوم البلاغية الثلاثة، ويلاحظ أن ابن هشام - رحمه الله - لم يذكر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه التي تبدل على كلامه، وتدعمه، وهي قراءة الأمر: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا) وهي قراءة شاذة<sup>(٨)</sup>، ولم يعلل - رحمه الله - مجيء صيغة الخبر التي بمعنى الأمر، بل لم يصرح بذلك مطلقاً، وإنما اكتفى بقوله: لكونه في معنى آمنوا وجاهدوا دون أي زيادة، ففي كلامه تلميح وإشارة دون نص وتصريح على ذلك، وهناك تعليل وفائدة مهمة لمجيء صيغة الخبر في الآية دون الأمر، وهو أن كلا من الفعلين ((دلالة على التجارة المنجية وتعليم لها والمتعارف في التعليم هو الأمر والنهي، وفائدة العدول الإشعار بوجوب الامتثال وكأنهم امتثلوا فهو خبر عن إيمان وجهاد موجودين، ونظيره قبول الداعي غفر الله لك جعلت المغفرة لقسوة الرجاء كانت ووجدت<sup>(٩)</sup> أي أن الفعلين (تؤمنون)، و(تجاهدون) اللذين بمعنى (آمِنُوا)، و(جَاهِدُوا) هما يدلان على التجارة المنجية في الآية لأن أسلوب الأمر والنهي من أساليب الدلالة على الشيء، ومن أساليب التعريف والتعليم بالشيء، فخرج كل منهما إلى هذا المعنى، وسبب بقاء كل منهما بصيغة المضارع تحقق وجود (الإيمان) و(الجهاد) من المؤمنين، فإنهم بذلك استجابوا لأمر الله بالإيمان والجهاد، وامتثلوا له، وهذا المعنى لا يحصل ولا يتحقق إلا بصيغة المضارع دون الأمر، وهذا ما لم يذكره ابن هشام رحمه الله.

ومن المسائل البلاغية التي ذكرها ابن هشام من غير أن يصرح بها، وإنما اكتفى بالتلميح والإشارة إليها فحسب ما ذكره في قوله تعالى: (اسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)<sup>(١٠)</sup> بأن المعنى: وأبصر بهم، فحذف بهم لدلالة الأولى عليه<sup>(١١)</sup> ويلمح من كلامه بأنه أشار إلى مسألة بلاغية مهمة من مسائل علم المعاني وهي مسألة الحذف الذي هو نوع من الإيجاز، وهو من نوع إيجاز الحذف، والمحذوف قوله (بهم) وعلل ذلك بدلالة (بهم) الأولى عليه فحذف من الثاني

وهي قوله (أبصر). وهذا نوع من الإيجاز البلاغي في أساليب الكلام وتعبيراته، وهو هنا في كتاب الله - عز وجل - ذي الكلام البليغ المعجز الذي لا يعلوه أي كلام بليغ، أو أي أسلوب عال في البلاغة والفصاحة والإيجاز.

ويلاحظ أن ابن هشام لم يفسر هذا الحذف تفسيراً كاملاً، ولم يبين حقيقته، وهو ما ذكره العلماء ولا سيما النحاة منهم بأنه من أساليب التعجب وصيغته الأساسية، وإن قوله (بهم) فاعل زينت عليه الباء ولكون هذا الفاعل شبيهاً في اللفظ بالفضلة في الكلام العربي وشبيهاً بما لا يكون أساساً وعمدة في الكلام وقد جاز حذفه للدلالة عليه كما في هذه الآية<sup>(١٣)</sup>.

### [هـ] التفسير الصرقي:

التفسير الصرقي هو أيضاً من أنواع التفسير اللغوي الأساسية، ذلك أن علم الصرف من العلوم اللغوية الأساسية في تفسير القرآن الكريم.

والتفسير الصرقي قليل جداً في شرح القطر، ذلك أن ابن هشام - رحمه الله - ذكر إشارات يسيرة في هذا المجال. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ)<sup>(١٤)</sup> بأن الفعل (يعفون) وزنه الصرقي: يَفْعُلْنَ، لأن الواو أصلية، وهي واو الفعل (عفا - يعفو) وإن الفعل مبني على السكون لاتصاله بالسكون، وإن النون ضمير يعرب فاعلاً<sup>(١٥)</sup>.

ومن مسائل الصرف ما ذكره في قوله تعالى: (فَمَنْ اضْطُرَّ)<sup>(١٦)</sup> بأنه إذا ابتدئ بالفعل (اضطرَّ) ضمت الهمزة والهاء<sup>(١٧)</sup> أي: اضطرَّ. ويفهم من كلامه أن همزة الفعل (اضطرَّ) تكون همزة وصل تارة، وقطع تارة أخرى، فإذا جاءت في أثناء الكلام كانت همزة وصل أما إذا ابتدئ بها كانت همزة قطع والدليل على ذلك ضمها في أول الكلام.

### [و] التفسير بالرأي [التفسير غير النقلي]:

التفسير بالرأي ليس من أنواع التفسير اللغوي بالمعنى الدقيق والأصولي له، ولكن له علاقة وثيقة به، إن لم يكن أساساً، وأصلاً له، ذلك أن التفسير بالرأي ((يعتمد على الفهم الدقيق والمركز لعاني الألفاظ القرآنية بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ، وفهم دلالتها<sup>(١٨)</sup>، وقد ذكر الزركشي

- رحمه الله - (ت ٧٩٤هـ) أن التفسير بالرأي هو: ((ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب، ومدلولاتها واستعمالها حسب السياق))<sup>(١٩)</sup> فقد اتضح من هذا أن التفسير بالرأي أساسه لغة العرب غالباً، لذلك يمكن دراسته ضمن أنواع التفسير اللغوي.

والتفسير بالرأي هو: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج المفسر<sup>(٢٠)</sup>.

وقد تضمن شرح القطر عدداً من مباحث التفسير بالرأي ذكرها ابن هشام - رحمه الله - في أثناء تفسيره النصوص القرآنية من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (لَنْ نَنْزِلَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)<sup>(٢١)</sup>، وقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَاهُ حَتَّى يَقُولَ الرُّسُلُ)<sup>(٢٢)</sup>، فقد قال في الآية الأولى: فإن رجوع موسى (ع) مستقبل إلى الأمرين جميعاً<sup>(٢٣)</sup>، وقال في الآية الثانية: لأن قول الرسول وإن كان ماضياً بالنسبة إلى زمن الإخبار إلا أنه مستقبل بالنسبة إلى زلزالهم<sup>(٢٤)</sup> وقد ذكر هذين القولين وهو يتكلم على شرط نصب الفعل المضارع بعد (حتى)، وهو كون الفعل مستقبلاً بالنسبة إلى ما قبلها، والاستقبال يكون في حالتين، الأولى: بالنسبة إلى زمن التكلم كما في الآية الأولى<sup>(٢٥)</sup> لأن رجوع موسى كما قال ابن هشام مستقبل بالنسبة إلى عكوفهم وبقائهم على عبادة العجل، وبالنسبة إلى زمن التكلم، فإن رجوع موسى (ع) كان بعد أن قالوا ذلك القول، لا قبله. والثانية: لا بالنسبة إلى زمن التكلم كما في الآية الثانية<sup>(٢٦)</sup>، لأن قول الرسول مستقبل بالنسبة إلى زلزالهم وهو ماضٍ بالنسبة إلى الإخبار بالآية، ونزولها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإخباره الناس بنزولها وقصصها عليهم، ولا علاقة لزمن التكلم بذلك.

ومن أمثلة التفسير بالرأي أيضاً عند ابن هشام - رحمه الله - ما ذكره في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُنْجَرِمِينَ)<sup>(٢٧)</sup> فقد رد في هذه الآية قول من جعل (لن) للدعاء محتجاً بهذه الآية بأن المعنى: فاجعلني لا أكون، وهذا من أساليب



الدعاء على قوله، وقد علل ابن هشام عدم كونها للدعاء بقوله: ((لا مكان حملها على النفي المحض، ويكون ذلك معاهدة منه لله سبحانه وتعالى ألا يظهر مجرماً جزاء لتلك النعمة التي أنعم بها عليه<sup>(١٠٩)</sup>، ويقصد بذلك أن (لن) معناها النفي المحض الذي لا يشاركه معنى آخر، فليس فيها أي معنى آخر كاللعاء مثلاً فلا تكون دعاء في الآية وإنما نفي المظاهرة للمجرمين فحسب.

ولدى رجوعنا إلى كتابه (مغني اللبيب) نرى أنه يخالف كلامه الذي قاله هنا، فقد ذهب هناك إلى أنها تكون للدعاء، وذكر قولاً بصيغة التضعيف (قيل) بأنها لا تكون للدعاء في الآية السابقة<sup>(١١٠)</sup>، وعلته في ذلك: لأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم بل إلى المخاطب أو الغائب، نحو يارب لا عذبت فلاناً، ونحو لا عذب الله عهراً<sup>(١١١)</sup> وواضح أن فعل الدعاء في الآية مسند إلى المتكلم فلا تكون للدعاء، لكن ابن هشام لم يذكر علة كون (لن) للدعاء في الآية (مغني اللبيب) وإنما اكتفى بأنها تكون للدعاء فقط، وذكر قول من لم يجعلها كذلك في الآية وعلته في ذلك، وهذا الاختلاف في رأي ابن هشام في (لن) يشير إلى احتمال عدوله من رأي إلى رأي آخر مخالف له، وإذا عرفنا أنه ذكر في كتابه الآخر (أوضح المسالك) الرأي نفسه الذي ذكره في شرح القحط<sup>(١١٢)</sup> يرجح لنا ثبوته على هذا الرأي، أي كون (لن) لا تفيد الدعاء والله أعلم.

اتضح مما سبق شيء من مباحث التفسير بالرأي عنده، وهناك مواضع أخرى في هذا المجال ذكرها في شرح القحط أيضاً<sup>(١١٣)</sup>.

### مباحث متفرقة تتعلق بالتفسير اللغوي:

ذكر ابن هشام - رحمه الله - عدداً من المباحث المتفرقة التي لها علاقة وثيقة بالتفسير اللغوي للقرآن وهي وإن كانت قليلة قياساً بالأنواع السابقة تشكل محاور أساسية في هذا الاتجاه من التفسير، ويمكن أن نجملها بالنقاط الآتية:

١- قد يذكر ابن هشام شاهداً لغويًا لقضية ذكرها عند تفسير النص القرآني من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم)<sup>(١١٤)</sup> بأن الفعل (تطهر) قرئ بالرفع باتفاق القراء، وأنه لو قرئ بالجزم على معنى الجزاء لم يمتنع في القياس، واستشهد لقراءة الجزم بقوله تعالى: (فهب لي من لدنك

وليًا \* يرثني)<sup>(١١٥)</sup>، فقد قرئ برفع الفعل (يرث) وجزمه وهما قراءتان سبعيتان<sup>(١١٦)</sup>.

ب- قد يذكر لغة من لغات العرب عند تفسيره النص القرآني من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (أفلم يبنّس الذين آمنوا)<sup>(١١٧)</sup> بأن معنى (يبنّس) فيما قاله المفسرون: يعلم، أي: أفلم يعلم، وذكر أنها لغة النخع، وهو وزن<sup>(١١٨)</sup>.

ج- قد ينقد ابن هشام عدداً من العلماء الذين يذكرونهم عند تفسيره النص القرآني. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (أفلم يبنّس الذين آمنوا)<sup>(١١٩)</sup> بأن الضراء (ت٢٠٧هـ). رحمه الله. أنكر كون الفعل (يبنّس) بمعنى (يعلم) وذكر بـسـبـبـأن رأي الضراء ضعيف<sup>(١٢٠)</sup>.

د- قد يذكر موضوع القرينة عند تفسيره النص القرآني. من ذلك ذكره القرينة اللفظية في قوله تعالى: (لولا أنتم لكنا مؤمنين)<sup>(١٢١)</sup> بأن في الآية محذوفاً دل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية: (لتحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم)<sup>(١٢٢)</sup> إذ التقدير، لولا أنتم صدقناكم عن الهدى لكنا مؤمنين<sup>(١٢٣)</sup>.

هـ- قد يبين أثر اللغة في علوم الشريعة، وهو جانب مهم من جوانب التفسير اللغوي للقرآن، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا)<sup>(١٢٤)</sup> في بيان أثر اللغة والنحو في مسائل العقيدة فقد بين أن الواو في الآية تفيد مطلق الجمع من غير ترتيب، وأنها لو كانت تفيد الترتيب لكان اعترافاً من منكري البعث. وهم الكافرون. بالحياة بعد الموت<sup>(١٢٥)</sup> ولكن عقيدتهم هي إنكار البعث وقد أيد ذلك وقواه الدلالة اللغوية والنحوية للواو متمثلة بعدم افادتها الترتيب.

و- قد يذكر ابن هشام - رحمه الله - موضوعات تفسيرية وشرعية متنوعة وموضوعات علوم القرآن عند تفسيره النصوص القرآنية، وهي وإن كانت لا تتعلق بالتفسير اللغوي تعلقاً مباشراً تشكل موضوعات أساسية في علم التفسير من ذلك الوقف القرآني<sup>(١٢٦)</sup>، وأصول القراءات القرآنية<sup>(١٢٧)</sup>، ومشكل القرآن<sup>(١٢٨)</sup>، وقضايا فقهية متنوعة<sup>(١٢٩)</sup>، وغير ذلك.

## الخاتمة

ت	المبحث	العدد
١	مصادره	٢٠
٢	التفسير النحوي	١٠٣
٣	التفسير الدلالي	٧
٤	التفسير الصوتي	٥
٥	التفسير البلاغي	٥
٦	التفسير الصرفي	٤
٧	التفسير بالرأي	١١
٨	مباحث متفرقة	٢١
٩	المجموع الكلي	١٧٦

جدول احصائي يبين عدد ماضع  
التفسير اللغوي في شرح القحط

بعد هذه الدراسة في شرح القحط اتضح ما للمؤلف وكتابه من منزلة في علم التفسير اللغوي الذي بلغت مواضعه ما يقرب من (١٧٦) موضع متمثلاً بعدد من الأنواع كالتفسير النحوي، والدلالي، والصوتي، والبلاغي، والصرفي، واتضح أن للمؤلف مصادر في هذا الميدان كأهل المعاني، والنحاة، وعدد من المفسرين المشهورين، ومصادر أخرى لم يصرح بأسمائها للسبب الذي ذكرناه في البحث. وقد حوى الكتاب أيضاً مباحث متفرقة لها علاقة بالتفسير اللغوي كالتفسير بالرأي، والشاهد اللغوي، والنقد التفسيري والقرينة اللفظية، وبيان أثر اللغة في علوم الشريعة ولاسيما العقيدة، زد على ذلك مواضيع قرآنية أخرى على ورودها بقلّة في شرح القحط ويكون ابن هشام - رحمه الله - بذلك من العلماء الذين لهم علم بهذا الميدان من علم التفسير في جميع مؤلفاته وليس شرح القحط فحسب الأمر الذي يجعلنا نقف عند آرائه القيمة في هذا الميدان لننتعرف ما لعلمائنا الأسلاف من علم بالقرآن الكريم، وخدمة عظيمة يستحقون عليها الثواب والأجر يوم القيامة، رحم الله ابن هشام واسكنه فسيح الجنات آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الهوامش

في أصول التفسير ١٠٢، والمواصفات في أصول الأحكام للشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ٢/٥٧، وينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية للدكتور عبد القادر السعدي ٨٢: ٨٢، وما بعدها وأصول التفسير وقواعده لخالد عبد الرحمن العك: ١٢٧، ودراسات في أصول تفسير القرآن للدكتور محسن عبد الحميد: ٧، وما بعدها، والتفسير اللغوي في (محاسن التأويل) لجمال الدين القاسمي، رسالة دكتوراه للدكتور ماهر جاسم حسن الأميري، بإشراف الاستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، جامعة الموصل، كلية الأناب (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م) ص: ٥ وما بعدها.

(٨) موسوعة الموصل الحضارية ٢١/٢٦، والمواصفات: ١/١٢٠، والانتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/١٢٠، وما بعدها، والتفسير والمفسرون الذهبي: ١/٧٨، وما بعدها، والضابط اللغوي في التفسير للدكتور محسن عبد الحميد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية من: ٢٦٢، بغداد، العدد ٦٠، ١٩٧٥م، والأزهري مفسراً في كتابه تهذيب اللغة، ص: ٢٥١ وما بعدها، رسالة ماجستير للدكتور ماهر

(١) ينظر ترجمة ابن هشام في ١٠ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي) ١٠/٢٣٦، و(بغية الوعاة للسيوطي) ٢/٦٨، و(شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي) ١٩٢/٦١٩٢، (معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة): ١٦٢/٦١٦٤، وغيرها من كتب التراجم.

(٢) شرح قحط الندى وبل الصدى: ١٢.

(٣) م. ن (المقدمة): ٤.

(٤) ينظر مثلاً كتاب (أصول التفسير وقواعده) للشيخ عبد الرحمن العك، ص: ١٥٩، ٢٠٥، ٢١٧.

(٥) وهو ما سمت به الدكتورة عائشة عبد الرحمن كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم).

(٦) من ذلك ما سمي به الدكتور مصطفى مسلم كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي).

(٧) تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل آي القرآن) ١/٢٤ ومقدمة

- (٤٢) شرح قطر الندى وبل الصدى: ٢٤٥، ٢٤٤.
- (٤٤) حاشية الجمل على تفسير الجلائين للسماة بـ (الفتوحات الإلهية) لسليمان الجمل: ١٢٥/٢.
- (٤٥) سورة القمر: ٧.
- (٤٦) شرح قطر الندى: ٢٣١.
- (٤٧) كتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهرى: ٤٧١، ٤٧٠.
- (٤٨) سورة البقرة: ٨٤.
- (٤٩) شرح قطر الندى: ١٦٠.
- (٥٠) ينظر مثلاً: ٥٢، ٧٥، ١١١، ١٨٥، ٢٥٨، ٣٢٨، ٤٤٠، ٤٤٩، وغيرها.
- (٥١) سورة الأعراف: ١٥٥.
- (٥٢) شرح قطر الندى: ٣٧٩.
- (٥٣) حاشية الجمل: ١٩٥/٢.
- (٥٤) سورة النور: ١.
- (٥٥) شرح قطر الندى: ١٧٢.
- (٥٦) تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): ١٥٥/٦.
- (٥٧) ينظر مثلاً: ٨٩، ٩٢، ١٥٠، ١٩٤، ٢٥٩، ٣٧٧، وغيرها.
- (٥٨) سورة الأنعام: ١٥١. (٥٩) شرح قطر الندى: ١٠٩.
- (٦٠) سورة سبأ: ١٤. (٦١) شرح قطر الندى: ٥٥.
- (٦٢) ينظر مثلاً: ١٠٩، ١٧٢، ١٨٥، ٢٢٦، ٢١٦، ٢١٩، وغيرها.
- (٦٣) ينظر مثلاً: ٤٦ في أربعة مواضع.
- (٦٤) ينظر مثلاً: ٥٢، ١٢٩، ٣٦٢ في موضعين.
- (٦٥) ينظر مثلاً: ٥٥، ٩٤، ١١٥، ٢٤٥.
- (٦٦) ينظر مثلاً: ١٩٢، ٢٥٧، ٣٦٤.
- (٦٧) ينظر مثلاً: ٢٥١ في موضعين، ٢٦٤، ٤٤٩.
- (٦٨) ينظر مثلاً: ٨٩، ٢٧٠. (٦٩) ينظر: بداية هذا البحث.
- (٧٠) سورة النساء: ٣١. (٧١) شرح قطر الندى: ٢٢٩.
- (٧٢) حاشية الجمل: ٣٩٩/١. (٧٣) سورة الأنعام: ١٥٠.
- (٧٤) شرح قطر الندى: ٤٠. (٧٥) حاشية الجمل: ١٠٦/٢.
- (٧٦) إرشاد العقل السليم: ١٩٧/٢، وحاشية الجمل: ١٠٦/٢.
- (٧٧) سورة القصص: ٨٢.
- (٧٨) شرح قطر الندى: ٢٦١، وينظر مواضع أخرى للتفسير الدلالي مثلاً ص: ٤٠، ١٦٢، ١٦٥.
- (٧٩) علم اللغة للدكتور حاتم صالح الضامن: ٤٧.
- (٨٠) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس: ٢٢٥، ٢٢٤. وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدوري الحمد: ٢٩٠، ٢٩٢.
- (٨١) سورة مريم: ٢٠. (٨٢) شرح قطر الندى: ١٩٢.

- جاسم حسن الأومري، بإشراف الاستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، جامعة الموصل، كلية الآداب (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل، ص: ٦.
- (٩) البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٢، ١٩١، والضابط اللغوي في التفسير: ٢٤٢، ٢٤٤، وما بعدها.
- (١٠) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهر: ٩٠.
- (١١) الاتقان: ١٢٠/١، وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ٨.
- (١٢) التفسير والمفسرون: ٢٧/١، وتطور تفسير القرآن: ٢٢، ٢٥.
- (١٣) التفسير والمفسرون: ١٠٦/١، وتطور تفسير القرآن: ٢٧، وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ٩.
- (١٤) التفسير والمفسرون: ١٠٦/١، وما بعدها وتطور تفسير القرآن: ٤٥، والتفسير اللغوي في محاسن التأويل: ٩.
- (١٥) التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ١٠.
- (١٦) التفاسير اللغوية والنحوية للقرآن الكريم للدكتور محيي هلال السرحان، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء (٢٤)، المجلد (٢٢)، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ص: ٥٥٢، ٥٥٤، وما بعدها وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ١٠، ١١، ١٢، ١٣.
- (١٧) التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ١٠، ١١، ١٢، ١٣.
- (١٨) سورة آل عمران: ٩٧.
- (١٩) شرح قطر الندى: ٤٤٠، وينظر موضع آخر: ص ٢٦٢.
- (٢٠) ينظر مثلاً ص: ٨٨. (٢١) ينظر مثلاً ص: ٢٠٧.
- (٢٢) سورة البقرة: ٢٥.
- (٢٣) شرح قطر الندى: ٣٦، ولم أجد هذا الكلام في (الكتاب) لسبويه، ولعل ابن هشام نقله من مكان آخر.
- (٢٤) ينظر مثلاً ص: ٨٠. (٢٥) ينظر مثلاً ص: ٢٤١، ٢٩٤.
- (٢٦) سورة الزخرف: ٧٧.
- (٢٧) وهي قراءة شاذة: ينظر: مختصر في سواند القراءات: ١٢٦.
- (٢٨) شرح قطر الندى: ٢٩٧، وينظر موضع آخر مثلاً ص: ١١٥.
- (٢٩) ينظر: الكشف: ٤٩٦/٣. (٣٠) ينظر مثلاً ص: ١٧٠، ٢٩٧.
- (٣١) ينظر مثلاً ص: ٢٩٧. (٣٢) ينظر مثلاً ص: ٨٦.
- (٣٣) ينظر مثلاً ص: ٢١٤. (٣٤) ينظر مثلاً ص: ٢٩٧، ٤١٥.
- (٣٥) ينظر مثلاً ص: ٤١٢. (٣٦) ينظر مثلاً ص: ٤٣٠، ٤٤٠.
- (٣٧) ينظر مثلاً ص: ٢٩٨. (٣٨) سورة الرعد: ٢١.
- (٣٩) شرح قطر الندى: ٨٦، وينظر ص: ٤١٢.
- (٤٠) الاتقان في علوم القرآن: ١٨٠/٢.
- (٤١) ينظر: ص ٨ من هذا البحث.
- (٤٢) سورة الأنبياء: ٦٥.

(١١٠) أي الآية: ١٧ من سورة القصص.

(١١١) مغني اللبيب: ١/٣٧٥، ٣٧٦.

(١١٢) أوضح المسالك في الفية ابن مالك: ١١٢/٢.

(١١٣) ينظر مثلاً: ٩٥، ١٠٩، ١١١، في موضعين، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ٢٧٢، وغيرها.

(١١٤) سورة التوبة: ١٠٣.

(١١٥) سورة مريم: ٥٦، وينظر: شرح قطر الندى: ١١٢، وينظر مواضع

أخرى مثلاً من: ٨٧، ٨٨، ٩٠.

(١١٦) قراءة الجزم لأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، وقراءة الرفع لباقي

السبعة، ينظر: كتاب التيسر في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ١٢٠.

(١١٧) سورة الرعد: ٢١. (١١٨) شرح قطر الندى: ٨٦.

(١١٩) سورة الرعد: ٢١.

(١٢٠) شرح قطر الندى: ٨٨، وينظر مواضع أخرى مثلاً من: ٨٠، ٢١٤، ٤٤٠، في

موضعين، وغيرها. وينظر: معاني القرآن للقراء: ٦٤/٢.

(١٢١) سورة سبأ: ٢١. (١٢٢) سورة سبأ: ٢٢.

(١٢٣) شرح قطر الندى: ١٧٤، وينظر مثلاً من: ٤٢٨، في ثلاثة مواضع،

وغيرها.

(١٢٤) سورة الجاثية: ٢٤.

(١٢٥) شرح قطر الندى: ٤٢٨، وينظر مواضع أخرى مثلاً من: ٢٣٩، ٢٣٠،

٤٢٤.

(١٢٦) ينظر مثلاً من: ١١٢، في موضعين.

(١٢٧) ينظر مثلاً من: ٢٤٤، في موضعين.

(١٢٨) ينظر مثلاً من: ٢٦٩.

(١٢٩) ينظر مثلاً من: ٤٢٤.

(٨٢) في البحث الصوتي عند العرب للدكتور خليل العتية: ٧٠.

(٨٤) سورة الفاتحة: ٢.

(٨٥) وهي قراءة روية أيضاً، ينظر: مختصر في شواذ القراءات لابن

خالويه: ١.

(٨٦) شرح قطر الندى: ٤٠٦، وينظر: مواضع أخرى للتفسير الصوتي عنده

مثلاً: ٤٦، في موضعين، ١٩٢.

(٨٧) ينظر: ص ٥ من هذا البحث. (٨٨) سورة الصف: ١٠، ١١، ١٢.

(٨٩) شرح قطر الندى: ١١١. (٩٠) مختصر في شواذ القراءات: ١٥٦.

(٩١) حاشية الجمل: ٢٢٨/٤. (٩٢) سورة مريم: ٢٨.

(٩٣) شرح قطر الندى: ٢٥٥، وينظر مواضع أخرى للتفسير البلاغي مثلاً

ص: ١٧٢، في موضعين، ٢٥٥، ٢٦٠.

(٩٤) حاشية الجمل: ٦٣/٢، وينظر: مغني اللبيب لابن هشام: ٨٩١/٢.

(٩٥) سورة البقرة: ٢٢٧. (٩٦) شرح قطر الندى: ٤٥.

(٩٧) سورة البقرة: ١٧٢. (٩٨) شرح قطر الندى: ٢٦٥.

(٩٩) أصول التفسير وقواعده: ١٦٧.

(١٠٠) البرهان في علوم القرآن: ١٨٨/٢، ١٨٩.

(١٠١) التفسير والمفسرون الذهبي: ٢٥٦/١، وينظر: التفسير اللغوي في محاسن

التأويل: ٨٠.

(١٠٢) سورة طه: ٩١. (١٠٣) سورة البقرة: ٢١٤.

(١٠٤) شرح قطر الندى: ٩٢. (١٠٥) م. ن. ٩٣.

(١٠٦) م. ن. ٩٢، وينظر: حاشية الجمل: ١٧/١.

(١٠٧) م. ن. ٩٢، وينظر: مغني اللبيب: ١٧٠/١.

(١٠٨) سورة القصص: ١٧.

(١٠٩) شرح قطر الندى: ٨٠، وينظر: حاشية الجمل: ٢٤١/٢، ٢٤٢.

## المصادر والمراجع

أولاً: الرسائل الجامعية

١- الأزهرى مفسراً في كتابه (تهذيب اللغة) رسالة ماجستير للدكتور  
ماهر جاسم حسن الأومري، كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف: الاستاذ  
الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٢- التفسير اللغوي في (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي،  
رسالة دكتوراه ماهر جاسم حسن الأومري، بإشراف الاستاذ الدكتور محيي  
الدين توفيق إبراهيم، كلية الآداب، جامعة الموصل، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

ثانياً: الكتب المطبوعة:

١- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (ت ٩١١هـ) جلال الدين عبد الرحمن

بن أبي بكر، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان (١٩٧٢م).

٢- أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن  
التشريعية: الدكتور عبد القادر السعدي، الطبعة الأولى، مطبعة الخلود،  
بغداد، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٣- الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة  
(١٩٧٥م) مكتبة الأنجلو المصرية.

٤- أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العت، دار النفائس،  
بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٥- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك: الانصاري (ت ٧١٦هـ) أبو محمد عبد

الله جمال الدين بن يوسف بن هشام، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة (١٩٦٦م).

٦. البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت ٧٩٤هـ) محمد بن عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي (ت ٩١١هـ) جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م).

٨. تطور تفسير القرآن - قراءة جديدة: الدكتور محسن عبد الحميد، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة، (د. ت.).

٩. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: العمادي (ت ٩٥٠هـ) أبو السعود محمد بن محمد، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

١٠. التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (د. ت.).

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (ت ٢١٠هـ) أبو جعفر بن جرير، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).

١٢. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: الدكتور غانم قسودوري الحمد، الطبعة الأولى، مطبعة الخلود، بغداد، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

١٣. دراسات في أصول تفسير القرآن: الدكتور محسن عبد الحميد، مطبعة الوطن العربي، بغداد، (١٩٧٠ - ١٩٧٩م).

١٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: الحنبلي (ت ١٠٨٦هـ) أبو الفلاح عبد الجي بن العماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د. ت.).

١٥. شرح فحلر الندي وبل الصدي: الأنصاري (ت ٧٦١هـ) أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، دار الفكر، (د. ت.).

١٦. علم اللغة: الدكتور حسام صالح الضامن، مطبعة التعليم العالي بالموصل.

١٧. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجمل)، العجيلي (ت ١٢٠٤هـ) سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت.).

١٨. في البحث الصوتي عند العرب: الدكتور خليل إبراهيم العطية، الموسوعة الصغيرة (١٣٤)، دار الجاحظ للنشر، جمهورية العراق، بغداد، ١٩٨٣.

١٩. كتاب التيسير في القراءات السبع، الداني (ت ٤٤٤هـ) أبو عمرو عثمان

بن سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٢٠. كتاب معاني القراءات: الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: الشيخ أحمد فريد الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) أبو القاسم محمود بن عمر، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

٢٢. مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، دار الهجرة، (د. ت.).

٢٣. مذاهب التفسير الاسلامي: جنس حولد تسهر، ترجمة وتحقيق: الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية، (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، القاهرة.

٢٤. معاني القرآن: الفراء (ت ٢٠٧هـ) أبو زكريا يحيى بن زياد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م).

٢٥. معجم المؤلفين (تراجم محنفي الكتب العربية) تأليف: عمر رضا كحالة، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت.).

٢٦. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: الأنصاري (ت ٧٦١هـ) جمال الدين ابن هشام، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، الطبعة السادسة، بيروت، (١٩٨٥م).

٢٧. مقدمة في أصول التفسير: الحارثي (ت ٧٢٨هـ) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، تحقيق: محمود محمد منصور، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة التراث الاسلامي، (د. ت.).

٢٨. الموافقات في أصول الاحكام: الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي القرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت.).

٢٩. موسوعة الموصل الحضارية: جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

٣٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: الاتاكي (ت ٨٧٤هـ) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن ثوري يري، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، (د. ت.).

ثالثاً: البحوث المنشورة في الدوريات والمجلات:

١. التفاسير اللغوية والنحوية للقرآن الكريم: الدكتور محيي هلال السر حان، مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء (٢٠٤)، المجلد (٢٢)، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٢. الضابط اللغوي في التفسير: الدكتور محسن عبد الحميد، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، بغداد، العدد (٦)، (١٩٧٥م).

ديوان أبي الفتح البستي  
- النسخة الكاملة -  
القسم الثالث

**تحقیق: شاگر العاشور**

**[قافية الراء]**

(474)

## التخريج:

هما في (ج) الطبع (ع) ٢٨ .  
واختلت بهما (ع) .

(من الطويل)

١. إذا ضاق أمر، فسارح ريك، إته

قدیر علی تیسسیر کل غسیر

## ٢ وبين ترقى جورة وانحدارها

**فَكَانَ اسْمُهُ، وَانْجِيزَ كَسْمُهُ**

(۷۶۵)

## التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٨.

والبيتان (٢١ و ٢٢) فقط في طبقات ابن الصلاح (ق ١٧٢).

(من البسيط)

### ١- الشافعي أجّل الناس منزلة

وَأَعْظَمُ النَّاسِ ، فِي دِينِ الْهُدَى ، أَثَرًا

## ٢- العلل سيرة ، والصدق شيعته

والسُّجُورَ مَنْظُومَةً ، وَالْعُرَّانَ نَثْرًا

۲۲. فَمَنْ لَمْ يُبَايِعْهُ، وَابْتَاعَ حَاسِدَهُ

أراك بسـمعت بـخوص الشـخلة الكـثرا

[ قافية الزال ]

(۲۶۲)

هما في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٨.

(من الطويل)

١- إذا نقل الراوون قولاً، ولم يكن

لَهُ مِنْ ذَوِي الْإِيمَانِ وَالذَّهْنِ مَأْخُذٌ

## ٢. فأولى بذي التمييز والمحرّم عرذنة

على العقل، ابن العقل للعقل جهيد

(575)

### التخريج:

هي في (ج) والطبوع ٢٧٤. وأخلت بها (ع).

(من مجزوء الرمل)

### ١. أبرزت وجهها كالأذا

فی الهوی ابی \_\_\_\_\_ رز لاذا

٢. ثم قالت: أيهما أحـ

سین ہذا؟ قـت: لا، نا

٢. أنت لم اُضنيت صنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عرفتني، ثم قالت :

فقـد حـرى الأـمر عـلى ذـا



(من مخلم البسيط)

### ۱- وشادن وجهه نهـاز

وخذلة الغض جلتسار

٢- قلت له: قد جرحت قلبي

(24.)

### التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٩.

(من الطويل)

### ١. أسأت إلى نفسي، وطمأنت من قدرتي

فَعَنَّمْ غَنِي أَخْلَاقِكَ الْقَرُوفِي فَقَرِي

٢- فما العقل إلا خاتم، أنت قصة

(iv)

## التخريج:

هما في (ج) و (ع) والطبوع ٢٩٤.

(من البسيط)

١- عزّلت سمعى، وشمى، والمذاق معا

والحسن عن كلِّ لهو، ماعداً يصْري

## ٢- ومن تجافى عن اللذات قاطبة

من غير عجز، فلا تعدله في الخطر

(iv)

## التخريج:

هما في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٩ وأحسن ما سمعت ١٣٢ وبتيمة الظهر

٢٢٩/٤ ومعاهد التنصيب ١٨٦/٢ .

(من التحفيف)

### ۱- دعای توسل و نیلن سیلا بدارا

**وضلوعی یضلیین بیـالوجد نارا**

## ٢- قد أعاد الأسى نهاري ليلا

مُنذُ أعادَ المشـ \_\_\_\_\_ يبُ ليلى نهارا

## المواد

୨୦୦୮-୧୨





٢- (وإن ذكر الطاءات والستين عنده

تلقى طواسين التلاوة بالكفر)

(٢٨٦)

التخريج:

هي ب (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢.

(من الطويل)

١- أقول لمن لاح الشيب بفوده

والفيتة عن غيه ليس يقصر

٢- عذرتك إن أضلت رشداً خاطئاً

وليل الشباب الوحف داج، فمعذر

٣- فهل لك في سن الكهولة عاذر

إذا زغت عن قصد، وليك مقمر

(٢٨٧)

التخريج:

الأسطر في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢.

٢- لي بكر بن عبد العزيز النيلي في بتيمة النهر ٤/٢١١.

وهي من غير عزو في الأنيس في غرر التجنيس (مجلة المجمع

العلمي العراقي م ٢٢/ج ص ٤٤١).

(من الرجز)

١- من وجهه يطلع نجم المشـ

٢- ياقـ ونة يثمر شهداء، فاشـ

٣- يامن نضا باللحـ

٤- اذا وجلت العرـ

(٢٨٨)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢.

(من الكامل)

١- قالوا: مشيبك قد تبسم ضاحكاً

وهو النهار أناك بـ

٢- فاستوضح القصد اليمين، ولا ترغ

عنه، فإنك في ضياء نهار

٢- فأجبتهم، والحق بسر باهر

لا تستسر ضياؤه بسرار

٤- إن النهار، وإن أضاء، فائما

يهدى الضياء إلى ذوي الأبصار

(٢٨٩)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢.

(من الطويل)

١- إذا جئك الرحمن عندك نعمة

فجئك لها شكرأ، ليؤنسها الشكر

٢- واحسن قراها تستقر، فإنها

نوار، ومن أضدادها الجحد والكفر

٣- إذا ما أحلت نعمة دار غريبة

وأوحشها الكفران، أنسها الذكر

(٢٩٠)

التخريج:

هي جميعاً في (ع) والنز الفريد ٥/٢٧١.

والأبيات (٢٠١) فقط في الأصل و (ج) والمطبوع ٢٢ والتذكرة

السعدية ١/٤٢٠.

(من البسيط)

١- يا من تبخج بالذنيا وزخرفها

كن من صنوف لياليها على حذر

٢- ولا يغرتك عيش إن صفا وعفا

فالمرء من غرر الأيام في غرر

٣- إن الرمان كما جربت خلقة

منقسم الأمر بـ

٤- (كم قد أخاز قوى حيل، فغادرة

لأثمار عليه، وأهي الرر)

(٢٩١)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢.

(من السريع)

(قال ابن أبي البغل في هجاء أبي الفتح): \*

١- لو كان هذا الأمر عن سائس

ميز بـ\_\_\_\_\_ بين العدل والجور

٢- لكتة عن فلك أحرق

يسوسنا بـ\_\_\_\_\_ الحوت والثور

فقال (أبو الفتح) يرد عليه:

(٢٩٢)

التخريج:

هي في (ج) وفي (ع) والمطبوع ٢٣٤.

(من السريع)

١- ابن أبي البغل عندول عن الـ...

\_\_\_\_\_ عدل، الـ الباطل والجور

٢- ولو غدا العقل نصيحاً لـ

وصانة عن وصمة الخور

٣- لصير الفعل لرب الوري

ومبـ\_\_\_\_\_ دح الأفلاك والدور

٤- لكتة شور، فمن ذاك ما

يجعله للـ\_\_\_\_\_ ثور والثور

(٢٩٣)

التخريج:

هي جميعاً في (ع).

والأبيات عدا (٤) في الأصل و(ج) والمطبوع ٢٣٤-٢٤.

(من الطويل)

١- أحب من الإخوان كـ\_\_\_\_\_ مهذب

ظريف السجايا، طيب العرق والتشر

٢- إذا جنته لاحظت من شمس نفسه

على وجهه نورا، يلقب بالبشـ\_\_\_\_\_

٣- ترى جود ذيزجي الزجاء لجود

ويبـ\_\_\_\_\_ ذلة في الورد، رفها من العشر

٤- (وما هو إلا أحمد بن محمد

فلا زال يبقى للمعالي الـ الحشر)

٥- على أن ما عندته من صفاته

وحق الليالي العشر، لم يف بالغـ\_\_\_\_\_

(٢٩٤)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٣٤.

(من السريع)

١- شهد بأن الله ذو قدرة

تحيط بـ\_\_\_\_\_ الأصغر والأكبر

٢- ولا تصفة أنه جوهـ\_\_\_\_\_

فبـ\_\_\_\_\_ من أنكر المتكر

٣- من أبدع الجوهـ\_\_\_\_\_ عن قدرة

فبـ\_\_\_\_\_ أغلى من الجوهـ\_\_\_\_\_

(٢٩٥)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٤ ومعاهد التنصيص ٢٣٠-٢٣١.

(من الكامل)

١- إن كنت تطلب رتبة الأحرار

٢- فاعمد لحلم راجح، ووـ\_\_\_\_\_

٣- وحذار من سفه يشيتك وصفة

٤- إن التسفـ\_\_\_\_\_ المروءة زار

٥- وذر السفه إذا تصدى لأمري

٦- متحلم، ونحاة بـ\_\_\_\_\_ الأضرار

٧- فالماء يطفئ، وهو لين مسـ\_\_\_\_\_

٨- غذب مذاقـ\_\_\_\_\_، لهيب النار

(٢٩٦)

التخريج:

الشطران في (ج) والمطبوع ٢٤.

وقد أخلت بهما (ع)

٩- يبقـ\_\_\_\_\_

١٠- هم

١١- (من الرجز)

١- بنس شعار الزجل الشعارة

٢. نلبسة ذل المعاش عسار

(٢٩٧)

التخريج:

هي في (ج) والمطبوع ٢٥ ٢٤.

وعدا (٨) في (ع).

(من معزوء الخفيف)

١- لي حبيب إذا جفا

٢- وبلائي به، وننا..... ر فؤادي إذا خطر

(٢٠٠)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٥.

(من الطويل)

١- تكذّر لي من كنت أرجو صفاءه

وما كنت أخشى أني يتكذّر

٢- ولكن طبعاً للزمان عرفتة

فما لي لاسي..... لو، ولا أتصبر

٢- إذا حدثت نفسي لنفسي تغيراً

فأنتى يعني غيري ولا أتغير

(٢٠١)

التخريج:

هو في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٥-٣٦.

(من البسيط)

١ أفدي الذي كل شيء من محاسنه

كل ومن نورم تنبش..... أنوار

٢- بدر إذا ما نهى عنه النهي، فله

طرف ب..... عصيان ذاك النهي أمار

٢- تعاون النفس والطبع الكريم معا

فصوّرا، كما يهوى وينتار

٤ فالطبيعة منه حسن صورته

وفي خلايقه للنفس آثار

(٢٠٢)

التخريج:

هما في (ج) والمطبوع ٣٦ وروضات الجنات ٤٦١.

وقد اخلت بهما (ع).

(من الكامل)

١- يا ناعما بسرور عيش زائل

س..... تزول عنه، طائعا أو كارها

(من الهزج)

١- جنفسي تشوة الخمر

٢- ولولا طلب السكر

٢- فما خللت بحظ التف..... س، إشفاقا على قدري

٤- ولكنني سوفحت

٥- وبادرت اعتناق البس..... ر من ليلى الى الفجر

٦- فيا ليلتنا م..... كت..... ت إلا ليلة القدر

٧- ولا زبدة الأنا..... م، أوباكورة الغمر

٨- قضينا فيك أوطار..... هوى، والشكر للسكر

(٢٩٨)

التخريج:

هي في (ج) والمطبوع ٢٥.

وقد اخلت بها (ع).

(من البسيط)

١- هل أنت شار لنفسي من رئيس هوى

ب..... عذبة، أفديك من شار

٢- لولا عذارك لم أصبح حليف هوى

وما غدوت بقلب هائم شار

١- إني خلقت بما في فيك من نزر

وما بسريقك من إري، ومن شار

لأعصين كل لاح في هواك، ولو

فقد الفاصل من نفسي بمنشار

(٢٩٩)

تخريج:

لها في (ج) والمطبوع ٢٥.

خلت بهما (ع).



٢. إن الحوائث تنقل الأحرار عن

أوطانهم، والطير عن أوكارها  
(٢٠٢)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٦ وبيمة الدهر ٢١٠/٤ وزهر الأدب ١٢٥  
ومعاهد التنصيص ٢١٧/٢.

(من البسيط)

١ ما إن سمعت بنوار لفة ثمر

في الوقت يمتع سمنع المرء، والبصر

٢. حتى أتاني كتاب منك، مبيتسم

عن كل لفظ ومعنى أشبه الدر

٢. فكان لسفلك في الأبه زهرا

وكان معنالك في أثنائه ثمر

٤. تسابقا، فأصابا القصد في طلق

لله من شعر قسداً سابق الزهر

(٢٠٤)

التخريج:

هما في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٦ وبيمة الدهر ٢٢٢/٤ والتمثيل  
والحاضرة ٢٢٩ وزهر الأدب ٢٩٨ وبيمة المجالس ٢٢٤/١  
والكشكول ١٥٦/٢.

(من البسيط)

١. لئن تنقلت من دار إلى دار

وصرت، بعد ثواء، زهن أسفار

٢. فالخر خر، عزيز النفس حيث ثوى

والشمس، في كل برج، ذات أنوار

(٢٠٥)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٦ ٢٧.

(من الوافر)

١. قصدتك أركب البيد القفارا

فما أطعمتني خبزاً قفارا

٢. ولم تمتع لنقع صنداي ماء

ولم تقسده لرسسم قراي نارا

٢. ولكني أولي اللوم نفسي

ولسست بقابل منها اعتذارا

٤. لماذا يفتت دار امرئ، لم

يخط لنفسه، في المجد، دارا

٥. فيا قذمي قدمت على خسار

وتسقى بي المذلة والصغارا

٦. ويا قذمي جنيت علي كسرا

فخليعاً، ولا أرى منه أنجب سارا

٧. فمن يقتله ذو نفي، فإني

أرى قذمي أراق دمي جهاراً

(٢٠٦)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٧.

(من الكامل)

١. لنا توليت الأمور، وأظلمت

في ناظري موارد ومصادري

٢. ويئت من كنت أرجو فضلة

وأعده عنوان صنعك ذخائري

٣. وعلمت أني قد أضعت صناعي

ووضعتها في غير خر شاكرا

٤. وافى وفاؤك، وهو أنس ناضر

فأجرتني من صرف دهر جانر

٥. فلا شكرتك شكر روض ناضر

سمنع القماملة بسغيث باكر

(٢٠٧)

التخريج:

هما في (ج) والمطبوع ٢٧.

وأخلت بهما (ع).

وله، ويقال إنها لابن حاجب الشعمان:

(من الرمل)

١- من عذيري من عذول في قمر

قمر قـ امرني، حتى قمر

٢- قمر لم يبق مني حبة

وهو، غير مقـ لوب قمر

(٢٠٨)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والطبوع ٣٧.

والرابع فقط في يتيمة النهر ٢١٦/٤ والتمثيل والحاضر ١٩١٥.

(من الكامل)

١- يا من أراه يمتري بمنوذتي

ما من صفت فيما تحس يمتري

٢- إن كنت قد أبلغت عني سينا

فالتنب فيه للكذب المفتري

٣- أو خيلوا لك أن عهدني أبر

فالحز لا يرضى بعهد أبر

٤- طبعي كطبع المشتري ما فيه من

شر، فهل من مشتر للمشتري

(٢٠٩)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والطبوع ٣٧ و يتيمة النهر ٢١٧/٤ وحماسة

الظرفاء ٢١٦/٢.

(من البسيط)

١- يا من أعاد رميم الملك منشورا

وضم بالزاي أمرا، كان منشورا

٢- أنت الوزير، وإن لم تؤت منشورا

والأمر، بعدك، إن لم تؤتمن شوري

(٢١٠)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والطبوع وزهر الأدب ٥٠٥.

(من الهزج)

١- أبسا العباس لا تحسب بأني

لستني من حلى الأشعار عار

٢- فلي طبع كسلسال معين

زلال، من ذرى الأحجار جار جار

٣- إذا ما أكتب الأدوار زندا

فلي زندا على الأدوار وار

(٢١١)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والطبوع ٢٨.

وهما لأبي الفضل الميكالي في يتيمة النهر ٢٧٧/٤ والمتشابه ٢٩.

(من السريع)

١- لنا مقن سمع صوتة

تكثر في التيه أبا زهرة

٢- طليت لحنا، فأبى طبعه

ورمت ضربا، فأبى زهرة

(٢١٢)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والطبوع ٢٨٤.

والبيتان (٢٠١) فقط في يتيمة النهر ٢٢٦/٤.

(من البسيط)

١- قل للذي غرأ عر، وساعده

فيما يحاوله نقض وإمرار

٢- لا تفخر بغنى أمطيت كاهله

فإن أصلك يسافحار، فحار

٢- هذا، ولكن من الغدار يأنقه

يكون، وهو مع الإقبال، إبدال

(٢١٣)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والطبوع ٢٨٤ والمتشابه ٢٩ والتمثيل والحاضرة

(من مخلع البسيط)

التخريج:

١ وزارة الحضرة الكبير د

هي في (ج) والمطبوع ٢٩٤.

خطية، بل هي الكبـير د

وما عدا البيت الثالث لأحمد بن المؤمل في يتيمة الدهر ٤/١٠٠.

٢ فلا تردّها، ولا تردّها

والأبيات جميعا من غير عزو في الأنيس في غرر التجنيس ٤٤٢.

فإنها محـنة كبـير د

وقد أخلت بها (ع).

(٢١٤)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٨.

١ طرا علي، وقد نام الوري طار

(من الكامل)

من الطيور، فأعطاني بمنقـار

٢ كتاب حب، بعيد الدار، أحسن من

١- لو أنني أفنيت عمري كله

يمشي على الأرض من بباد ومن قار

في وصف شوقي، منطبا، مستحضرا

٢ وفيه: إن كنت لا تهوى مواصلي

٢- لغدوت فيه مفردا، لا مفردا

فأقر الكتاب، فذلك النفس من قار

ورجعت، عنة، معذرا، لا معذرا

٤ تركتني في بلاد، لا أنيس بها

(٢١٥)

كان قلبك من صخر، ومن قار

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٨-٢٩.

(٢١٧)

(من الطويل)

التخريج:

١- لا ليت شعري كيف أصبح طائري

هما في (ج) والمطبوع ٢٩.

بسفير سنيح القال، عندك، مزجورا

وقد أخلت بهما (ع).

٢- ولم صار غيري مؤنسا في نديكم

(من الطويل)

ونخيت عنكم، مكند القلب، منجورا

١- وليل كأصداغ الحبيب قطعة

٢- ومن ذا الذي قد ناب عني عندكم

بـورد كخديه، وجام عـقار

فأبدع منحوتا، وأعرب منجورا

٢- وأنجمة تبدو كأعشار عسجد

٤- فهل كان ذنبي غير أنني تساركت

تضمنتها في الجو جامع قـار

من الشرب حجرا في الشريعة منجورا

(٢١٨)

٥- إلى الله لشكو أنني لتقيتي

التخريج:

تخاشيت منجورا، فأصبحت منجورا

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٩٤ ويتيمة الدهر ٤/٢٢٥ ومعاهد

٦- سألزم همي في التبيذ، وهمتي

التنصيص ٢/٢٠٨ والكشكول ٢/١٢٨.

فقطن لغدولي، أعذلا في، أو جورا

(من السريع)

٧- وأقنتي سبلوا، ثم أعلم أنني

١- قلت لطرف الطبع لسا جرى

وإن صرت منجورا، لقد صرت مأجورا

ولم ينطع أمـري، ولا زجـري

٢. مالك لاتجري، وأنت الذي

تحتوي مدى الغايات إذ تجري

٢. فقال لي: دعني، ولا تسؤني

حتى متى أجري بلا أجر

(٢١٩)

التخريج:

هما في (ج) والطبوع ٢٩ ٤٠ .

وقد اخلت بهما (ع) .

(من الكامل)

١- إن كنت تأمن بالحبيب وشربه

فأصبر على حكم الرقيب وداره

٢- إن الرقيب إذا صبرت لحكمه

بؤاك في مئوى الحبيب، وداره

(٢٢٠)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والطبوع ٤٠ و المنتظم ٧/٧٣ .

والأبيات (٢-١) فقط في يتيمة الأهر ٤/٣٢٤ .

(من البسيط)

١- لقاء أكثر من يلقاك أوزار

فلا تبال، اصندوا عنك أوزاروا

٢- لهم لديك، إذا جاءوك أوطار

فإن قضاها تنخوا عنك، أوطاروا

٢- أخلافهم، فتجنبهن، أو عاز

وقربهن مائث للقلب، أو عاز

٤- أوضار أفعالهم تعدي معاشرهم

فلا يروك، فقصدا من راوا ضاروا

(٢٢١)

التخريج:

هما في المنتظم ٧/٧٣ .

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والطبوع.

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والطبوع،

(من مجزوء الكامل)

١- (كهم منخب قد صافني

فقريته صفحسا وغفرا)

٢- (كهم حاسد صابرة

فقستلته بسالصبر صبرا)

(٢٢٢)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من التقارب)

١- فطرت على الخير، فاخترته

وكل على ما عليه فطر

٢- (فمن وثني كان شكري له

على هذه مثل روض منظر)

٢- (ومكنته من صنيم القواد

وضمخته به الشاء العطر)

٤- (إذا ما وقفت على دوحة

يمر جناها، فبسادن، وطن

(٢٢٣)

التخريج:

هما في يتيمة الأهر ٤/٢٢١ .

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والطبوع .

(من البسيط)

١- (ولا أصافح أنسا بعد فرقتكم

حتى نصافح كف اللامس القمر)

٢- (ولا امل، مدى الأيام، أنسكم

حتى يمل نسيم الروضة السخرا)

(٢٢٤)

ولم نجد لها تخريجا

(من الكامل)

(من الطويل)

١- (ولما رأيت الشعر ينقاد منسجبا

لغيري، ويلقسانني بخدلة، صغر)

٢- (هتفت بشيطانني، فقال نجيبني:

حنانيك، لا أقوى على مدحة البقر)

(٢٢٧)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١- (نصيبك من دنياك لذة ساعة

فلا تنسها، خوف القضاة الخذر)

٢- (فإن كان ما نخشاه أمرا مقننا

فلا بُد من إتيان أمر مقنن)

٢- (وإن لم يقنن ما تخاف وتتقي

فهل عاشق يرضى بسعير مكث)

(٢٢٨)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من الكامل)

١- (يا خاطبا بكر البلاغة، طالبا

أن يستقيم لطبعه تدبيرها)

٢- (الفاظنا هي للمعاني كسوة

وعلى المعاني فليكن تهذيبها)

٢- (لشريفهن شريفها، وطويلهن

من طويلها، وقصيرهن قصيرها)

(٢٢٩)

التخريج:

هما له في مخطوطة روح الروح (ق ٢٢٨).

١ (لا يعظمن عليك أن عصابة

نالوا من الدنيا النصيب الأوفر)

٢- (وارض الثقي خطأ، وعقلك ثروة

والذين عرا، والقناعة مفخرة)

٢- (واعلم بأنك في الثريا بالحجي

والجاهل الأمي من تحت الثرى)

٤- (وارث الجهول، وإن غدا في ماله

وعديده الأثريين في أعلى الثرى)

٥- (لو كان يعلم ذو الجهالة أنه

في أي هاوية هوى، لتفطرا)

(٢٢٥)

التخريج:

البيتان (٤-٢) فقط في يتيمة النهر ٤/٢٦٥ والتمثيل والحاضرة ١٩٠

وزهر الآداب ٢٩٧.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من المتقارب)

١- (أخساي أعقلكم من عكر

فليس لنا قدرة بالقنن)

٢- (ذهينا على غرة، والحروب

سجال، وضوء الليالي كمن)

٢- (لئن كسفونا بلا علة

وفازت قداخهم بالظفر)

٤ (فقد يكسف المرء من دونه

كما يكسف الشمس جرم القمر)

(٢٣٦)

التخريج:

أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا.

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الهزج)

١ (رايت الناس قد حالوا

: فأضحى لي لبهم قشرا)

٢- (فإن زرتهم يوما

فرز عشرا تجد بشرا)

(٢٢٠)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١ (لقد صنع الله الكريم لخلقه

بتبصير علم الغيب سرا مخدرا)

٢- (فلو علم الإنسان علم حياته

تنفس في عز طفى، وتجبيرا)

٢- (فلم يرع مخلوقا، ولم يخش خالقا

ولم يندب معروفا، ولم ينقص منكرا)

٤- (كما لو درى أن الوفاة قريبة

لأصبح كرا يائسا، وتحيرا)

٥- (فلم يسع في حرب وتسل، ولم يكن

ليطلب علما، أو يشيد مفخرا)

٦- (فسبحان من أخفى عن الخلق علمه

ودان، كما شاء، الأمور، ودبرا)

(٢٢١)

التخريج:

اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا .

(من مجزوء الكامل)

١ (خبأ الكبار من السكا

ئر، والصغار من الصغار)

٢- (فاختر لنا دون الجزو

ر منهما فوق العشرا)

(٢٢٢)

التخريج:

هما في ثمار القلوب ٦٢٢.

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الخفيف)

١- (قلت لي: قد خفيت، قلت: كبر

صار يخفى من بعد أن كان يسيرا)

٢- (أنا خفاف كليلة القدر في النا

س، وعال كليلة القدر قسرا)

(٢٢٢)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من المتقارب)

١- (يقولون لي لو خطبت الوزارة

فإن الوزارة صنوا الإمارة)

٢- (قلت لهم: ساء ما اخترتم

وذو الجهل كيف يجيد اختياره)

٢- (إذا بيعت ديني بدينيا سواي

فقد خسرت صفقتي في التجارة)

(٢٢٤)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من المتقارب)

١- (فديتك لا تحتقر خدمتي

فأنت تجل عن الإحتقار)

٢- (ولا تعدلني على لثني

كسوتك من وشيك المستعان

٢- (فقد يغرس الرء عرسا، فيهم..

سدي لة ذلك الغرس حلوا الثمان)



٤ (وكم قد انفاض على البحر غيم

وما القيم إلا بخاز البحر

(٢٣٥)

التخريج:

هما في تاريخ دمشق ٥١٠/١٢.

وقد أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

(من مجزوء الكامل)

١- ما أجهل الإنسان بالـ

دنيا، وأعجب أمره

٢- أضحي يشيد قصرة

والسوت يهدم عمرة

(٢٣٦)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من الهزج)

١- كن على التحقيق خيرا

واعبدن سرا وجهرا

٢- وانو خيرا، واجتنب، ما اسـ

طعت، أن تنوي شرا

٢- من نوى للناس خيرا

عنهم بـ الخير طرا

(٢٣٧)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من الخفيف)

١- لا يقرنك الزمان بيسر

وسرور، ولا يزعك بغسرة

٢- (إن مر الزمان يكشف عسر الـ

مرء في لحظة، ويمحق يسره

٢- (وسواء إذا انقضى في نسيم

يوم كسرى، ويوم صاحب كسرة)

(٢٣٨)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من السريع)

١- أما أبو نصر فتدل إذا

بلوت، أو فتشيت أخبازة

٢- زاد على أسلافه في المدني

سنة من نهب، ومن غارة

٢- كذب الفارة إذ زاد في

تنجيسة البئر على الفارة

(٢٣٩)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١- (أحب من الإخوان كل أخ بر

نصيح لمن أخاه في السر والجهر)

٢- (يطاوعني في الخير، أنقاد نحوه

ويثني عناني إن جمحت إلى الشن

٢- (ويزعي ذمامي ماحييت، وإن أنت

رعى عهد ودي، منذ أزمانه الدهر)

٤- (فأقسم لسو بليت يميني بمثله

لقاسمته مالي، وشاطرته عمري)

(٢٤٠)

التخريج:

هما من غير عزو في الأنيس في غرر التنجيس ٤٢٩.

وقد أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١ (أجرني من دهر أساء جواره

ولست ترى كالدهر سوء جوار)

٢- (فرسك جاز منذ عرفتك، إنه

إذا جاز دهر، كان عونك لي جاري)

(٢٤١)

التخريج:

هما في يتيمة الدهر ٢٢٢/٤ والتمثيل والحاضرة ١٢٧ والجموع الخطي (١٢٧٠٧/١٢ق).

وقد أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١ (إذا حينئذ كان طعنة ضده

توقاه، كالفار الذي يتقي الهرا)

٢- (ولاشك أن المرة طعنة دهره

فما باله، يا ويخ، أمن الدهرا)

(٢٤٢)

التخريج:

هي في التمثيل والحاضرة ١٦٢-١٦٣.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من السريع)

١- (لنا صديق خير أحواله

إفصائه للخير والشر)

٢- (ينجر في كل جريز، فلا

تراه، يوماً، غير متجن)

٢- (كأنه باب المضاف الذي

ليس يواتيه سسوى الجر)

(٢٤٣)

التخريج:

الأسطار في يتيمة الدهر ٢٢٢/٤.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الرجز)

١- (الذ من رش فرضاب الحور)

٢- (ومس من رضاع ذرة السرور)

٢- (والجبارم الزلال للمخمور)

٤- (رشاء من فم الشكور)

(٢٤٤)

التخريج:

أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لهما تخريجاً.

(من الخفيف)

١- (زورة فردة إذا ضعف المر..

ء، وطال الطريق، تعدل عشرا)

٢- (فاصرفوا عني اللام لضعفي

واعنروني إن صار وردي عشرا)

(٢٤٥)

التخريج:

هي في التذكرة السعدية ٢٩٦/١-٢٩٧.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الهزج)

١- (إذا أحببت أن تحيا

منصون الجاه والقدر)

٢- (وإن تأمن شر الناس

س من مكر، ومن غدر)

٢- (فلا تحرم على مال

ولا تطمح إلى صغر)

٤ (وأكثر قول: لا أدري

وإن كنت تأمن شره يدري)

(٢٤٦)

التخريج:

البيتان (٢٠١) فقط في يتيمة الدهر ٢٢٢/٤.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١- (أحرك بالتذكير قوماً، لعله

يفتح من أسماعهم شدة الوقر)

٢. (وإن كان تحريكي يشق عليهم

فإن طنين الزير والبنم بالتشـ

٣ (تعجبت متى، إذ أتيتك مشنيا

ببعض الذي أوليتنيه من البر)

٤ (وما لنا إلا الزوض أثني بنور

على الغيث، إذ رواه من سبل القطر)

٥ (هديت، بلا مهر، عروس مبرقة

فأهديت عطرًا للعروس من الشكر)

(٢٤٧)

التخريج:

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجًا.

(من الكامل)

١. (ياراغبا في الحمد والشكر

ومنتيما بـ فضيلة الذكر)

٢. (فيند برك شكر ذي أمل

قالر' فيـ أوابـ الشكر)

(٢٤٨)

التخريج:

البيت الثاني وحده في يتيمة الدهر ٢١٦/٤ والتمثيل

والمحاضرة ١٩٢ وزهر الآداب ٢٩٩.

وقد أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١. (عليك بخسن الصبر في كل موطن

من الأمر، كي تحـ بـ حسن المصادر)

٢ (فلا تفرغن من كل شيء مفرغ

فما كل تقـ ريع البروج بـ ضائر)

(٢٤٩)

التخريج:

هي في الدر الفريد ٢٠٥/٢.

والبيت الثاني وحده فيه ١٧٥/٢.

وأخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١. (رأيتك لا تهوى سوى المجد والعلی

كـأنتك مسـن هـذا وذاك مننوز)

٢. (تواضعت لا زادك الله رفعة

كذلك نفس النطق لا تتكـنر)

٢. (وما نلت من دنياك عراً ورفعة

وإن كبراً، إلا وقـ درك أكبر)

(٢٥٠)

التخريج:

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجًا.

(من السريع)

١. (قلبي في هاجرة يلتظي

منـد أثنائي وافـد للهجر)

٢. (يا من حجرت الرسل عني، فلا

تسـفك دمي بـ الهجر والخجر)

(٢٥١)

التخريج:

أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجًا.

(من الخفيف)

١ (لي أع جامع غزارة بحر

في المعاني، إلى عنوبـ نهر)

٢. (اعجز السابقين من غضب الـ

كتاب، حـين ازدهوا بـ نظم ونثر)

٢. (يا لبا الفضل ليس يعدوك وصفي الـ

ذي قلت، فاقض واجب شكري)

(٢٥٢)

التخريج:

هما في يتيمة الدهر ٢١١/٤ ومعاهد التنصيص ٢١٧/٢.

(TOD)

### التخريج:

أَخْلَى بِهِمَا الْأَصْلَ وَ(ج) وَالْمَطْبُوعَ،

ولم نجد لهما تخريجا.

(من المثلث)

١. (الا لا يغرنن الفتى خفض عيشة

یرفٰ لها غصن، ویبسم نواز)

(101)

## التخريج :

أُخِلَ بِهَا الْأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ.

## التخريج:

(من اليسيط)

۱۔ (اللہ پر زمانِ عشتِ مفتیطا)

فیه، وگنت بے، جڈان منسرورا)

٢- (أَيَّامُ إِذْ لَمْتَىٰ مُوسَىٰ وَغَالِيَةُ

ما ذر فيه وفيها الشمسيتب كافررا

۲) غایت محاسنها، غایت مقامتها

ما نَسُوا اللَّهَ مِنْ لَدُنْهَا شُؤْرًا

4 (لا رأى البيضن بيض الشعر قد كسنت

زور الخضاب، غدت عن وصلتي زورا)

5. (كذا الشجود إذا ليل دجا برزت

إذا ما رأيت نورا، غلبت نورا)

### التخريب:

(FOI)

## التخريج :

أخْلَ بِهَما الأَصْلُ و (ج) والمَطْبُوعُ،

ولم نجد لهما تخریجا.

(من الكامل)

۱ (یا عابسا فی وجه عافیہ استمع

**فَقُولِي، فَفِيهِ النُّورُ وَالنَّوَارُ)**

٢- (قدّم) إمام الشّجّج بشرّا طيّبا

فالبشرُ صبح، والتجاع نهار)

(٢٥٨)

التخريج:

أُخْلِ بِهَما الأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَلَمْ نَجِدْ لِهَما تَخْرِيجاً.

(من الخفيف)

١- (قُلْ لِمَنْ جَاوَزَ الْمَكَارِمَ جَاراً

إِتَّقِ الْجَوْرَ، إِنَّ أَخَوَ الْجَوْرِ جَاراً)

٢- (وَأَنْفَ جَاراً يَكُونُ صَخْرًا، وَلَا تَبْ

صُرْ فِيهِ تَحَلُّلاً وَانْفِجَاراً)

(٢٥٩)

التخريج:

أُخْلِ بِهِ الأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ تَخْرِيجاً.

(من الوافر)

١- (صَفَائِحُ أَوْجِهَةِ الْخِذَامِ فَاعْلَمْ

صَحَائِفُ غَيْرِ مُشْكَلَةِ الشُّطُورِ)

(٣٦٠)

التخريج:

أُخْلِ بِهَما الأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَعَجَزَ الْبَيْتُ الثَّانِي وَحَدَّ لَهُ فِي التَّمْثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ ٢٤٨.

(من الكامل)

١- (وَمُفْتَدِرٍ رَائِي، وَقَدْ أَنْشَدْتُهُ

قَوْلًا، رَأَيْتُ فِيهِ جِدًّا مُعْتَرٍ)

٢- (فَمُنْحَتَةٌ مَتَى جَوَابًا مُفْجَعًا

سَخَفَ الزَّمَانَ، فَإِنْ سَخَفًا فَاعْتَرِ)

(٣٦١)

التخريج:

أُخْلِ بِهَما الأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَلَمْ نَجِدْ لِهَما تَخْرِيجاً.

(من الكامل)

١- (مَدَحُوا السُّكُوتَ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَنْ تَرَى

مِنْ ذَا الْوَرَى إِنْ قَالَ قَوْلًا أَهْجَرًا)

٢- (إِنَّ السُّكُوتَ هُوَ السُّقُوطُ، وَإِنْ يَكُنْ

حَسْبُكَ السَّلَامَةُ فِي ذِرَاذِ أَوْفَرَا)

(٣٦٢)

التخريج:

أُخْلِ بِهَا الأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَلَمْ نَجِدْ لَهَا تَخْرِيجاً.

(من السريع)

١- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا، وَارْبِعُوا

فَكُلَّكُمْ بِسُوءِ الْجَهْلِ مَغْمُورًا)

٢- (يَلْتَقِطُ الْأَنْفَاسُ أُنَامَةً

وَهُوَ بِسُوءِ جَذْلَانِ مَسْرُورًا)

٣- (كَأَنَّمَا يَنْقُصُ مِنْ عُمْرِهِ

وَقَدْ زِيدَ فِيهِ، فَهُوَ مَغْمُورًا)

سُوسِ (٣٦٣)

التخريج:

الْأَبْيَاتُ (٢-١) فَقَطَّ فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٥٨٥.

وَقَدْ أُخْلِ بِهَا الأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ.

(من المتقارب)

١- (عَلِيٌّ بِهَا لَا كِنَارَ الْخَلِيلِ

فَسِرْ ذَا الْمَدَامِ يَزِيدُ الْفَتُورَا)

٢- (وَلَكِنْ كِنَارُ الشَّبَابِ، الَّتِي

تَحْسِنِي الثُّفُوسَ، وَتَحْسِنِي السُّرُورَا)

٣- (إِذَا شَرِبَ الْمَرْءُ مِنْهَا ثَلَاثًا

رَأَى النَّاسَ، مِنْ فَوْقِ خَدْيِهِ، نُورَا)

٤- (يَطُوفُ بِهَا شَادِنٌ لَا تَسْرَا

ذَا، كَالْفُورِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نُفُورَا)

٥- (يَقُولُ لَخَاتِلِهِ وَالْحَبْلُ

فَ حِينَ يَسْقِيهِ، مَقَالًا بَشُورَا)

٦- (لَنَا الْعَيْدُ، لَسْتُ لَهَا تَنْعَمَانِ

عَلِيَّ جَسْمَانِي، كَنُودًا، كَفُورَا)

٧- (إِنْ سَمْتَمَانِي سَقِيَا عَدَلَتِ

وَإِنْ سَمْتَمَانِي فَجَسُورَا، فَجَسُورَا)

(٣٦٤)

التخريج:

الأبيات (٩٧) فقط في يتيمة الدهر ٢١٦/٤-٢١٧.  
والبيتان (٩٨) في التمثيل والحاضرة ١٩٢.  
وقد أخل بها الأصل و (ج) والطبوع.

(من الخفيف)

١- (أي قنر، إذا اعتبرت، كقنري

أي فخر مؤثّل مثل فخري)

٢- (غرسني يد الكريم أبي نص

ر، فأعظم برتبتني، وبقنري)

٣ (حرسني عناية منه، سلت

نصل إنصافها على جور دهري)

٤- (كنت أفحمت منذ عشرين عاماً

فجلاً فكرتي، وأطلق شعري)

٥- (حل إحسانه عقال مقالي

فانظر، الآن، كيف نظمي ونثري)

٦- (فسأني عليه سرّاً وجهرًا

وسأوليه شكر روض لقطر)

٧- (أي عذر إن صام عنه ثنائي

وأناء الدهر، منه في يوم فطر)

٨- (وأنتم الأشياء نوراً وقدرًا

بشكر ششكر زفت إلى صهر بر)

٩- (ما قران السبعين في الحوت أبيه

منظراً من قران بر وشكر)

(٣٦٥)

التخريج:

البيتان (٢٠١) فقط في مخطوطة لمح الملح (ق ٧٧).  
والأبيات (٥٢) في (ع)  
وأخل بها الأصل و (ج) والطبوع.

(من الطويل)

١- (إذا قيل هل في الأرض للناس مدرّة

يفوق ويعلو من ترون مدارها)

٢- (أشرت إلى الشيخ الجليل، لأنه

سواء، ومن في الأرض تحت مدارها)

٣- (وإن خط للعلاء داراً منيفة

فراي عبيد الله قسيم دارها)

٤- (لقد جمعت فيك الكارم كلها

فيا دهرنا، دار الكارم، دارها)

٥- (وزيت قلوب الخالدين، فعش لها

وبالعز تحوي منه لقصى المدى رها)

(٣٦٦)

التخريج:

هما في يتيمة الدهر ٢١٨/٤.

وأخل بهما الأصل و (ج) والطبوع.

(من المتقارب)

١ (كان الغصون وقد أينعت

بما حملت من بـ شيع الثمان

٢- (رقاب الأنام، وقد أصبحت

منقلة بشش الأيادي الكبـ

(٣٦٧)

التخريج:

أخل بالأشطار الأصل و (ج) والطبوع.

ولم نجد لها تخريجاً.

(من الرجز)

١- (خطأ أبيـ في نصر كروض ناضر)

٢- (فيه جلاء كل طسرف ناظر)

٣- (بمنظـ وفي على الناظر)

٤- (سـ واذه نور يرا ناظري)

(٣٦٨)

التخريج:

أخل بها الأصل و (ج) والطبوع.

ولم نجد لها تخريجاً.

(من الوافر)

١- (أع لي لقطه ذرـ وكل مقالـ بر)



٢ ( فلا من وعدد مطبل ولا في ورده عسـ )  
٣- ( تلقائي فحياني بوجه قشره بشر )  
( ٢٦٩ )

٢ ( يرى القذى من ذنوبي ولا يـ )  
ولا يـ ( يرى جزل عذري )

التخريج:

أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لها تخريجا.

التخريج:

( ٢٧٢ )

هي في يتيمة النهر ٢٢٨/٤.  
وقد أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الكامل)

(من البسيط)

١ ( يا من إذا أجنى سواد علقما

ببسيانه، أجنى المسامع سكر )

٢ ( قد طال صنحوي من لسانك سيدي

فأنز علي الوصل حسنى أسكرا )

( ٢٧٠ )

التخريج:

أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١ ( اتاني كتاب منك ظاهرة عذ

وباطنة أتى تأملته بسر )

٢ ( كتاب لو أن السحر يعني غناء

ويبقى كما يبقى، لقلت: هو السحر )

٢ ( فقرت به عيني، وبلت به يدي

وغازلة قسلي، وعانقته الصدر )

٤ ( وخر لما أبداه شكري ساجدا

ومثل الذي أوليت يعبد هذه الشكر )

( ٢٧١ )

التخريج:

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لهما تخريجا.

(من المجت)

١ ( لي صاحب ليس يدري

ما قنر غسيري، وقدري )

(٢٧٤)

التخريج :

هي في يتيمة النهر ٢١٩/٤ وزهر الآداب ١٣٦.

والبيتان (٢١) وحدهما، من غير عزو، في تحفة الوزراء ٢٥.

وقد أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الخفيف)

١- (جمع الله في الأمير أبي نصير)

ســـــــــــــــــر خصالاً، تعلو بها الأقدار)

٢- (راحة بركة، وصندراً فضاءً)

وذكاة تبيـــــــــــــــــدو له الأســـــــــــــــــراز)

٢- (خطوة روضة، والفاضة الأز)

هاز يضجـــــــــــــــــر كن، والمعاني ثمار)

(٢٧٥)

التخريج :

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا.

(من البسيط)

١- (لاتدخر ممكنا من شكر عارفة)

لعــــــــــــــــوز، فتضاهي فــــــــــــــــل من كفرا)

٢- (واشكر، وإن كنت مهبور القوى، خصيرا)

فالأرض، وهي جماد، تشــــــــــــــــكر المطرا)

(٢٧٦)

التخريج :

أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من البسيط)

١- (يالهدف نفسي على عمر مضى هنرا)

لم أقــــــــــــــــض منه، ومن لثاقه وطرا)

٢- (إذا تذكرت من أيامه ذورا)

ساحت دموعي على أمرادها ذورا)

٢- (وما عجزت، ولكن صنتني قننر)

حستم على حكمه أن يعجز القبرا)

(٢٧٧)

التخريج :

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا:

(من المنسرح)

١- (ما حيلتي، والرمان منقرد)

دونني بفســـــــــــــــــخ الذي أدبرد)

٢- (فدابة حك ما لقذمة)

نغم، وتقســـــــــــــــــم ما أخزذ)

(٢٧٨)

التخريج :

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا.

(من السريع)

١- (رب فتى في الشجد من غفلة)

أصبــــــــــــــــح من دنياه في غور)

٢- (من ها هنا جاز جميع الوري)

وقال من قد قال بالجور)

(٢٧٩)

التخريج :

أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١- (أرى الظلم إما أن يكون بقوة)

وبــــــــــــــــطش، وإما بـــــــــــــــــ المكيدة والمكر)

٢- (وأدهى بها ظلم الكائنة)

يفوق سهم الظلم من حـــــــــــــــــسيت لا تدري)

٢- (فكن خذراً من كل خبيث مكائد)

يكيدك في ســــــــــــــــر، ويلقــــــــــــــــك بالبشــــــــــــــــر)

(٢٨٠)

التخريج :

هي له في اللز الفريد ٢٤٧/٢ .

وقد اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

(من السريع)

١- (الناس كالتبت، فمن شاكر

لأول القطر من السبر)

٢- (نعم، ومنهم جند جاحد

ناس لحق النعم الدثر)

٣- (إن عام في الأنعام إحسانه

فهو على الشغل من الشكر)

٤- (فاستبر احوالهم قبل أن

تودعهم شيتا من البذر)

(٢٨١)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من السريع)

١- (رايت مضرايا على السور

كأنة موسى على الطور)

٢ (فقلت كالباحر عن حاله

والأمر عتي غير منسجور)

٣- (فقال، والبائن في قوله

مجنب للأفسك والروور)

٤- (أطلب إسرائيل في أرضكم

لعلة ينفع في السصور)

(٢٨٢)

التخريج:

اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا.

(من المتقارب)

١- (وأي فقير الى سيد

بهش الى الكرم الدائر)

٢- (إذا ما عثرت بنجب أقال

وقال: لعا لك من عاثر)

(٢٨٣)

التخريج:

هما له في الإيجاز والإعجاز ٩٤ وخاص الخاص ١٤٩.

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من مخلع البسيط)

١- (إذا ازدرى ساقط كريما

فلا يطولن ضيق صدره)

٢- (فاكثر الناس منذ كانوا

مما قدروا الله حق قدره)

(٢٨٤)

التخريج:

هما له في يتمية الدهر ٢٢٢/٤ والتذكرة السعدية ٤١١/١ والجموع

الخطي (١٣٧٠-١٣٧١ ق/ب)

(من الكامل)

١- (ذكر أخاك إذا تناسى واجبا

أو غن في آرائه تقصير)

٢- (والرأي يصدأ كالحسام لعارض

يطرا عليه، وصقيل التذكير)

(٢٨٥)

التخريج:

هما له في يتمية الدهر ٢٢٢/٤.

واخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من المتقارب)

١- (إذا خذل المرء من نفسه

فليس له من سبيل واذ نصير)

٢- (وشتر سلاح يحامي به

لسان طويل، وباع قصير)

(قافية الزاي)

(٢٨٦)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٤٠.

(من البسيط)

٢- قبلها سكباجة صفـ

١- اخل الأنام وما قالوا، وما لمزوا

راء، خدن الدوق مسـرة

لا يهـمزتلك ما غالوا، وما همزوا

٤- وشـراب، من رآه

٢- فالتاس كلهم اعداء ما جهلوا

أخذتـة منـة هـرة

وليس من طعنهم للمـرء منـسـترز

(٢٨٩)

٢- إنا عجزت، فلم تسعد بـثروتهم

التخريج:

فانظر، تجنهم، عن العلياء قد عجزوا

هما له في بتيمة الدهر ٢٤٧/٤ .

٤- من كان من عقله في ثروة وغنى

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والطبوع .

فليس يزري بـهـ، في ماله، العوز

(٢٨٢).

(من الوافر)

التخريج:

١- (أبو روح أدام الله عـره

هما في (ج) و (ع) والطبوع ٤٠ وزهر الآديب ٢٢٤.

الد، إذا انبرى للخصم عـره

(من الطويل)

٢- (وذلك لأنة هجر الملاهي

١- لنن عجزت عن شكر برك قوتي

فصار كـنـيرا، والعلم عـره

(٢٩٠)

فاقوى الوري عن شكر برك عاجز

التخريج:

٢- فإن ثنائي واعتقادي وطاعتي

هي له في مخطوطة روح الزوج (ق ١٩٦)،

لأفلاك ما أوليتنيـهـ مراكرز

(٢٨٨)

وأخل بها الأصل و (ج) والطبوع .

التخريج:

(من المجتث)

هي في (ج) و (ع) والطبوع ٤١٤٠ .

١- (يا قوم إني مرزا

(من مجزوء الرمل)

وكـلـ خـر مرزا)

١- نحن في الشزهة والمـ

٢- (خرجي كثير، ودخلي

عـة بالشزهة نـهـرة

نـرـة، فـسـلم لا أعـرى

٢- (فالخرج لا يتناهي

٢- ولـدينارزة بيـ

والدخـل لا يتجـرى

ضـاء من تحت إورـة

## الهوامش

(٢٦٥)

والكشر، خمار النخل .

(٢٦٦)

١- في (ع) : "الناس مرتبة".

تنظر بشاته جريدة المصار .

٢- في (ع) : "فقل لمن باع بالنعمان سيرته".

١- في المخطوط (١٣٧٢٩) ، "شوها إليك تحارز".

٢- في (ج) والطبوع : "واستاع كاسده". وفي (ع) : "ضلت، بعث بخوص".

٢. في المخطوط أعلاه: "طرف العلوم".

٢. في من غاب عنه الطرب: "فانعم علينا بالهدار.. ساعات إلهام السرور".

(٢١٧)

١. في (ع): "لما لوتيت نكرا".

(٢١٩)

١. في (ع): "وجهه بهاز".

(٢٢١)

٢. في (ج): "فلا تعذله".

(٢٢٢)

١. في البيتة ومعاهد التنصيص: "تسيل سيلاً". وفي (ج): "ودموعي يصلين وهما".

(٢٢٢)

٢. في (ج) والمطبوع: "فالعذل ينفيه". وقد ورد هذا البيت في (ع) كذا:

فالمك يبقى مع الكفر البهيم، ولا

يبقى على الجور من بدم ومن حضر

(٢٢٤)

١. في (ع): "لئن أبعد الدهر"، ونراها الزواية الأصوب.

٢. في (ع): "يا اعطر الناس ذكرا".

(٢٢٦)

٢. في (ع): "جري في حيث روح الزوج يجري".

٣. في (ع): "نشأت بطول".

(٢٢٧)

٢. في (ع): "غار السدى والندى".

٧. في (ج) والمطبوع: "مالم يحوه عاقل". وفي الأصل و(ج): "عقل بلا نحر".

وفي المطبوع: "أضيق من عقد".

(٢٢٨)

٢. في (ع): "سني وميعتي... شاب سني مع الشعر".

(٢٢٩)

٤. في (ع): "واي جرم جنيت حتى" مكررة كما في البيت السابق.

(٢٨٠)

١. في (ع): "دعوني ورلي... بصير بما أفري والقطي".

٢. في بيتة الدهر والنتخلم: "إذا مر بي يوم". وفي التمثيل والحاضرة:

إذا مر بي يوم ولم آخذ يدًا. وفي البيتة والتمثيل: "ولم استقذ علما".

(٢٨١)

١. في المطبوع: "أبا النفس إن ناصحت".

(٢٨٢)

١. في (ع): "أنفس شيء... من أفتنى العلم".

(٢٨٢)

\* ما بين القوسين كلمة بذينة حذفناها.

١. في الفتح الوهبي والبيتة: "تلعن" بدل "تشم".

٢. في (ع) والبيتة: "إله الناس".

(٢٨٤)

١. في المطبوع: "إذا وليت فأمر".

(٢٨٥)

٢. في (ج): "حين يقطر بالقطر".

(٢٨٦)

١. في الأصل: "من غيه".

٢. في (ج): "عذلتك إن أضلت".

(٢٨٧)

٢. في (ع): "مهما وجدت".

(٢٨٨)

١. في (ع): "قد تهدي ضاحكا".

٢. في (ع): "فاستوضح الرشد".

٢. في (ع): "أضاء فإنها".

(٢٨٩)

١. في (ع): "ليونسها الدهر".

٢. في (ع): "فأحسن قراها".

٢. في الأصل: "أنسها السكر". وفي (ع): "أنسها الدهر".

(٢٩١)

\* ما بين الغضادتين متا. وقد ورد في الأصل و(ج) والمطبوع أن هذين

البيتين لأبي الفتح، سهوا. وابن أبي البغل هو أبو الحسين أحمد (محمد) بن

يحيى بن أبي البغل. استدعى من أصفهان، وكان يلي الوزارة في أيام المقتدر،

وكان بليغا مترسلا فصيحاً من أهل المروءات، وكان شاعراً معجوزاً منطوعاً،

وله ديوان رسائل، وشعره في خمسين ورقة (الفهرست ٢٠٢، ٢١٤).

١. في (ع): "الأمر عن عالم".

٢. في (ع): "فلك دائر".

(٢٩٢)

٢. في (ج) والمطبوع: "وصانه من وصمة".

٣. في (ع): "لصير الأمر".

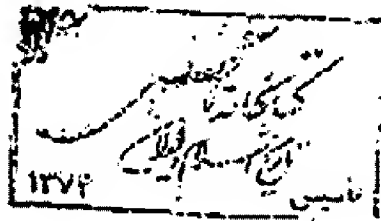
(٢٩٢)

١. في (ع) والمطبوع: "طيب الغرف".

٢. في (ع): "جوده يروي الرجاء".

٤. أحمد بن محمد: هو الوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن أبي زيد، وقد

مرت ترجمته.



(٢٩٤)

(الأعلام ١٣٥/٤). وثانيهما : علي بن عبد العزيز بن إبراهيم، أبو الحسن الذي كان يكتب للطائع العباسي، ثم للقادر من بعده، والذي لقب برئيس الرؤساء، والتوفي سنة ٢٢٢هـ (الأعلام ١٣٤/٥). وهذا الأخير هو الذي تُرجّح للمقصود بـابن حاجب النعمان هنا، لأنه مشهور بكونه شاعراً، وقد ورد في (ج) والمطبوع ٢٧ أن القطعة لحاجب النعمان .

٢. ثمة هامش على الأصل يعلق على "مقلوب القمر" يقول: "يعني رمق".

(٢٠٩)

١. في اليتيمة: "وضم بالزكي ملكاً كان".

وثمة بيت في حماسة الظرفاء يتوسط البيتين، ونراه دخيلاً على القطعة، وهو:

لا زال قالبك للزوار منشوراً وصلز قالبك بالمنشور منشوراً

٢. في اليتيمة: "أنت الأمير". وفي (ع): "والملك بعدك".

(٢١٠)

١. في (ع): "لشيبي عن حلي". وفي معاهد التنصيص: "شيبي عن حلي".

٢. في معاهد التنصيص: "ولي طبع كسلسال الجاري".

(٢١١)

١. في (ع): "سمع خلقه". وفي اليتيمة والمتشابه: "سمع وجهه". وفي الأصل:

"يكثر". وفي (ع): "تكثر في القدر". وفي اليتيمة والمتشابه: "أبدع في القبح لبازيره". والأبازير: الريادات في القول.

٢. في (ج) والمطبوع: "طلبت صوتاً". وفي (ع): "قد رام صوتاً، فأبى خلقه". وفي اليتيمة والمتشابه: "رام غناء فأبى صوته".

(٢١٢)

٢. في (ع) والتتمثيل والمعاصرة وتحسين القبيح: فإنها محنة مبررة. وفي المتشابه: المحنة المبررة.

(٢١٤)

١. في (ع): "في وصف فضلك محتجباً".

٢. في (ع): "لعلرت فيه..... ووقعت عنه معنراً".

(٢١٥)

١. في (ج): "عندك مسجوراً".

٢. في (ج): "مكمد القلب مزجوراً".

٤. في (ع): "وهل كان جرمي حجراً في البرية".

٥. في (ع) تحاميت محجوراً.

٦. في (ع): "سألزم رسمي في التبيذ".

٧. في (ع): "واسلو سلوا".

(٢١٦)

٢. في (ج) والمطبوع: "لاتنوي موأصلتي".

\* هذا البيت ساقط من (ج)، ومضاف في حاشية بخط آخر.

١. في الأصل و(ع): "يحيط".

٢. في (ع): "فإن ذا من أنكر".

(٢٩٥)

٢. في (ع): "وارث السفيه". وفي معاهد التنصيص: "إن السفيه... ونهاه بالضرر".

(٢٩٧)

٢. في (ج) والمطبوع: "طلب الشكر".

٥. في (ع): "وبادرت عناق".

(٢٠٠)

١. في (ع): "وما كنت أدري".

٢. في (ع): "فما لي لا أخشى، ولا اتصبر".

٢. في (ع) والمطبوع: "إذا حدثت". وفي (ع): "فأنت يفي غيري، ولا يتغير".

(٢٠١)

٢. في (ج) والمطبوع: "بدر".

٤. في (ع): "فيه حسن... وفي الملاحسة للنفس". وفي (ج) والمطبوع: "وفي ملاحسته للنفس".

(٢٠٢)

١. في روضات الجنات: "يا مغرماً بوسائل عيش ناعم... ستصد عنه طائفاً".

٢. في روضات الجنات: "الحوادث تزعج الأساد عن... ساحاتها، والطير".

(٢٠٣)

٢. في الأصل و(ج) والمطبوع: "مبتسماً". وفي (ع) ويتيمة النهر وزهر الآداب ومعاهد التنصيص: "يشبه النرر".

٣. في (ع) واليتيمة وزهر الآداب ومعاهد التنصيص: "من لآلئه".

(٢٠٥)

١. في الأصل: "خير أقطار". وفي (ع): "الخبز القفار". والقفار (بالفتح): الطعام الذي لا آدم فيه ولا نسيم. (العين/هـ).

٢. في الأصل و(ج) والمطبوع: "لولي اليوم".

٤. في (ج) والمطبوع: "لأمرئ لا".

(٢٠٦)

١. في (ع): "لم تلونت الأمور".

٤. في الأصل و(ج): "فألفى وفاؤك". وفي (ع): "من ريب دهر".

٥. في (ع): "بصوت باكر".

(٢٠٧)

\* هناك أدبيان بغداديان عرفا بهذا اللقب، وعاشا في زمن أبي الفتح. أولهما: عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود، أبو الحسين، التوفي سنة ٢١٥هـ.



(٢١٧)

٢ في المطبوع: "تضمنته في الجو".

(٢١٨)

١ في (ع) واليتيمة ومعاهد التنصيص: "الطبع لا ونى".

٢ في المعاهد: "تجري مدى العليا". وفي الكشكول: "تحوى مدى العليا".

(٢٢٠)

١ في (ع): "لقاء أكثر من زاروك"، وفي المنتظم: "أكثر من تلقاد".

٢ في (ع): "وفعلهم مأثم". وفي اليتيمة: "ووصلهم مأثم للمرأة".

(٢٢١)

١ في المنتظم: "فقد ضاقتني.... فقرنته".

(٢٢٢)

١ في اليتيمة: "ولا لصالح أنسى".

٢ في اليتيمة: "مدى الأيام ذكركم".

(٢٢٥)

٤ في اليتيمة: "كما تكشف الشمس جرم".

(٢٢٩)

٢ في مخلوطة روح الروح: "فأما زرتهم... فزر غبا تجد".

(٢٣٠)

٤ الكر: الانقباض.

(٢٤١)

٢ في اليتيمة والتمثيل والحاضرة: "بأمن النهر".

(٢٤٢)

٢ في التمثيل والحاضرة: "ينجز في كل جز".

(٢٤٥)

٢ في التذكرة السعدية: "وأن تسلّم بين الناس... من غمر، ومن مكر".

٢ في التذكرة السعدية: "فلا تحرم على وفّر... ولا تطمع".

(٢٤٨)

٢ في اليتيمة وزهر الآداب: "لا تغز عن... ما كل تدبير اليرج". وفي التمثيل

والحاضرة: "ولا تغز عن تربيح اليرج".

(٢٥١)

٣ لعله: أبو الفضل البيهقي، نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان

مسمود الغزنوي، وهو الذي توسط لأبي الفتح عند رئيسه أبي نصر بن

مشكان (كما ذكر ذلك في تاريخه).

(٢٥٢)

١ في اليتيمة ومعاهد التنصيص: "لفظي وشعري".

(٢٥٢)

٢ أسار: أبى. وسورة الشىء: بقية منه.

٥ كذا ورد عجز البيت في (ع) التي انفردت بالقطعة. ولم أعتد ال صوابه.

(٢٥٦)

٢ الصنور: النخل الصفار.

(٢٦٢)

٢ كذا ورد عجز البيت في (ع) التي انفردت بالتسطة. ولم أعتد ال

صوابه.

(٢٦٣)

٢ في اليتيمة: "له عمم... تبهر القمر".

٢ في اليتيمة: "منه فظاهر حسن... وكان باطنه ضد الذي ظهرا".

٤ في اليتيمة: "في السبك والتحقيق".

(٢٦٤)

١ في اليتيمة وزهر الآداب أنه قال هذه الأبيات في أبي نصر أحمد ابن علي

الميكالي.

وانظر بشأنه: يتيمة النهر ٢٠٥/٢.

٢ في اليتيمة: "راحة ثرة".

(٢٧٥)

٢ مهجور القوى: منقطعيها.

(٢٨٠)

٢ في النثر الفريد: "حجر جاحد".

٢ في النثر الفريد: "بمعام أخوانه".

٤ في النثر الفريد: "فاستبر أحوالهم قبل".

(٢٨٤)

٢ في اليتيمة: "فالرئي".

(٢٨٦)

١ في (ع): "ما قالوا، وما همزوا... لا يلزمك ما غالوا".

٢ في الأصل: "للمرء محتوز".

٢ في (ع): "فلم تظفر بشروتهم... فانظر إليهم".

٤ في الأصل و(ج) والمطبوع: "من كان في ثروة من غفلة وغنى".

(٢٨٧)

١ في زهر الآداب: "والقوى الورى". وفي المطبوع: "اعجز".

٢ في الأصل و(ج) والمطبوع: "فإن ثيابي". وفي زهر الآداب: "وطاقتي... ما

أوليتنيها".

(٢٨٨)

٢ في الأصل و(ج) والمطبوع: "حزن الذوق".

(٢٨٩)

١ أبو روح: هو ظاهر بن عبد الله الهروي. (اليتيمة ٢٤٧/٤).

# عبد الرزاق الحسني، شبة المؤرخين العراقيين

١٩٠٣م - ١٩٩٧م

فؤاد يوسف قزنجي

كلية المنصور الجامعة

نشر الحسني إضافة الى كتبه العديدة، كثيراً من المقالات ((البلدانية والتاريخية والادبية)) في معظم الجلات العراقية، وكذلك في مجلات عربية مرموقة كالهلال، والعصور، والكتاب المصرية، والعرفان، والعروبة، والحديث السورية، إضافة الى ما كان ينشره في جريدة الاهرام التي اصبح منذ عام ١٩٢٩ مراسلاً لها في بغداد.

كانت له مراسلات تاريخية وسياسية مع كل من ملك اليمن الامام يحيى، والملك فاروق ملك مصر والملك عبد الله ملك الأردن ومع امير البحرين، ومع الملك سعود بن عبد العزيز وعمه الامير عبد الله وغيرهم وهي حصيلة تاريخية مهمة، ولعل نشرها سيلقي ضوءاً على هذه الشخصيات السياسية العربية التي برزت في منتصف القرن العشرين. كما راسل الحسني مجموعة كبيرة من الكتاب العرب المعروفين آنذاك، إضافة الى ذلك ترسل مع نخبة من المستشرقين والمؤرخين المشهورين في العالم أمثال جاك بيرك وهاملتون كب، وريتر، وكركوك، ودنلوب، ولويس ماسينيون، ومن الروس كراتشكوفسكي، وغفوفوف، وكوتلوف وغيرهم " ولا زالت هذه الرسائل المتبادلة بينه وبين تلك الشخصيات العلمية والثقافية تشكل جانباً مضيئاً من نشاط الحسني العلمي والتاريخي.

كان الحسني قليل الاهتمام بمباهج الحياة متواضعاً صبوراً كرس حياته ووقته للاهتمام بالبحث والتقصي والتأليف في حقل التاريخ، وبعد ان أحال نفسه على التقاعد عام ١٩٦٤م، نشط في حقل التأليف نشاطاً لامعاً.

كان الحسني يبدأ صباحه بالاستماع الى نشرات الاخبار في الساعة السادسة ثم ينصرف الى المطالعة حتى الثامنة، بعد الضحور،

ولد السيد عبد الرزاق الحسني، رائد الجيل الاول من المؤرخين العراقيين في مدينة بغداد عام ١٩٠٣م، ونشأ وترعرع في بيت محب للعلم والعرفان. كان والده عطاراً معروفاً ولذلك سمي اهله بسال العطار. وعرف عن الحسني رزاقته وحببته ودمائه الاخلاقية وتفاؤله، وأهم من كل ذلك اعتداده برأيه، ورغبته الشديدة في المطالعة في كتب التاريخ واهتمامه بمتابعة الوثائق التاريخية. تخرج في دار المعلمين في عام ١٩٢٢م. وبعد تخرجه بدأ ينشر مقالات بلدانية وتاريخية تحت اسم عبد الرزاق البغدادي اعتزازاً بمنشأه. عمل في بداية حياته العلمية مديراً لإدارة جريدة (المفيد) ومراسلاً لها في المدن العراقية. بعد إغلاق جريدة (المفيد)، أصدر جريدة أنبية، تاريخية، اسبوعية باسم (الفضيلة) وقد ظهر عددها الأول في الأول من أيلول عام ١٩٢٥م، ثم صارت تصدر باطراد أكثر من عامين ((وهي مدة قلما عاشتها جريدة أدبية في هاتيك الأيام)) وبعد وفاة والده انتقل الى مدينة الحلة، بعد ان ابتاع بما يملك مطبعة صغيرة، وأصدر هناك جريدة ثانية بعنوان (الضيحاء) في (٢٧) كانون الثاني ١٩٢٧م، ولم يمض عليها وقت طويل حتى سحب امتيازها وصودرت المطبعة. وبعد التجائه الى الفريق جعفر العسكري سعى الى إعادة المطبعة اليه، وأوصى بستعيينه في وظيفة عامة. فعين بوظيفة محاسب في وزارة المالية. وتنقل في وظائف مالية في الحلة، وديالى، وبغداد. وبعد ثورة ١٩٤١م على السيطرة البريطانية، فصل الحسني من الخدمة خمس سنوات، ثم أعيد الى الوظيفة. في عام ١٩٤٩ نقل الى وظيفة في ديوان مجلس الوزراء، وكان موقعا مناسباً له لكونه محباً للتاريخ والوثائق كما انه اصبح قريباً من الاحداث الجسام.

يباشر كتابة ملاحظاته وهو يقرأ الكتاب المرشح لاعادة الطبع أو يضيف عبارات جديدة من وثيقة عثر عليها على مؤلف له يريد نشره. وبعد استراحة الظهر، يعود الى مكتبته العامرة بالكتب التاريخية، والوثائق عن ازمان مختلفة من تاريخ العراق المعاصر. تبلى أكثر من عشرين الف عنوان عدا الوثائق وفيها يستأنف الكتابة أو القراءة، حتى إذا ما حلت الساعة الثامنة مساءً فضل الذهاب مبكراً الى فراشه وهو يستمع الى آخر نشرة من الاخبار بواسطة (مذياع) صغير يحمله معه. كان الحسني نادراً ما يشاهد ما عرضه التلفاز من برامج، ولم يذهب في حياته الى السينما إلا ثلاث مرات ليشاهد أفلاماً تاريخية.

وقلما يذهب مع عائلته لزيارة الاقرباء، ما عدا بعض المناسبات الكبيرة. وفيما عدا رحلاته التي أجرى معظمها في الستينيات والسبعينيات موفداً الى بعض المؤتمرات الدولية في التاريخ والتراث، فإن سفراته الى لبنان كثيرة وخاصة مدينة صيدا التي تم فيها طبع معظم كتبه وذلك في مطبعة العرفان.

كان يحب البقاء معتكفاً في غرفته أو في مكتبته أو جالساً على الأريكة البسيطة الموجودة في ممر (طارمة) قرب باب حديقة الدار. كان لا يضجر من الكتابة والمطالعة صباح مساءً وحياته في غالب الأحيان تسير في رتابة اعتاد عليها أهله، وهو راض بها. ولكن المنفعة لديه كانت تتحقق عندما يزوره الاصدقاء وهم كثر أو مريدوه من الباحثين وطلبة الدراسات العليا في التاريخ فيستقبلهم ببساطة وتواضع ويمدهم بالمعلومات والملاحظات ولا يضجر من تساؤلهم الكثيرة ولا من إلحاحهم.

أصيب الحسني في حادثة دعس عام ١٩٧٨م عندما كان يعبر الشارع من أمام وزارة الثقافة والاعلام في الباب الشرقي الأمر الذي أدى الى كسر خطير في ساقه، وتمت معالجته خارج العراق على نفقة الدولة، وصار يسير معتمداً على عكازة، وبعد بضع سنوات أي في عام ١٩٨٤م أصيب بشلل نصفي وأجريت له عملية، لكنها كانت بدون جدوى.

منحته جامعة بغداد شهادة الدكتوراه الفخرية في التاريخ الحديث كما حصل على وسام اتحاد المؤرخين العرب لكونه مؤرخاً متميزاً.

وأخذ الحسني يفضل تدريجياً البقاء في الدار لكنه ظل شديد الاهتمام بالباحثين الشباب وتروي ابنه في هذا الصدد: ((أنه قبل

يوم من وفاته اتصلت به هاتفياً إحدى الباحثات من طلبة الدكتوراه، فاعتذر أهله، لأن صحته كانت متردية ولما سمع الحسني أن الباحثة قادمة من مدينة البصرة لهذا الغرض. وافق على استقبالها، وظلت تحاوره مدة طويلة، شعر بعدها بالاعياء وفي اليوم التالي أسلم روحه الى الباري تعالى<sup>١</sup> وكان ذلك مساء يوم الاربعاء الموافق للرابع والعشرين من شهر كانون الاول عام ١٩٩٧. وهكذا انقضت حياة مؤرخ رائد كانت حافلة بالاعمال التاريخية المتميزة انثرت ما يزيد عن خمسة وعشرين كتاباً وعشرات المقالات فضلاً عن خبرته ومشورته التي قدمها الى الجيل الجديد من المؤرخين الشباب الذين هم الآن اساتذة ومتخصصون مرموقون.

### أسلوبه في كتابة التاريخ والتأليف

بدأ ميل الحسني في التأليف بوقت مبكر، وهو لا يزال فتى يافعاً لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره معتمداً على إجادته للغة العربية إجادة تامة ورغبته في متابعة أحداث عصره بحس مدرك لأهمية ما يقع ويمكن القول إن فهمه للتاريخ وأسلوب معالجته للأحداث التاريخية مر بثلاث مراحل المرحلة الأولى تمتد منذ بداية العشرينيات حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م وهذه المرحلة تعد بالنسبة للحسني مرحلة التكوين والبداية لأسلوب الحسني في كتابة تاريخ العراق المعاصر. وتميزت هذه المرحلة بالكتابات المتنوعة التي كان فيها الحسني يجرب حظه في الادب والسياسة والتاريخ والعقائد وغيرها، واستمر يكتب ويتابع المصادر الأولية من الكتب التي تصدر في المكتبات الخاصة لدى صدقائه وعند بعض المسؤولين السياسيين.

عندما أصبح مراسلاً متجولاً لجريدة (المفيد) البغدادية سئحت له الفرصة في ان يزور معظم المدن واكتشافها ومعرفة تقاليدها وعاداتها من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب وهناك فتنته عقائد اليزيدية وطقوسهم فقد التقى بشيوخهم في الشبخان وسنجان شمالاً كما جلب انتباهه الصابنة ومعتقداتهم، فحل في وسطهم في العمارة يستمع اليهم ويحاورهم ويقنعهم بأسلوبه المتواضع الرصين بأهمية ان يمدوه بأسرارهم وآرائهم ومعتقداتهم

وبعد كتابه الأول الذي يمثل تجربة بسيطة في الكتابة جرب كتابة رواية أدبية تناولت ثورة العرب على السيلطنة العثمانية، كشف فيها مظالم جمال باشا السفاح وشنقه المجاهدين العرب سماها

(تحت ظل المشانق) نستدل من خلالها على بداية وعي قومي لدى الحسيني وامتداد نظراته التاريخية عربياً، أما كتابه الثالث فكان خلاصة لرحلاته التي زار فيها كثيراً من المدن العراقية. أما كتابه الرابع فإنه تجربة لا تستحق الذكر في الاغاني الشعبية. ثم جرب الكتابة عن الخوارج والشيعة، خلال السنة التالية ١٩٢٦م أصدر كتابين في آن واحد وسنجد أن ملاحظاته التي سجلها عن الصابئة ومحاوراته ومشاهداته عن طقوس اليزيدية قد اثمرت كتاباً صغيراً عن اليزيدية سماه (عبدة الشيطان في العراق) وهو عنوان مثير غير دقيق بل تسمية غير صحيحة لليزيدية لذلك نجد الحسيني حينما يعود الى الدراسات الاخرى وخصوصاً الدراسات المترجمة التي بحثت عن اليزيدية، نجده يعيد النظر في كتبه. أما كتابه الثاني عن الصابئة فكان مثيراً ايضاً، فكلا الكتابين، أحدث ضجة في الأوساط العراقية، حيث بدا انه تعجل في احكامه وان اسلوبه في البحث لم يكن دقيقاً اذ كانت تعوزه النظرة الشاملة واعترض اصحاب تلكما العقيدتين على كتابيه، الى درجة ان الصابئة مثلاً تقدموا بدعوى قضائية ضد الحسيني لأنه في اعتقادهم أتى بآراء مخالفة لشريعتهم. وصمد الحسيني بضعة شهور لأنه معروف بصلابته واعتداده برأيه، ولكن خشيته المحاكم جعلته يقدم لهم اعتذاراً علنياً وانتهت الضجة بسلام.<sup>٣١</sup>

واستمر الحسيني يؤلف فأنجز موجزاً (لتاريخ البلدان العراقية) والجزء الاول من تاريخ الوزارات العراقية عام ١٩٢٢، وكان هذا الكتاب بداية اهتمامه بتكوين الدولة العراقية، ومعرفة ما يدور في الكواليس السياسية من خلال علاقاته الحميمة بكثير من الوزراء وعدد من رؤساء الوزراء أمثال الفريق طه الهاشمي والفريق بكر صدقي ونوري السعيد وغيرهم.

إن مرحلة النضوج في الرؤية التاريخية واهتمامه بالاطلاع على المؤلفات التاريخية المترجمة والمؤلفة آنذاك، جعلته يدرك تفسير كثير من الحقائق الجديدة في مسيرة التاريخ. وهكذا يدخل اسلوب الحسيني مرحلة النضوج التاريخي بعد الحرب العالمية الثانية، تلك المرحلة التي امتازت بنوع من الاستقرار السياسي، جعلت العالم يهدأ والأوضاع المحلية أكثر ثباتاً، فبان مزيد من الحقائق عن تدخلات وتأثير الانكليز في مجريات السياسة العراقية، لاسيما أن الحسيني قضى شطراً من الحرب العالمية معقلاً بعد ثورة ١٩٢١م التي قام بها الضباط الاحرار على السيطرة البريطانية، اذ تم

اعتقاله مع مجموعة من الكتاب والساسة الوطنيين والقوميين في معتقلات خاصة ((نزولاً عند رغبة الانكليز)) كما يقول الحسيني ويستمر قائلاً: ((وقد اسعدنا الحظ فاستعنا بالساسة والشخصيات الوطنية التي ضمها معتقل الفاو ومعتقل العمارة، في ملاحظة فصول كتابنا...)) الذي شرع بجمع الحقائق والوثائق عنه وهو في المعتقل، وبدأ بتأليفه بين عام ١٩٢٥-١٩٢٧م، اظهر فيه الحسيني فهماً لتاريخ العراق المعاصر في كتابه (تاريخ العراق السياسي الحديث).

ونال الكتاب جائزة المجمع العلمي العراقي بعد صدوره مباشرة في عام ١٩٢٨. وبعد حصوله على الجائزة، بدلت شهرة الحسيني تتسع في العراق وبعض الاقطار العربية وخاصة في لبنان حيث كان معروفاً لدى مثقفيها، اذ انه حتى الآن أنجز عشرة كتب معظمها طبعت في مطبعة العرفان بصيدا، وأمست كتاباته منذ ذلك الحين مرجعاً مهماً لتاريخ العراق المعاصر، وبرز رائداً للجيل الاول بعد الاستقلال من المؤرخين العراقيين.

حانت اللحظة التي كان يتمناها الحسيني، بان يعيش في خضم الاحداث السياسية، حينما تم نقله موظفاً في ديوان مجلس الوزراء مسؤولاً عن سجلاته وذلك في عام ١٩٢٩، وهناك أصبح قريباً من كثير من الوقائع التي تحدث وراء الكواليس، والوثائق التي تتجمع لديه بعد تأليف الوزارات واختيار الوزراء وعرف تأثير الوصي في العرش والانكليز في تأليف بعض رؤساء الوزارات وفي عملية التوازن السياسية والعشائرية التي كانت تجري خلف الكواليس، وأصبح في متناول يديه معظم الوثائق الرسمية. ولذلك صارت كتابات الحسيني اكثر التزاماً ومسؤولية عند إبراد النصوص، الى درجة الحرص احياناً على روايتها كما هي دون نقد، ذلك لأن الحسيني لم تكن تشغله أي عقيدة أو فكر سياسي، بل كان رجلاً وطنياً خالصاً وكان تفكيره منصباً على رواية الأحداث بحسب واثباته، فهو يقول بهذا الصدد، ((صدق من قال إنني جامع معلومات واعتقد ان جمع المعلومات من مختلف المظان وعرضها عرضاً سليماً صادقاً، أفضل بكثير من التصرف بهذه المعلومات تصرفاً لا يخلو من النفاق وعدم الحياد تاركاً لقارئ المعلومات ان يفهم الامور على حقيقتها...))<sup>٣٢</sup>

كان الحسيني قد أصدر في تلك المدة كتابه الموسوم (العراق قسدياً وحديثاً) فكان صداه خافتاً، لأن مصادر الكتاب عن العراق القديم لا يعتمد بها. لكنه في عام ١٩٤٨م أصدر كتاباً آخر (العراق في ظل المعاهدات) وأعاد تصحيح كتابه عن (ثورة العشرين) وأضاف

اليه بعض المصادر الانكليزية المترجمة لضباط إنكليز خدموا في العراق وكتبوا مذكراتهم عن ثورة العشرين أمثال: برتوام توماس والعقيد ارنولد ويلسون.

اما المرحلة الثالثة في منهجية الحسني التاريخية فهي مرحلة التكامل في الرؤية التاريخية والاستدلالية التي نضجت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ واحداث تلك المدة التي امتازت بالتقلبات السياسية والاحداث العنيفة. هذه الاحداث هزت تفكير الحسني وغيرت بعض مفاهيمه. وانتهت به الى طلب الاحالة على التصاعد في عام ١٩٦٤م للشروع بتكملة تاريخ الوزارات العراقية والاستمرار في تصحيح كتبه الاخرى واعادة طبعها.

في الخمسينيات برز آنذاك تيار جديد بدأ بتصاعد رويداً رويداً في الدراسات التاريخية ذات المنهجية العلمية، نشأ هذا التيار من المتخصصين في التاريخ العائدين من الدراسة في الخارج الذين كانوا مبسعين من الدولة في الجامعات البريطانية والمحسنة في الغالب أمثال: الدكتور زكي صالح، والدكتور مجيد خدوري في التاريخ الحديث، والدكتور عبيد العزيز الدوري، والدكتور احمد صالح العلي في التاريخ العربي الاسلامي، والدكتور تقى الدباغ، والدكتور محمود الامين في التاريخ القديم، هذا الجيل الجديد من المؤرخين الشباب، أخذ زمام المبادرة في التأليف العلمية التاريخية في مختلف فروع التاريخ، هذا التيار كان يسير مع كتابات الحسني وعبيد العزاوي واضرا بينهما في خطين متوازيين، فظهرت في الستينيات كتابات تاريخية ذات اتجاهات فكرية سياسية متضاربة، بالإضافة الى بروز دراسات تاريخية علمية امتازت بالتحليل التاريخي وتلاقح النصوص والوثائق الاجنبية عن تاريخنا المعاصر، مع النصوص والوثائق العراقية والأهم من كل ذلك وجدنا دراسات نقدية للمصادر الاجنبية المتعلقة بتاريخ العراق ومناقشتها وتحليلها<sup>١٠</sup> وفي هذه المرحلة شرع الحسني في اعادة كتابة مؤلفه الضخم (تاريخ الوزارات العراقية) الذي كان قد اعد له كل العدة من الوثائق والمخطان مضافا اليها كثير من الرسائل والكلمات والملاحظات التي سجلها خلال لقاءاته بالساسة العراقيين. وهكذا اثمرت جهوده في كتاب موسوعي في عشرة اجزاء بعد أن كان جزءان في الطبعة الاولى، وثلاثة اجزاء في الطبعة الثانية، أصبح بعشرة اجزاء بطبعته الثالثة بسين الاعوام ١٩٦٥-١٩٦٩م. وبصدوره عند احد المصادر الرئيسية في تاريخ العراق المعاصر حيث ضم كما هائلاً من الوثائق

الرسمية الدقيقة والوثوقية بين الاعوام ١٩٢٠-١٩٥٨م، كما ضم تفسيراً لكثير من الوقائع والاحداث التي كانت تجري وراء الكواليس في اختيار رؤساء الوزارات والوزراء.

إن توقف الحسني عن كتابة تاريخ الوزارات حتى عام ١٩٥٨ برغم أنه طبع سبع مرات، كما يراه الاستاذ نوري العاني، لاسباب عديدة في مقدمتها ذاتية، تنبع من شعوره بالانتماء الى العهد السابق، فضلاً عن شيخوخته وصعوبة حصوله على الوثائق التي تراكت بكميات كبيرة، وتشتت بين دوائر عدة بسبب توسع الادارة وتعدد المسؤوليات بحيث يصعب على شخص واحد الحصول عليها جميعاً<sup>١١</sup> ونحن لا نتفق مع كل ما جاء في رأي العاني، وخصوصاً ما يتعلق بعبارة ((شعوره بالانتماء الى العهد السابق)) إذ نرى ان الاسباب تكمن في خشية الحسني من الدخول في آراء جدلية حيث ان العهد الجديد بعد عام ١٩٥٨ تضمن تيارات سياسية متعارضة ومعقدة قد لا يريد الخوض فيها إذ كان الحسني لا يحب ان يغلب أي تيار على تيار، ولا جهة سياسية على جهة سياسية اخرى. بالإضافة الى ان الوثائق العراقية عن حقايث ثورة ١٤ تموز، وثورة ٨ شباط شحيحة لأن بعض السجلات والوثائق الخطية فقدت وخلل جزء من اسرارها في صدور الثوار.

ظل النتاج الفكري للحسني في تصاعد مستمر في السبعينيات فكتب عن (ثورة النجف) و(تسخير كربلاء) و(الجيبة الوطنية) وفي بداية عام ١٩٨٠م اصدر كتاباً آخر (تاريخ الاحزاب السياسية في العراق) وفي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات بدأ يكتب بعض المقالات التي تعد تكملة لدراساته وكتاباته التاريخية للاحداث بعد عام ١٩٥٨م، ونشر معظمها في مجلة (افاق عربية)، اثمرت طبع كتابه الاخير (احداث عاصرتها) نشره عام ١٩٩٢م. أما الجزء الثاني من (احداث عاصرتها) الذي يمثل مجموعة اخرى من المقالات التي كان قد كتبها وصححها الحسني قبل وفاته، فقد استطاعت ابنته، السيدة اجلام الحسني طبعه عام ١٩٩٩م ويمثل كتابه الاخير اصدق تمثيل مرحلة النضوج المتكامل في المنهج التاريخي لدى الحسني.<sup>١٢</sup>

### ثبت بانار الحسني اطولقة [مرتبنة زهناً]

١. المعلومات المدنية لطلاب المدارس العراقية: مطبعة الفلاح، ١٩٢٢م.
٢. تحت ظل المشانق، رواية، ادبية، اجتماعية، وطنية. بغداد: مطبعة الفلاح، ١٩٢٤م (كذلك طبعت في السنتين ١٩٢٥، ١٩٢٦)

٢. رحلة في العراق، أو خاطرات الحسني. بغداد: المطبعة العصرية، ١٩٢٤م

٤. الأغاني الشعبية. بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٢٩م.

٥. الخوارج في الإسلام. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٢٩م.

٦. البابيون في التاريخ. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٢٠م.

٧. موجز تاريخ البلدان العراقية. بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٢٠ (كذلك طبع ثانية عام ١٩٢٥م).

٨. عبدة الشيطان في العراق. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٢١م.

٩. الصابئة قديما وحديثا. القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٩٢١م قدم له الكاتب المصري المعروف أحمد زكي باشا.

١٠. تعريف الشيعة. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٢٣م.

١١. تاريخ الولايات العراقية، ط ١، صيدا، مطبعة العرفان ١٩٢٢-١٩٢٣م (جزءان) ط ٢ (١٩٥٢-١٩٦١) ثلاثة أجزاء. ط ٣ (١٩٦٥-١٩٦٩) في عشرة أجزاء. ط ٤ / ١٩٢٤ ثم في السنوات (١٩٧٨، ١٩٨٠، ١٩٨٨، ١٩٩٠).

١٢. العراق في دوري الاحتلال والانتداب. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٢٥م.

١٣. تاريخ الصحافة العراقية، ط ١. النجف، مطبعة الغري، ١٩٢٥م وطبع هذا الجزء في عامي ١٩٥٧م، ١٩٧١م (ولم يطبع جزؤه الثاني بالرغم من إشارته إلى ذلك).

١٤. تاريخ الثورة العراقية. بغداد: (١٩٢٥م) كذلك طبع عام ١٩٢٦م ثم أعاد كتابته وأضاف إليه، وطبعه بعنوان جديد (الثورة العراقية الكبرى) بغداد (١٩٥٢م) ثم أعاد طبعه في السنوات (١٩٦٥، ١٩٧٢م، ١٩٨٠م وذلك في مطبعة دار الكتب بيروت).

١٥. أسرار الانقلاب. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٢٧م.

١٦. العراق قديما وحديثا. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٤٧ (وكذلك طبع في الأعوام ١٩٨٠، ١٩٨٠، ١٩٨٠، ١٩٨٠).

١٧. العراق في ظل المعاهدات. بغداد: د. ن.، ١٩٤٨م (كذلك طبع في الأعوام ١٩٨٠، ١٩٨٠، ١٩٨٠).

١٨. تاريخ العراق السياسي الحديث. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٤٨ (ثلاثة أجزاء) كذلك طبع في السنوات ٥٧، ٧٥، ١٩٨٠م.

١٩. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٥١ كذلك طبع في السنوات ٥٢، ٦١، ٦٤، ٦٨، ٧٥، ١٩٨٠م وهو الكتاب نفسه الذي أصدره عام ١٩٢١م مع إضافات وتصحيحات جديدة عليه.

٢٠. الصابئون في حاضرهم وماضيهم. ١٩٥٥م (وكذلك طبع في

السنوات ١٩٧٨، ١٩٧٠، ١٩٦٢، ١٩٦٢م) وهو الكتاب نفسه الذي أصدره عام ١٩٢١م مع إضافات وتصحيحات جديدة.

٢١. البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٥٧م (وكذلك طبع في السنوات ١٩٦٩، ٦٢م، وكان قد طبع القسم الأول عن البابيين في عام ١٩٢٠م).

٢٢. الأسرار الخفية في حركة ١٩٤١ التحررية. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٥٨ (كذلك طبع في السنوات ٦٤، ٧١، ١٩٧٧م)

٢٣. الأصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية، (١٩٦٤م).

٢٤. ثورة النجف، بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال. (١٩٧٢م) وطبع كذلك في السنتين ٧٨، ١٩٨٠م.

٢٥. الجبهة الوطنية. بيروت ١٩٧٨م (وكذلك طبع ثانية في بيروت ١٩٨٢م).

٢٦. تسخير كربلاء. بيروت: ١٩٧٨م (أعيد طبعه عام ١٩٨٠م).

٢٧. أحداث عاصرتها. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٦م الجزء الأول. طبع الجزء الثاني بالعنوان نفسه عن دار الشؤون الثقافية العامة أيضا عام ١٩٩٩م.

### ثبت بالمصادر والمطابع

(١)، (٢) السيد عبد الرزاق الحسني وآثاره الكتابية في بحر ستين سنة من حياته ١٩٢٠-١٩٨٠ (بقلمه) بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٨٠ (٣) قرانجي، فؤاد يوسف. ((شيخ المؤرخين العراقيين في ذمة الخلود)) جريدة العراق. الأربعاء ١٤ كانون الثاني ١٩٩٨ (ص ٢).

(٤) حديث خاص مع ابنة الحسني السيدة أحلام الحسني في ٢٠٠٢/٢/٣

(٥) دفتر ملاحظات مسجلة عن المرحوم عبد الرزاق الحسني بقلم ابنته (٢٠٠٢م).

(٦) الجبوري، نائلة. ((تكملة تاريخ الوزارات العراقية ١٩٥٨-١٩٦٨)) ندوة نقاشية. مجلة الحكمة، ص ٢ (شباط ١٩٩٠) ص ١٠٥.

(٧) المطيعي، حميد المؤرخ عبد الرزاق الحسني. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩ (ص ٧٠).

(٨) كمال مظهر أحمد. ((الإطار الزمني بتاريخ العراق المعاصر)) مجلة الحكمة، بيت الحكمة، العدد الخامس (١/١٩٩٨) ص ١٦.

(٩) قرانجي، فؤاد. ((أحداث عاصرتها: مجموعة بحوث تاريخية)) جريدة العراق ١٩٩٤/١١/٨ (ص ٢).



# أخبار التراث العربي

حسن عريبي الخالدي

■ آ ■

\* نراء في تعاقب المعاني على حروف الجر (إلى) في القرآن الكريم  
دراسة لغوية محمد توفيق عبد المحسن، الانبارية مجلة العلوم  
الإقتصادية والاقتصادية (الانبار) ٥٤ (٢٠٠٤....) ٦٠.٥

■ أ ■

\* الإبداع العربي في علم الفلك - عبود قسرة، التراث العربي  
(دمشق) ٩.ع، س ٢٢ (١٤٢٤). ٢٠٠٣

\* إبراهيم بن هرمة خاتمة الشعراء القدماء وبداية المحدثين  
أحمد علي دهمان، التراث العربي (دمشق) ٩٤-٩٣ع، س ٢٤ (١٤٢٥)  
٢٠٠٤.

\* ابن الأزرقي بين بدائع السلك وروضة الأعلام: دراسة وتحليل  
نقدي. بركات محمد مراد. التراث العربي (دمشق) ٩٦ع، س ٢٤  
(١٤٢٥).... ٢٠٠٤

\* ابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم المتوفى سنة ٢٢٨ هـ  
سيرته ومؤلفاته مع ملحق فيه مجلس من أماليه وشرح خطبة  
عائشة أم المؤمنين في أبيها ومسألة في التعجب د: حاتم صالح  
الضامن، ط ١، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع،  
١٤٢٥-٢٠٠٤، ١٤٤ ص.

\* ابن خروف والدرس النحوي في الأندلس محمد موعود، التراث  
العربي (دمشق) ٩٧ع، س ٢٤ (١٤٢٥). ٢٠٠٥

\* الأبنية الصرفية عند المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام -  
خولة محمود فيصل التكريتي جزء من متطلبات نيل درجة  
الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بإشراف الاستاذ د. جايد زيدان  
مخلف، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ١٤٢١، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص  
\* أبو بكر الرازي أبو الطب العربي عظام محمد الشنطي.  
تراثيات (القاهرة) ٢٤ (١٤٢٣-٢٠٠٣) ١٢٢. ١٢٦.

\* أبو الخير الأشبيلي وكتابه عمدة الطبيب في معرفة النباتات -  
سليمي محبوب، التراث العربي (دمشق) ٨٥ع، س ٢١ (١٤٢٣). ٢٠٠٢  
\* أثر أبي علي الفارسي في جهود ابن سيده النحوية نادية  
حسكور. التراث العربي (دمشق) ٨٤-٨٣ع، س ٢١ (١٤٢٢). ٢٠٠١

\* أثر استشراف التطور الدلالي في فهم النص القرآني نماذج  
جزئية وموجهات كلية - مهدي أسعد عرار، مجلة مجمع اللغة  
العربية الأردنية (عمان) ٦٨ع، س ٢٩ (١٤٢٥-٢٠٠٥). ٧٧-١٠٦  
\* أثر حروف المعاني في تعدد المعنى، عرابسي أحمد، التراث  
العربي (دمشق) ٨٩ع، س ٢٢ (١٤٢٤). ٢٠٠٣

\* أثر معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن وأعرابه للزجاج في  
الكشاف للزمخشري: دراسة نحوية - سعدون أحمد علي، جزء من

متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة  
بإشراف الاستاذ الدكتور قيس اسماعيل الأوسي، كلية التربية  
(ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤٢٢-٢٠٠٢، ٢٥٨ ص.

\* الاحتجاج بالقراءات في شروح ألفية ابن مالك - محمود نجيب،  
التراث العربي (دمشق) ٨٢-٨٤، س ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٩٨٥-٩٩٠ م.  
للمقدسي محمد بن أحمد (٢٣٦-٢٧٥ هـ / ٩٤٧-٩٨٥ م) حررها وقدم  
لها: شاكر لعبيبي، ط ٢١ أبو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر  
والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ٥١٧ ص،  
ارتقاء الآفاق.

\* أحمد البونني وكتابه التعريف ببؤنة إفريقية بلد سيدي أبي  
مروان الشريف - سعد بو فلاقة، التراث العربي (دمشق) ٩٢-٩٤،  
س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* الأحنف العكبري شاعر المكدين والمتسولين - أحمد الحسين،  
التراث العربي (دمشق) ٩٦، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* أدب الخيال في رسالة الغفران - حسين جمعة، التراث العربي  
(دمشق) ٩٤، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٢).

\* أدب الرحلات، هل سيختفي من الساحة؟ - عبد الهادي التازي.  
الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات.. ١١/١٢-  
٢٤.

\* الأدب العربي بين الأصالة والحداثة - مها خيربك ناصر، التراث  
العربي (دمشق) ٩٦، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* الأدب في الخليج العربي دراسات ونصوص - وليد محمود  
خالص، ط ١، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-  
٢٠٠٤، ٥٥٥ ص.

\* أديرة القدس الشريف - عبد اللطيف خطاب، التراث العربي  
(دمشق) ٨٢-٨٤، س ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* إرشاد الخل لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل - عبد السلام  
بن محمد بن أحمد الحسيني العلمي (١٢٤٦-١٣٢٢ هـ / ١٨٢٠-١٩٠٥)  
انتقاه وقدم له: أحمد عبد الباسط، تراثيات (القاهرة) ٤٤  
(١٤٢٥-٢٠٠٤) ١١٩-١٣١.

\* أساسيات العلوم الفيزيائية المعاصرة في التراث العربي

دراسة تأصيلية أحمد فؤاد باشا، تراثيات (القاهرة) ٤٤ (١٤٢٥-  
٢٠٠٤) ٢٥-٥٤.

\* أسباب التعدد في التحليل النحوي - محمود حسن الجاسم، مجلة  
مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٦، س ٢٨ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ٩٢-  
١٥٦.

\* الاستاذ سعيد الافغاني - يوسف الصيداوي، التراث العربي  
(دمشق) ٩٢، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٢).

\* استدراك الغلط الواقع في كتاب (العين) - للزبيدي أبي بكر  
محمد بن الحسن بن عبد الله الاشيلي الاندلسي (٢١٦-٢٧٩ هـ / ٩٢٨-  
٩٨٩ م) تح د. عبد العلي الود غيري ود. صلاح مهدي الفرطوسي،  
دمشق، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٢ م.

\* استعادة رحالة ورحلته: رحلة ابن بطالان سنة ١٠٤٩ م  
لايوانيس المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطالان  
(طبيب بغدادي نصراني ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) - شاكر لعبيبي، الشرق  
والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٢٥٥-٤٥٠.

\* الاستقسام بالأزلام: عادة عربية انقرضت - اليابلكا، التراث  
العربي (دمشق) ٩٠، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٢).

\* الأسس النظرية للمنهج التعليمي في بلاغة ابن سنان الخفاجي  
- عبد الكريم العياري، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان)  
٦٥، س ٢٧ (١٤٢٤-٢٠٠٢) ٤٥-٨٨.

\* الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية -  
محمد بلدحي، التراث العربي (دمشق) ٩٥، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* أسلوب الشرط بين التعقيد والتيسير (قراءة نقدية معاصرة)  
- شوقي المعري، التراث العربي "دمشق" ٩٥، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* أصناف الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي د: سمير الدروبي  
مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٥، س ٢٧ (١٤٢٤-  
٢٠٠٢) ١١-٤٤.

\* أضواء على المجمع العلمي العربي بالهند أهدافه نشر الثقافة  
الإسلامية والعناية باللغة العربية - وجيه الشربجي، التراث  
العربي "دمشق" ٨٢-٨٤، س ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* أضواء على مؤتمر تاريخ العلوم في إربيد - سسليمي محجوب،  
التراث العربي "دمشق" ٩٠، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٢).

\* إعراب القرآن وعلل القراءات - لجامع العلوم نور الدين أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٨م) دراسة وتحقيق د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، ط ١، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤٢١، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٥٦٠، ص ٥٩٢.

\* أعشيا تغلب أخبارهما وما تبقى من شعرهما. تح: يوخنا مرزا الخامس. العرب "الرياض" ج ٨، ص ٤٠، (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٤٥٢-٤٢٢. ج ٩، ص ١٠، (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥٩٠، ٦٠٨. أقول هما ربعة بن يحيى التغلبي وعمرو بن الأيهم التغلبي.

\* إقتطاف الازاهر والتقاط الجواهر. لشهاب الدين أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الفرناطي الاندلسي (٧٠٩ هـ - ترجيحا ٧٧٩ هـ / ١٢٧٨ م) تح ودارسة: ازمي عز العرب، ط ٢، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٦-٢٠٠٥ م، ص ٥٥، يشتمل الكتاب على الافعال التي جاءت على زنة فغل ومستقبلاتها على زنتي يفعّل ويفعل بضم العين وكسرها.

\* اكتشاف رسم لآحد سيوف النبي (ص) المعروف بـ "الصمصامة" على أحد الدراهم المملوكية - غسان هلال. التراث العربي "دمشق" ٨٢٤، ص ٨٤، (١٤٢٢). ٢٠٠١.

\* الاكتفاء في القراءات السبع المشهورة. لأبي الطاهر اسماعيل بن خلف بن سعيد الانصاري السرقسطي الاندلسي المقرئ (ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٢ م) تح د. حاتم صالح الضامن. ط ١ دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ص ٢٨٨. \* الاكديّة والابلوية - ترجمة: فاروق اسماعيل. التراث العربي "دمشق" ٨٥٤، ص ٢١، (١٤٢٢). ٢٠٠١.

\* التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم - جعفر عابنة مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٦٤، ص ٢٨، (١٤٢٥) ٢٠٠٤. ٤٦، ٩٢.

\* ألحان السواجع بين البادئ والمراجع - للصفدي صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيك ابن عبد الله (٦٩١-٧٦٤ هـ / ١٢٩٧-١٣٦٢ م) تح: ابراهيم صالح، ط ٢ دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ج ٢، ص ٤٤٠، ص ٤٨٠. وقد اشتمل الجزء الثاني على فهارس متقنة غاية الاتقان.

\* أما قبل عبد الستار الحلوجي. تراثيات (القاهرة) ٤٤ (١٤٢٥).

(٢٠٠٤) ١٦٨، ١٦٣. تكلم صاحب المقال فيه على الاستاذ الدكتور حسين نصار بمناسبة منحه جائزة الملك فيصل العالمية في الادب والنقد سنة ١٤٢٤-٢٠٠٤.

\* كتاب الإمامة والرد على الرافضة. لأبي نعيم الاصفهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ المؤرخ (٢٢٦-٤٢٠ هـ / ٩٤٨-١٠٢٨ م) حققه وعلق عليه وخرج احاديثه: علي بن محمد ابن ناصر الفقيهي، ط ١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٥، ٨٢٠٠٤، ص ٤.

\* الامثال في كتاب سيبويه: عرض ومناقشة وتقويم - شوقي المعري. التراث العربي "دمشق" ٨٦٤-٨٧، ص ٢٢، (١٤٢٢). ٢٠٠٢.

\* امرؤ القيس بن خنجر .. رحلته الى الشرق او الى الغرب. ليلي العمري. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني "عمان" ٦٥٤، ص ٢٧، (١٤٢٤) ١١٩-١٧٠، ٦٦٤، ص ٢٨، (١٤٢٤) ١٥٧، ١٨٦.

\* انساب الاشراف للبلاذري مصدراً للتاريخ الاقتصادي الإسلامي تطبيق على الجزء الخامس - نجمان ياسين. التراث العربي "دمشق" ٨٥٤، ص ٢١، (١٤٢٢). ٢٠٠٢.

\* الأنساب المنظومة - للأستاذ كاظم عبود الفتلاوي، ط ٢١ النجف الاشرف، مكتب المواهب للطباعة، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ص ١٠٢.

\* انطباعات سائح مصري عن مراكش والجزائر في مطلع القرن العشرين من رحلة محمد فريد "من مصر الى مصر" - قاسم وهب. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٦١، ٧٤.

\* الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الأفاضة المدنية - للمؤيد بالله عز الدين أبي القاسم محمد بن اسماعيل بن صلاح الحسني الصنعاني (١٠٩٩-١١٨٢، ١٦٨٨-١٧٦٨ م) دراسة وتحقيق: علي عبده علي عسيري، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الإسلامية، جامعة القاهرة (مصر) ٢٠٠٢، ص ٢٦.

\* أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية - محمد بن عبد الهادي الشيباني. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات ج ١/ ٥١٥، ٥٥٢.

\* أهمية مدونات الفرنسي ديوي بوسفها مصدراً لتاريخ المملكة العربية السعودية السعودية خلال المدة من ١٩١٩-١٩٢٩. علي محمد الزبيدي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية. بحوث ندوة ج ٢

■ أ ■

٨ البحر الزخار المعروف بمسند البزار - احمد ابن عمرو بن عبد الخالق المكي البزار الحافظ المحدث (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) تح: محفوظ الرحمن زين الله، ط ٢١ المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤-١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م ١٢٠ ج.

\* البرنس في باريس رحلة الى فرنسا وسويسرا ١٩١٢ محمد المقداد الورتقاني (ت ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م) حررها وقدم لها: سعيد الفاضلي، ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤ م، ٢٩٥ ص ارتياد الآفاق.

\* البرهان عما (كذا) في ديوان علي بن الجهم من وهم ونقصان عبد الرزاق حويزي. العرب "الرياض" ج ٨٠، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥٢٩ ٥٢٩ (ق ٦) ج ٩-١٠، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٦٧٨-٦٥٩ (ق ٧) وبه انتهى المقال.

\* بكاء القيروان في الشعر المغربي القديم - سعد بو فلاقة. التراث العربي "دمشق" ٨٢-٨٤، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* بلدة ضرماء وبدا الدولة السعودية الثانية - ابراهيم بن عيسى العيسى. العرب "الرياض" ج ٩-١٠، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٦٧٩-٦٨٨.

\* بناء القصيدة مصطلحا نقديا في (منهاج البلغاء) - نزهة جعفر حسن وزيد قاسم ثابت مجلة اللغة العربية وآدابها "الكوفة" ٢٤ (٢٠٠٢-٢٠٠٤) ٤٩-٦١.

\* بهاء الدين بن شداد وكتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الايوبي) احمد فوزي الهيب، التراث العربي "دمشق" ٩٤-٩٢، ص ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* بيروت برلين مشاهدات في اوربا والمانيا اثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠-١٩٤٢، كامل مروة. حررها وقدم لها كريم مروة، ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥ م، ٢٨١ ص، ارتياد الآفاق.

■ ب ■

\* تاريخ خزائن الكتب قراءة في كتاب احمد شوقي بنين - فيحصل الحفيان. تراثيات (القاهرة) ٤٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ١٢٥-١٢٩.

\* تأملات في كتاب "الخطاريات" لابن جني - فوزي الشايب. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني "عمان" ٦٢ ع ٢٦ (١٤٢٢-٢٠٠٢) ٩٦ ٥١-٦٤ ع ٢٧ (١٤٢٤-٢٠٠٢) ٩٧-١٤٤.

\* تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الرحوب من الاسواء لرخي بن علي الطرسوسي تح: كلود كاهن. عرض: واصف باقي. التراث العربي "دمشق" ٨٤-٨٢، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* التجربة الروحية للغزالي - محمد عرب. التراث العربي "دمشق" ٩٧، ص ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٥).

\* التجديد العروضي الغنائي في شعر الموشحات الاندلسية - محمود فاخوري. التراث العربي "دمشق" ٨٥، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠٢).

\* التحامق في الشعر المملوكي محمد عبد القادر شقر. التراث العربي "دمشق" ٨٤-٨٢، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* رحلة الغرناطي تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة الى اوربا واسية لأبي حامد محمد بن عبد الرحيم الغرناطي المازني (١١٧٠-١٠٨٠ م). حررها وقدم لها: قاسم وهب، ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢ م، ١٩٠ ص، ارتياد الآفاق.

\* تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن. للأهدل الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني العلوي الهاشمي (٧٨٩-٨٥٥ هـ / ١٢٨٧-١٢٥١ م) تح الشيخ العلامة: عبد الله بن محمد الحبشي، ط ١، ابو ظبي الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ج ١، ص ٥٨٦ ص ٢٧٧.

\* تحقيق بلاد ونسب بني شباية من القرن الأول حتى القرن العاشر الهجري تركي بن مطلق القداح العتيبي. العرب "الرياض" ج ٨٠، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٤٧١-٤٥٢ (ج ٩-١٠ ص ٤٠-١٤٢٦-٢٠٠٥) ٦٤٢-٦٥٨.

\* التخرج الاجتماعي في التراث العربي الاسلامي - عبد العزيز بن علي الغريب. التراث العربي "دمشق" ٩٤-٩٢، ص ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* تدوين علم اصول الفقه دراسة تاريخية كريم عجيل حسين وقيس عواد كريم. الأنبارية مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية "الأنبار" ٥٤ (٢٠٠٤-٢٠١٢) ٢١٢-٢٢١.

\* تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ١١٨٢-١١٨٥ لابن جبير

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي (١١٤٥/هـ-١١٤٥/هـ-١١٤٥/هـ) حررها وقدم لها: علي بن أحمد كنعان، ط ١، أبو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١، ٢٧٤ ص، ارتياد الافاق.

\* التراث العراقي المنهوب - د: حسين نصار - تراثيات "القاهرة"، ٢٤ (٢٠٠٣، ١٤٢٢) ١٤. ٩

\* التراث والتقنيات الحديثة للمعلومات - المهدي بن محمد السعيد. التراث العربي "دمشق" ٩٠ ع، ٢٣ (١٤٢٤)، ٢٠٠٢.

\* التراث الوطني المخطوط عبد القادر شرشار. التراث العربي "دمشق" ٨٢، ٨٤، ٢١ (١٤٢٢)، ٢٠٠١.

\* تراثنا في مكتبات البحث العالمية، دراسة بيبليوجرافية رقمية مجتزة لفخر الدين الرازي - سعد محمد الهجرسي. تراثيات (القاهرة) ٢٤ (٢٠٠٣-١٤٢٢) ٢٩-٩٦.

\* الترسل الفني في العصر العباسي الأول، سهل بن هارون مترسلا - قحطان صالح الفلاح. التراث العربي "دمشق" ٨٩ ع، ٢٣ (١٤٢٤)، ٢٠٠٢.

\* التزييف في نسبة الكتب جذوة المقتبس مخطوط منسوب الى الامام السهيلي محمود علي مكي. تراثيات "القاهرة" ٢٤ (١٤٢٢)، ٢٨، ١٥ (٢٠٠٢).

\* تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد - لشمس الدين ابي الثناء محمود بن عبد الرحمن بن احمد الأصفهاني الشافعي (١٢٧٤-١٢٧٥/هـ-١٢٧٥/هـ-١٢٧٥/هـ) تح: خالد حماد حمود العدواني رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الاسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ٥٦٨ ص.

\* تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي - الاستاذ عمار عبودي محمد حسين نصار، ط ١، بغداد، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، طبع مطابع دار الشؤون ... وزارة الثقافة، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ٢٢٤ ص. سلسلة رسائل جامعية.

\* تقديم رحلة عبد الباسط بن خليل من خلال مؤلفه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم انطلاقا من الدراسة التي نشرها رديير برونشفيك بعنوان (مذكرتي في رحلة غير منشورة

الى افريقيا الشمالية في القرن الخامس عشر الميلادي - عبد الباسط بن خليل واودرن) بوداود عبيد. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٢٩٢-٢٠٠.

\* تكامل الشكل النقدي في كتاب العمدة - علي خذري. التراث العربي "دمشق" ٩٦ ع، ٢٤ (١٤٢٥)، ٢٠٠٤.

\* تكريم الدكتور حسين نصار اسلوب يحتذى - ماهر شفيق فريد. تراثيات "القاهرة" ٤٤ (٢٠٠٤-١٤٢٥) ١٦٩-١٧٢.

\* التكملة والذيل والصلة للحسن بن محمد الصفاني (٥٧٧-٦٥٠ هـ/١٢٥٢-١١٨١ م) حققه محمد ابو الفضل ابراهيم راجعه د. محمد مهدي علام، ط ١، القاهرة، منشورات مجمع اللغة العربية، طبع مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٩٨، ١٩٧٩، ج ٦، ٥٥٠ ص. تنبيهات وتصحيحات في شواهد الشعرية - محمد جواد النوري. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٨ ع، ٢٩ (١٤٢٥-٢٠٠٥) ١٢٧-٢٠٦.

\* التنازع او الإعمال في النحو العربي قراءة معاصرة شوقي المعري. التراث العربي "دمشق" ٨٩ ع، ٢٣ (١٤٢٤)، ٢٠٠٣.

\* التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبعة - للداني (ابن الصيرفي) عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الاندلسي المقرئ (١٠٥٥-٩٨١ م) تح: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ٢١٥ ص، سلسلة كتب القراءات ١.

\* التواصل الفكري والروحي بين المغرب الأقصى والشرق الإسلاميين (مصر والحجاز أسسه ومظاهره من بداية القرن السابع الى اواخر القرن الثامن الهجري - السعيد المليح. ط ١، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-٢٠٠٥، ٧١١ ص. اصل الكتاب رسالة دكتوراه بإشراف: هاشم العلوي، جامعة مولاي اسماعيل في مكناس "المغرب".

\* التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي - د. عبد اللطيف احمد الشيخ، ط ١، أبو ظبي. دبي، الجمع الثقافي. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ١٤٢٥، ٢٠٠٤، ٩٢ ص.

\* توخيف الأسطورة في الشعر الجاهلي - وهب رومية. التراث العربي "دمشق" ٩٤-٩٢ ع، ٢٤ (١٤٢٥)، ٢٠٠٤.

\* تيسير البلاغة في كتب التراث - بن عيسى باطاهر . مجلة مجمع اللغة العربية الاردني "عمان" ٦٨٤، س ٢٩ (١٤٢٥-٢٠٠٥) ٢٩-٧٦.

■ ■ ■

\* ثلاث رحلات جزائرية الى باريس ١٨٥٢، ١٨٧٨ و ١٩٠٢، لسليمان بن صيام واحمد ولد قاد ومحمد بن الشيخ الفخون القسنطيني. حققتها وقدم لها: خالد زيادة، ط ١، ابو ظبي، بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥ م، ١٠٤ ص. ارتياد الآفاق.

■ ■ ■

\* الجائزة العربية في تحقيق التراث. من التراث العلمي الى التراث الادبي. عرض: الأرقم الزعبي. التراث العربي "دمشق" ٨٩٤، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٣).

\* الجائزة في التاريخ والتراث اللغوي عند العرب، مسعود بوبو. التراث العربي "دمشق" ٢٥٤، س ٢٦ (١٤٠٩-١٩٨٩).

\* جامع الشروح والحواشي. معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الاسلامي وبيان شروحيها. العلامة الشيخ عبد الله محمد الحبشي، ط ١، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ج ٢، ١، ٢٢٤، ٢٢٥ ص-١٤٢٥ ص+ ١٤٥٣ ص-٢١٧٦ ص.

\* جذور نظرية الحفظ الدلالية في التراث اللغوي العربي احمد عزوز. التراث العربي "دمشق" ٨٥٤، س ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠٢).

\* الجزائر الجميلة الاكثر مرحا تحت هذه السماء الافريقية، رحلة الشاعر والرحالة الالماني الفرد كير الى الجزائر ١٩٢٠-١٩٢٥. فؤاد آل عواد. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ١٠١-١٢٢.

\* الجماهر (في معرفة الجواهر) للبيروني ونشره في تاريخ العلم - مصطفى يعقوب عبد النبي. التراث العربي "دمشق" ٩٧٤، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٥).

\* جمهرة البلاغة للمعلم عبد الحميد الفراهي (ت ١٢٢٢هـ) د. احمد مطلوب. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٧٤، س ٢٨ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ١١-٢١.

\* جهود الدكتور حسين نصار في الدراسات المعجمية. وفاء كامل فايد. تراثيات "القاهرة" ٤٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ١٧٢-١٨٠.

\* الجودي الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح في القرآن الكريم والكتب المقدسة وكتب التاريخ مختار فوزي النعال. التراث العربي "دمشق" ٩٧٤، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٥).

■ ■ ■

\* الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من افريقيا. د. هارتمان "د. روبرت فون هارتمان" ترجمه عن الالمانية د. برهان شاوي. راجعه وقدم له: احمد عبد الرحمن السقاف، ط ١، ابو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ٢٧٧ ص.

\* حران المدينة المنسية - عبد الرحمن بدر الدين. التراث العربي "دمشق" ٩٠٤، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٣).

\* الحركة الاستشراقية مراميتها وأغراضها د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط ١، بغداد، طبع مطبعة أنوار دجلة، ١٤٢٤-٢٠٠٢، ١٦٨ ص.

\* حركة التأليف المعجمي في مفردات القرآن - أحمد حسن الخميسي. التراث العربي "دمشق" ٩٢٤، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* حركة التصحيح اللغوي في كتب لحن العامة في القرنين الخامس والسادس الهجريين - غازي مطشر حمزة البديري جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير أدب في اللغة العربية / لغة يشراف الاستاذ الفاضل د. هاشم طه سلاش النعيمي كلية التربية الاولى (ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤٢٢-٢٠٠٢، ٢٦٦ ص.

\* الحكومة النبوية - عبد المتعال سالم عاشور. تراثيات "القاهرة" ٤٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ٦٥-١٠٤.

\* حمد الجاسر والعرب ومكانتهما في تطورات فكر العرب المعاصر. المرحوم الأستاذ د. صالح احمد العلي (١٩١٨-٢٠٠٢) العرب

"الرياض" ج ٩، ١٠، س ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥١٢، ٥١٧.

\* الخمس من قبائل العرب - محمد ظاهر وثر. التراث العربي "دمشق" ٨٢، ٨٤، س ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* حول شعر اللجلج الحارثي - احمد العبد العزيز، العرب "الرياض" ج ٨، ٧، س ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥٥٤، ٥٥٥.

\* حياة الحيوان الكبرى للدميري كمال الدين ابي البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي القاهري الشافعي (٧٤٢-٨٠٨هـ/ ١٢٤١-١٤٠٥م) تج: ابراهيم صالح، ط ١، دمشق، دار البشائر للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٤٢٦-١٤٠٥ هـ، ج ١، ص ٧٥٢+٧٥١+٧٥٠، ص ٦٢٤.

## خ

\* خالد بن الوليد كشاف بما ألف عنه وبمواطن ترحمته في الموسوعات وكتب التراجم والاشارة الى الكتب التي عنيت بذكر احاديثه محمود الارناؤوط. التراث العربي "دمشق" ٨٨٤، ص ٢٢ (١٤٢٢). ٢٠٠٢

\* الخصائص العمرانية والاجتماعية لمنطقة الاحساء في كتب الرحالة الغربيين، دراسة تحليلية لنشأة مدينة الهفوف وتطورها ١٧٥٠-١٩٥٠. مشاري بن عبد الله النعيم. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات... ٢/ ٦٧٢، ٧٠٦.

\* الخطأ والصواب في كتاب (نزهة الالباب في الالقاب) لابن حجر العسقلاني - فالح ذياب العتيبي. العرب "الرياض" ج ٩، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥). ٦٠٩، ٦٢٨.

\* خطرة الحلف رحلات في المغرب والاندلس ١٢٦٢-١٢٤٧م (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس) لابن الخطيب لسان الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (٧١٣-٧٧٦هـ/١٢١٢-١٢٧٤م) حققها وقدم لها د. احمد مختار العبادي. ط ١، أبو ظبي- بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ١٧٥ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن في سيرته وكتابه تلخيص المفتاح - ياسين الايوبي. التراث العربي "دمشق" ٩٦٤، ص ٢٤ (١٤٢٥). ٢٠٠٤.

\* خلاصة تاريخ الكرد وكردستان منذ اقدم العصور التاريخية حتى الآن - وضعه باللغة الكردية العلامة الفضال المرحوم محمد امين زكي (١٢٩٧-١٣٦٧/١٨٨٠-١٩٤٨) نقله الى العربية وعلق عليه محمد علي عوني تقسيم العلامة الدكتور كمال مظهر، ط ١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، ... ٢٠٠٥، ١.

٢، ق ٢٨٨، ص ٢٥٥، سلسلة علم وأثر - ٤.

\* الخلاف النحوي في كتاب "صرف العناية" للبيتوشسي (ت ١٢١١هـ) - باسم محمد حسين العلي. جزء من متطلبات نيل

درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بإشراف د. ندى عبد الرحمن الشايع، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية "بغداد" ١٤٢٥، ٢٠٠٥، ص ٢٥٢.

\* الخليج العربي في العصور القديمة دانيال ت. بوتس. ترجمة: إبراهيم خوري مراجعة: احمد عبد الرحمن السقاف، ط ١، أبو ظبي الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٤-٢٠٠٢، ج ٢، ص ٦١٧+٦٢٢، ص ١١٧٢.

## د

\* داء العشق ودواؤه عند الانطاكي قراءة في تزيين الاسواق. عصام محمد الشنطي. العرب "الرياض" ج ٨، ص ٨٠ (١٤٢٦). ٢٠٠٥ (م) ٤٨٨، ٤٩٧.

\* الدامغة قصيدة الحسن بن احمد الهمداني قراها وحققها: مقبل. لثام عامر الاحمدي. التراث العربي "دمشق" ٩٥٤، ص ٢٤ (١٤٢٥). ٢٠٠٤.

\* دراسة تحليلية لكتاب مرتفعات جزيرة العرب لجون فليبي عبد الله بن عبد الرحمن آل عبد الجبار. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة... ج ٢ (٩٢١، ٩٧٦).

\* دراسة حصرية تحليلية لأخطاء رسم الأسماء المتصلة بالملكة العربية السعودية في القسم الجغرافي من كتاب دليل الخليج للوريهر - عبد الله بن عبد العزيز الحميدي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة... ج ٢/ ٩٧٧، ١٠٠٢.

\* دراسة في مخطوطة عمانية إيضاح نظم السلوك في حضرات ملك الملوك الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي ١١٩٢-١٢٦٢ هـ. د. وليد محمود خالص الادب في الخليج العربي دراسات ونصوص، ط ١، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥، ٢٠٠٤، ٥٥٥ ص، انظر ص ٤٧٧-٥٠٥.

\* درج الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب الى عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م) من أول المصحف الى آخر سورة يونس، دراسة وتحقيق: طلعت صلاح الفرحان. جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة بإشراف الاستاذ المرحوم د. محمد صالح التكريتي (ت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) كلية التربية "ابن رشد" جامعة بغداد، ١٤٢٥.



٢٠٠٥، ٧٩٨ ص.

\* **الدرس الصربي** بين ابن حجر العسقلاني في فتح الباري والعبتي في عمدة القاري. هدى محمد صالح عبد الجبار العبيدي. جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة بإشراف الاستاذ الفاضل الدكتور هاشم طه شلاش النعيمي، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤٢٥، ١٨٩، ٢٠٠٥ ص.

\* **دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني** - محمد ياس خضر اللوري. رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة بإشراف د. خليل بنیان الحسون، كلية التربية "ابن رشد" جامعة بغداد، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، ٤٠٢ ص.

\* **الدكتور حسين نصار محققاً للنصوص المعجمية** - عشري محمد علي الغول. تراثيات "القاهرة" ٤ (٢٠٠٤-١٤٢٥) ٢٢٠-٢٢٥

\* **الدكتور حسين نصار والصناعة المعجمية** - صلاح الدين حسنين. تراثيات "القاهرة" ٤ (٢٠٠٤-١٤٢٥) ١٨١، ١٩٢.

\* **الدكتور حسين نصار ومنهجه في دراسة الأدب المصري** عوض الغباري. تراثيات "القاهرة" ٤ (٢٠٠٤-١٤٢٥) ٢١١-٢٢٢

\* **الدكتور عبد الجبار عبد الله** سفير العراق العلمي. العالم الفيزيائي والمثقف الوطني - ستار نوري العبودي؟ دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ٢٠٤ ص.

\* **دوافع رحلة سنوك هور** خرونية وقيمتها العلمية بوصفها مصدراً من مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية - معراج نواب مرزا ومحمد محمود السرياني. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية، بحوث ندوة الرحلات ج ٢/٦٠٧، ٦٢٧.

\* **دواوين الشعر الاندلسي بين التحقيق العلمي والنشر التجاري** للدكتور جمعة شيخه ابداع النشأة وواجب التكملة - د. محمد عويد السايير. دراسات اندلسية "تونس" ٢٢٤ (٢٠٠٤-١٤٢٥) ٤٣-٥٠.

\* **دور العرب في تقدم طب الأسنان** - موفق أبو طوق. التراث العربي "دمشق" ٩٠ ع ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٣).

\* **ديوان ابراهيم بن الحاج النميري** أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن محمد الغرناطي الاندلسي (٧١٣-٧٧٦ هـ / ١٣١٢-١٣٧٤ م) جمع وتحقيق د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط ١، أبو ظبي، الامارات

العربية المتحدة، ١٤٢٤-٢٠٠٣، ٢٢٧ ص.

\* **ديوان ابن مطروح جمال الدين أبي الحسين يحيى بن عيسى ابن ابراهيم القوصي المصري** (٥٩٢-٦٤٩ هـ / ١١٩٦-١٢٥١ م) تح د. حسين نصار، القاهرة، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، طبع مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤، ٢٥٢ ص.

\* **ديوان الشيخ محمد بن احمد بن يوسف الأصبغي** الأوالي بعد ١١٢٢ هـ / ١٧١١ م) دراسة وتحقيق د. وليد محمود خالص. الادب في الخليج العربي دراسات ونصوص، ط ١، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ٥٥٥ ص، ٢٠٥، ٢٨٢.

\* **ديوان صادق القاموسي** (١٣٤١-١٤٠٨ هـ / ١٩٢٢-١٩٨٨) جمعه وعلق عليه الاستاذ الفاضل محمد رضا القاموسي، ط ١، بغداد منشورات المكتبة العصرية طبع دار المثنى للطباعة والنشر، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ٥٠٢ ص. أقول اعتذر للأخوين الكريمين الفاضلين الاستاذ ابياد صادق القاموسي والاستاذ محمد رضا القاموسي عما أوردته سلفاً في عدد سابق من مجلتنا "المورد" الغراء الزاهرة. مد الله في عمرهما وحفظهما لي اخوين عزيزين.

\* **ديوان الكميث بن زيد الاسدي** - جمع وشرح وتحقيق "؟" د: محمد نبيل طريفي، ط ١، بيروت، دار صادر ٢٠٠٠ م، (فضيحة سطو على مجموع شعره صنعة د. داود سلوم "السرققات الفنية للأثار الادبية" (سرققات الدكتور محمد نبيل طريفي نموذجاً).

د. داود سلوم، ط ١، بغداد، طبع مطبعة الأفراح، ٢٠٠٥، ٨٦ ص.

\* **الديوان النفيس في ديوان باريس** أو تخليص الإبريز في تلخيص باريز - رفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦-١٢٩٠ هـ / ١٨٠١-١٨٧٢ م) حررها وقدم لها: علي احمد كنعان، ط ١، أبو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٢ م، ٢٢٠ ص، سلسلة ارتياد الآفاق.

■ ■ ■

\* **الذهب والعاصفة** رحلة الياس الموصلي الى امريكا اول رحلة مشرقية الى العالم الجديد ١٦٨٨ ١٦٨٢. حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط ١، أبو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤، سلسلة ارتياد

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١، سلسلة ارتياد الآفاق.

### ■ ■ ■

\* الراغب الاصفهاني وكتابه المحاضرات - عدنان عمر الخطيب.  
التراث العربي "دمشق ٩٦٤، س ٢٤ (١٤٢٥)، ٢٠٠٤

\* الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية: اهدافهم وغاياتهم  
اسعد عيد الفارس. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث  
ندوة الرحلات... ج ١ / ٥٧٧-٦٠٢

\* الرحالة الغربيون ورواياتهم عن الأحساء في النصف الاول من  
القرن العشرين الميلادي / الرابع عشر الهجري - عبد الله بن محمد  
المخلوع. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات  
ج ١ / ٢٤٩-٢٩٦

\* الرحلات الى شبه الجزيرة العربية. بحوث ندوة الرحلات الى  
شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤-٢٧  
رجب ١٤٢١ هـ الموافق ٢٤-٢٦ اكتوبر ٢٠٠٠، ط ١، الرياض دار الملك  
عبد العزيز، ١٤٢٤... ج ٢، ص ٦٠٢، ص ٦٠٧، ص ١٠٢٠ الى ص بحوث  
بالانجليزية.

\* الرحلات الى شبه الجزيرة العربية في الادب الاردني - جلال  
السعيد الحفناوي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث  
ندوة ج ٢ / ٨٤٧-٨٨٩

\* الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب خلال القرن الرابع  
الهجري العاشر الميلادي - غازي مهدي جاسم الشمري. المشرق  
والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ١٢٥-١٤٨

\* رحلات في بلاد فارس ١٦٧٢-١٦٧٧ م. السير جون شاردان.  
ترجمة. صلاح صلاح ط ١، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة،  
دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م. ٢١ مج،  
٢١٧ ص + ٢٢٥ ص.

\* رحلات المستكشفين في القرن السادس عشر مفاهيم ثقافية في  
الفهم الاوربي العربي - ديونيوسيوس اجيوس. الرحلات الى شبه  
الجزيرة العربية بحوث ندوة... ج ٢ / ٥١٧-٥١٨ بالانجليزية.

\* رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة ٩٢١ م.

احمد بن فضلان حررها وقدم لها شاكر عيبي، ط ١، ابو ظبي.  
بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، ٢٠٠٢، ١٥١ ص.

\* رحلة أبي سالم العياشي الى المشرق قضايا ومواقف ورجال  
سليمان القرشي. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب  
ص ٢٠٢-٢٢٢

\* رحلة الى أعالي النيل الابيض ١٨٢٩-١٨٤٠ البكباشي سليم  
قبسطان (١٢٣٦-١٢٣٧ هـ / ١٨٢٠-١٨٢٩ م) حررها وقدم لها نوري  
الجراح، ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع  
المؤسسة العربية للدراسات العربية والنشر، ٢٠٠٢، ١١٥ ص.  
سلسة ارتياد الآفاق.

\* الرحلة الى القسطنطينية - المهدي عيد الرواضية. الشرق  
والغرب في مدونات الرحالة العرب. ص ٢٠١-٢١٢

\* رحلة الامير عبد القادر الجزائري الى فرنسا بوعلام بلقاسمي  
الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٤٦٧-٤٧٢

\* الرحالة الاوربية ١٩١٩ م - محمد بن الحسن الجسوي الثعالبي  
(١٢٩١-١٣٧٦ هـ / ١٨٧٤-١٩٥٦) حققها وقدم لها: سعيد الفاضلي، ط ١،  
ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ٢٥٠ ص، سلسة ارتياد الآفاق.

\* رحلة الباي محمد الكبير الى جنوب الغرب الجزائري سنة  
١٧٨٥ / بلبروات بن عتو. الشرق والغرب في مدونات الرحالة  
العرب ص ٣١-٥٩

\* الرحلة التنويرية الى عاصمة البلاد الانجليزية ١٩٠٢ م الحسن  
بن محمد الغسال الطنجي (ت ١٢٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) حققها وقدم لها  
د. عبد الرحيم مودن، ط ١، ابو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر  
والتوزيع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ٨٥ ص  
سلسة ارتياد الآفاق.

\* رحلة الحباشة من الاستانة الى اديس ابابا ١٨٩٦ م. صادق باشا  
المؤيد العظم (ت ١٢٢٩ هـ / ١٩١١ م) حررها وقدم لها: نوري الجراح،  
ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١، ٢٠١ ص، سلسة ارتياد الآفاق.

\* الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام

ابن ناصر الدرعي (ت ١٢٢٩هـ / ١٨٢٢م) قيمتها العلمية والتاريخية  
عبد الخالق المفضل أحمدون. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية  
بحوث ندوة الرحلات ... ج ١٣٧/٢٥٠.

\* الرحلة الحجازية لمحمد لبیب البتنوني "دراسة مقارنة".  
عبد العزيز بن صالح الهلابي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية  
بحوث ندوة الرحلات ... ج ٨١/١٢٤٠.

\* الرحلة السفارية المغربية خلال القرن الثامن عشر محمد بو  
كبوط. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٥٦١-٥٧٤  
\* الرحلة الشامية ١٩١٠- الأمير محمد علي باشا (١٨٧٥-١٩٥٥م)  
حررها وقدم لها علي احمد كنعان، ط ١، ابو ظبي. بيروت، دار  
السويدي للنشر والتوزيع- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ...  
٢٠٠٢م، ١٧٥ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة الشتاء والصيف- للشيخ كريت محمد بن عبد الله  
الحسيني الحنفي (١٠١٢-١٠٧٠هـ / ١٦٠٢-١٦٦٠م) حررها وقدم لها:  
سامر محمد صالح الشنواني، ط ١، ابو ظبي. بيروت دار السويدي  
للنشر والتوزيع- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٤،  
٢١٧ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة على ظهر جمل من الكويت الى القصيم والرياض  
والاحساء للرحالة الدانماركي بارسلای رونكير. سعيد بن عمر آل  
عمر. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة  
الرحلات ... ج ٤١/٧٦٠ انظر ايضا ج ٢٥٩/٣٦٢.

\* رحلة علي سعاد الى الاحساء والبحرين والمدينة المنورة عام  
١٢٢٧هـ. سهيل صابان. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية لبحوث  
ندوة ... ج ٢٢٥/٢٤٥.

\* رحلة في صحراء ليبيا ١٩٢٢م. احمد حسنين باشا (.../...)  
حررها وقدم لها: علي احمد كنعان، ط ١، ابو ظبي. بيروت، دار  
السويدي للنشر والتوزيع- المؤسسة العربية للدراسات والنشر ...  
٢٠٠٤، ٢٠٦ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة منقصف تركي الى الجزائر في اوائل القرن العشرين-  
خليفة حماش. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب.  
ص ١٢٢-١٢١

\* رحلة محمد الصغار الى فرنسا سنة ١٨٤٥م إكتشاف النص ولبعاد

السفارة - خالد بن الصغير. الشرق والغرب في مدونات الرحالة  
العرب ص ٥٠٢-٥١٢

\* رحلة مطرافي زادة لنصوح لفندي السلاحي الشهير بمطرافي  
زادة توفي بعد سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م. ترجمة: صبحي ناظم توفيق،  
تج د. عماد عبد السلام رؤوف، ط ١، ابو ظبي، الامارات العربية  
المتحدة، ١٤٢٤-٢٠٠٢، ١٩٤ ص.

\* الرحلة المعنية ١٩٢٨- ماء العينين بـ العتيق  
(ت ١٣٢٦هـ / ١٩٥٧م) حققها وقدم لها د. محمد الظريف، ط ١، ابو  
ظبي- بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع- المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٤م، ٢٩٥ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* الرحلة المكية للقاضي احمد سكير ج- عبد الهادي التازي.  
الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات  
... ج ٢١٩/٢٤٥.

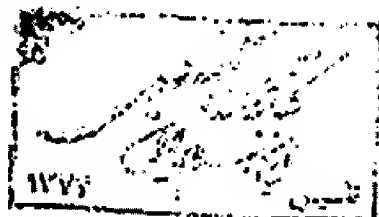
\* الرحلة والجغرافية الوهمية. التمثيل الخرائطي في نصوص  
رحلة الغرب الاسلامي- علي بدر. الشرق والغرب في مدونات  
الرحالة العرب ص ٢٢٥، ٢٥٤.

\* رحلة الورتلاني الى مصر- عبد المجيد بوجلة. الشرق والغرب  
في مدونات الرحالة العرب ص ٢٥٢-٢٦٢.

\* رحلة الوزير في فتكاك الاسير ١٦٩٠-١٦٩١ لأبي عبد الله محمد  
بن عبد الوهاب الغساني الفارسي الأندلسي الاصل (ت ١١١٩هـ-  
١٧٠٧م) حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط ١، ابو ظبي- بيروت،  
دار السويدي للنشر والتوزيع- المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، ... ٢٠٠٢م، ١٨١ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلتان الى سوريا ١٩٠٨-١٩٢٠ الشيخ محمد رشيد رضا صاحب  
"المنار" (١٢٨٢-١٣٥٤/١٨٦٥-١٩٢٠) حررها وقدم لها: زهير احمد  
ظاظا، ط ١، ابو ظبي- بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع-  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٤، ٢١٢ ص سلسلة ارتياد  
الآفاق.

\* رسائل البشري في السياحة بالمانيا وسويسرا رحلة عربي من  
برلين الى برلين ١٨٨٩م- حسن توفيق العدل الاسكندراني المصري  
(١٢٧٨-١٣٢٢هـ / ١٨٦٢-١٩٠٤م) حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط ١،  
ابو ظبي- بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع- المؤسسة العربية



للدراسات والنشر... ٢٠٠٥م ١٦٦ص، ارتياد الآفاق.

\* رسالة في القدر لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي (ت ١٠٢٢هـ / ١٦٢٤م) تح ضمن دراسة بعنوان (مرعي الحنبلي ومذهبه الاخلاقي). الوليد مسلم احمد حسنين. رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الاسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة... ٢٠٠١م، ٢١٢ص.

\* الرشاد في شرح الإرشاد لشمس الدين محمد ابن علي الشريف الحسيني بن الشريف الجرجاني. دراسة وتحقيق د. ضرغام محمود عيسود الذرق، ط ١، بغداد مركز البحوث والدراسات الاسلامية، رئاسة ديوان الوقف السني، طبع مطبعة الوقف السني، ١٤٢٥-٢٠٠٤م، ٤٠٠ص، سلسلة إحياء التراث ٧٢.

\* الرقة في عهد الرشيد عمر الجمود. التراث العربي "دمشق" ٨٥ع، س ٢١ (١٤٢٢) - ٢٠٠٢.

\* روايات شعر الحطينة. ابراهيم عبد الرحمن احمد. تراثيات "القاهرة" ١٤ع (١٤٢٥-٢٠٠٤) ٢٢ بالانجليزية

#### RECENSIONS AND PROBLEMS OF TRANSMISSION. A STUDY IN MANUSCRIPTS OF AL-HUTAI'AH'S DIWAN.

\* الروضة في القراءات الإحدى عشرة - لأبي علي الحسن بن محمد بن ابراهيم البغدادي المالكي (ت ٤٢٨هـ / ١٠٤٧م) دراسة وتحقيق: مصطفى عدنان محمد سلمان، ط ١، المدينة المنورة دمشق، مكتبة العلوم والحكم - دار العلوم والحكم، ١٤٢٤-٢٠٠٤م، ٢٠١ج، ١٦ص، ١٧٢ص ١٢٤ص.

\* الرؤية الحاملة والتصوير البديل. تأبط شرا (مثالا) عبد الرحمن بن عبد الرحيم. التراث العربي "دمشق" ٩٥ع، س ٢٤ (١٤٢٥) - ٢٠٠٤.

\* كتاب الزهد الكبير - للإمام المحدث احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٢٨٤هـ / ١٠٦٦-٩٩٤م) حققه وعلق عليه د. تقى الدين الندوي ط ١، ابو ظبي الامارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، ١٤٢٥-٢٠٠٤م، ٦٢٦ص.

■ ■ ■

\* سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم اذرتاش

آذر نوش، ترجمة وتعليق د. محمد التونجي، ط ١، اب - سو ظبي الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-٢٠٠٤م، ٢٨٧ص.

\* السرقات الفنية للأثار الأدبية "سرقات الدكتور محمد نبيل طريفي نموذجا" د. داود سلوم، ط ١، بغداد، طبع مطبعة الأفراح، ٢٠٠٥م، ١٦ص.

\* سرقة بحث (الجاحظ مفكرا معاصرا) د. داود سلوم السرقات الفنية للأثار الأدبية (سرقات الدكتور محمد نبيل طريفي نموذجا) ص ١٢٩-١٢١ سطو الباحثة د. طيبة الشذر على بحث د. سلوم السالف الذكر وقد نشرته في مجلة العربي "الكويت" ٤٤٥ع (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)

\* سرقة شرح هاشيمات الكميت بن زيد الاسدي بتفسير أبي رياش احمد بن ابراهيم العتيبي، تح د. داود سوم ونوري حمودي القيسي... السرقات الفنية للأثار الادبية "سرقات الدكتور محمد نبيل طريفي نموذجا". داود سلوم ص ٨٧ ١١١ وقد سحلا على صنيع الاستاذين "او على صنيع الاستاذ د. داود سلوم إن رمنا الحقيقة" د. محمد نبيل طريفي.

\* سرقة نونية الكميت بن زيد الاسدي وشرحها لأبي رياش اليمامي تح علامة الجزيرة الرحوم الشيخ حمد الجاسر - د. داود سلوم. السرقات الفنية للآثار الادبية "سرقات الدكتور محمد نبيل طريفي نموذجا" ص ١١٢، ١٢٤.

\* سعيد الافغاني من أعلام العربية محمود الربداوي. التراث العربي "دمشق" ٩٢ع، س ٢٢ (١٤٢٤) - ٢٠٠٣.

\* سياحتي في بلاد الهند الانجليزية وكشمير ١٩١٢-١٩١٤ الامير يوسف كمال (.../...) حررها وقدم لها: جمال ملحم، ط ١، ابو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر... ٢٠٠٢-٢٥١ص، سلسلة ارتياد الآفاق.

\* السيوطي ورسائله "فهرست مؤلفاتي" (علوم اللغة والنحو والبلاغة والادب والتاريخ) د. سمير الدروبي. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني "عمان" ٦٤ع، س ٢٧ (١٤٢٤-٢٠٠٣) ٢٩، ٩٦.

البقية في العدد القادم

[WWW.ATTAWHEEL.COM](http://WWW.ATTAWHEEL.COM)

# AL-MANAR

ARTERIAL JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE

ISSN: 1021-4733

HOUSSEIN GEBELI, EDITOR

1998

WWW.ATTAWHEEL.COM

EDITOR-IN-CHIEF

DR. MOHAMMAD HUSSAIN AL-AARAJI

VOLUME 33 - NUMBER 1 - 2006

السعر: ٥٠٠ دينار

أسبوع المصطفى